الجـــمهورية الجـــزائرية الديمـــقراطية الشـــعبية
وزارة التـــعليم العـــالي و البحث العلمي

جامعة منتوري - قسنطينة -
كـــلية الآداب و اللـــغات
قـــسم التـــرجمـــة
مـــدرســـة الـدكـتـــوراه

رقم التسجيل:.....
الرقم التسلسلي:.....

التّقديم والتّأخير في ترجمة القرآن الكريم إلى اللّغة الفرنسيّة
دراسة تحليلية مقارنة لثلاث ترجمات – الربع الأوّل أنموذجا–

مذكرة مقدّمة لنيل شهادة الماجستير في الترجمة

إعداد الطالب:
عبد الرحمن مرواني

إشراف الأستاذ:
د. محمد الأخضر الصبيحي

لجنة المناقشة:

1- الأستاذ الدكتور:..... جامعة منتوري قسنطينة رئيسا
2- الأستاذ الدكتور:..... جامعة منتوري قسنطينة مشرفا و مقررا
3- الأستاذ الدكتور:.....جامعة منتوري قسنطينة عضوا مناقشا
4- الأستاذ الدكتور:.....جامعة منتوري قسنطينة عضوا مناقشا

السنة الدراسية 2012/2011

الإهداء

إلى من أضاء دربي بتوجيهاته النيِّرة

إلى والديّ الكريمين

إلى من أكرموني بعظيم وقفاتهم المباركة

إلى كل من اتخذ القرآن دستورًا ومنهج حياة

وإلى كل الذين هم على طريق العلم سائرون..

حبًّا ووفاءً وتقديرًا..

أقدم جهدي هذا..

شكر وعرفان

لأنّ ذوي الفضل لا ينسى فضلهم ولأن لهم عليّ واجب شكرهم فإني أتقدم بجزيل الشكر، وعظيم الامتنان والتقدير لكل من ساعدني حتى تمكنّت من إنهاء رسالتي هذه ، وأخص بالذكر الأستاذ المشرف الدكتور **محمد الأخضر الصيحي** الذي تفضّل بقبول الإشراف على رسالتي، والذي لم يبخل علي بأي توجيه أو إرشاد أو مساعدة فجزاه الله عني الخير الوفير، وبارك له في علمه وصحته، وجعله الله نبراس علم تستضيء به الأجيال.

ولا يسعني في هذا المقام أيضا إلاّ أن أتقدم بالشكر والتقدير **للجنة المناقشة**، وأنا اليوم أقف إجلالا واحتراما لملاحظاتهم القيّمة، وتصويباتهم الدقيقة، لكي تجعلوا مني عملا متكاملا بإذن الله.

وأخيرا لا أملك إلا الدعاء وحسن التقدير لكل من مدّ لي يد العون، وساعد في إنجاز هذا البحث من **أعضاء مدرسة الدكتوراه في الترجمة وأساتذة وطلبة القسم** الذين أفدت منهم الكثير.

فجزاهم الله عني جميعا خيرا وزاد في ميزان حسناتهم.

المقدمة

لقد اعتنى كثير من العلماء والدَّارسين بالقرآن الكريم منذ زمن النَّبي– صلى الله عليه وسلم– إلى يومنا هذا، فاختصّ بعضهم بالجانب الفقهي منه وألّفوا في ذلك كتبًا كثيرة، واهتمّت طائفة أخرى بالجانب اللُّغوي مبرزين خصائص الأسلوب وظواهر اللُّغة ويستكشِفون روائع البيان، وعكف البعض الآخر على معاني القرآن، يَسْبِرُون أغوارها ويتحسَّسون أسرارها رغبة منهم في إيصال دقائقها إلى النَّاس حتى يفهموا مُراد الله حقّ الفهم ليعبدوه حقّ العبادة. ولمَّا كانت رسالة الإسلام شاملة لكل الأمم والشُّعوب مهما اختلفت ألوانها و ألسنتها ومهما بَعُدَت بلدانها و أوطانها، كان لزامًا على المُضطَلِعين بالدعوة إلى هذا الدِّين ترجمة معانيه إلى لُغات العالم. ولذلك حرصت طائفة أخرى من هؤلاء على أن يَبْلُغ صوت القرآن أصقاع الدُّنيا وخاصَّة أولئك الذين لا يتكلَّمون بالعربية، فعكَفوا على محاولة نقل معانيه؛ خدمة لدين الله وتبليغاً لدعوة الحقّ ورغبةً منهم في ربط جسور الحضارات بين الأمم وإثراء التُّراث الإنساني.

ولمَّا كان القرآن معجزاً في أسلوبه وبيانه وطريقة نظمه وجد المترجمون صعوبةً كبيرة في نقل معانيه إلى لغات العالم، وخاصّة إلى اللُّغة الفرنسية، حيث نجد العديد مِمَّن ترجم معاني القرآن الكريم يسمِّي ترجمَته هذه محاولة أو مدخلاً للقرآن، وتكمن هذه الصعوبة خصوصاً في جانب الدّلالة، إذ نجد علماء اللُّغة والشريعة يُولونها اهتماماً كبيراً في بحوثهم ودراساتهم. و من بين الظَّواهر اللُّغوية التي شدَّت انتباههم ظاهرة التقديم والتأخير، فكثرت المصنّفات وتعدّدت المقالات حتّى عدّها بعضهم وجهاً من وجوه إعجاز القرآن الكريم.

كان مجال اهتمام الباحث في هذه الدراسة " **البلاغة في الترجمة** " وعلى وجه التحديد أسلوب **التقديم والتأخير**، بناءً على التساؤلات التي راودته أثناء اطِّلاعه على ترجمات عديدة لمعاني القرآن الكريم إلى اللُّغة الفرنسية تدور حول التباين في ترجمة المعاني المقصودة من التقديم والتأخير في ألفاظ القر آن بين الاقتصار على الشكل و البحث عن المعنى المقصود. **ومن بين الأسباب** التي جعلته يختار القرآن الكريم

كمدوّنة لدراسته سببين اثنين: أحدهما ذاتي والآخر موضوعي؛ فأمّا الذاتي يتمثل في إعجاب الباحث وتعلّقه الشّديد بكتاب الله قلباً وقالبا، ودفعه إعجازه الأسلوبي و البياني إلى محاولة سبر أغواره ، وذلك بالإطلاع على مجموعة من التفاسير التي تناولت معانيه و أسلوبه وكيف اعتمد عليها مترجمو معاني القرآن إلى اللغة الفرنسية. وأمّا الموضوعي فهو بلاغة أسلوب التقديم والتأخير في القرآن، ورغبة منه في الإلمام بهذا الأسلوب في الترجمة وأهميته، إذ ينبغي على المُترجِم أن يُلِمَّ بقدر وافي منه فهمًا و استخدامًا، حيث لا يمكن فهم بلاغة التقديم والتأخير في القر آن إلا في سياقه، وهذا ما يُجنِّب المُترجِم الوقوع في الأخطاء خاصة عند التَّرجمة الحرفية.

والتقديم والتأخير من المسائل التي أفاض العلماء في الحديث عنها، حيث تناولتها الكثير من المؤلفات، وذلك لأهميتها البيانية الكبيرة، وتعلّقها بالنصّ القرآني المعجز، الذي لا يُقدِّم أو يُؤخِّر في الذكر إلاَّ لسرّ ولطيفة دقيقة، وحكمة بالغة. ويعدّ هذا الأسلوب ملتقى عِلْمَيْ النحو والمعاني، ومظهر من مظاهر الإعجاز القرآني. وهو ظاهرة لغوية تمتاز بها العربية عن كثير من اللُّغات، فمن سنن العرب تقديم الكلام وهو في المعنى مؤخر وتأخيره وهو في المعنى مقدم، وهو أسلوب من أساليب صياغة الكلام، وتقنية من تقنيات اللُّغة، وللُّغة العربية قواعد نحوية معيَّنة لتنسيق ألفاظ الجملة العربية تنسيقًا عاديًّا طبيعيًّا. ولكن هناك أسباب تدعو إلى تغيير هذا التنسيق، فيحدث التقديم والتأخير. منها أسباب مرجعها أصول النحو ؛ فربما تقدم المفعول على الفاعل أو على الفعل نفسه، وربما تقدم الخبر على المبتدأ، والظروف على الفعل، والحال على صاحبها. ومنها أسباب عاطفية غرضها لفت النظر و التعبير عن الانفعال الشديد، كالإنكار والاستحقار والتعظيم والتوبيخ إلخ...، ومنها أسباب مرجعها الموسيقى اللَّفظية، كما نجده مرارًا في الجملة المتوازية الأجزاء، ذات نغم وموسيقى، مراعاة لحسن الإيقاع ورنّة السّجع.

و لم يجد الباحث؛ فيما توفّر لديه من مصنّفات، **بحثا** جمع بين دراسة أسلوب التقديم والتأخير وترجمة القرآن الكريم عدا بعض الإشارات العابرة إلى أهميّة هذه الظاهرة اللُّغوية أثناء الترجمة، فرَأى-

بعد استشارة الأستاذ المشرف– أن يخصّ هذا الموضوع بهذه الدراسة، التي تتناول موضوع " التقديم والتأخير في ترجمة القرآن الكريم " وبالتحديد في الربع الأول ، وقد اعتمد على **ثلاث ترجمات لمعاني القرآن الكريم** إلى اللُّغة الفرنسية وهي: ترجمة **محمد حميد الله** وترجمة المستشرِقَيْن الفرنسي ين **أندري شورا كي** و **جاك بيرك**، التي تعدّ من أبرز المحاولات المعاصرة التي لقيت صدىً واسعًا وتَوْفِية إعلامية هائلة جعلتها تتربّع كرسيّ الصدارة في الترجمة القرآنية حيث يتم مقارنة هذه الترجمات بما ورد في كتب التفسير، فتوصّل الباحث إلى الإشكالية الآتية:

"**هل يستطيع مُترجِم القرآن أن يحافظ على المعاني المقصودة من تقديم الألفاظ أو تأخيرها عند نقلها من اللغة الأصل إلى لغة أخرى؟**" ويندرج تحت هذه الإشكالية الرئيسة **أسئلة فرعية** :

- كيف يتعامل مُترجِم القرآن مع بلاغة أسلوب التقديم والتأخير؟
- هل هناك طريقة مُثلى لنقل معاني الألفاظ التي ورد فيها تقديم أو تأخير؟
- هل يلجأ إلى ترجمة حرفية، وبالتالي ترجمة الشكل بعيدًا عن أيّ تأويل، أم باختيار المنهج التفسيري الذي يُولي الاهتمام الأكبر للمعاني؟.

ولقد افترض كاتب هذا البحث– كحلّ لما طرح من أسئلة– مايلي:

- للتقديم والتأخير في القرآن أسرار بلاغية على المترجم أن يلمّ بها قبل الشروع في عملية الترجمة.
- القرآن الكريم كتاب مقدّس، ينبغي على المترجم أن ينقل ما ورد فيه من معان بأمانة، والمنهج التفسيري يولي المعنى العناية الكبرى.
- لكلّ من اللغة العربية واللغة الفرنسية تقنياتها اللغوية في تخصيص الألفاظ التي ورد فيها تقديم وتأخير على المترجم أن يلمّ بها.

وممّا لا شكّ فيه أنّ أيَّ **بحث منظَّم يُبنى على أُسس منهجية** تضمن تماسكه وانسجامه، ومن أجل أن تكون مذكِّرة الباحث كذلك ارتأى أن يوزّعها على **ثلاثة فصول تضاف إليها المقدِّمة والخاتمة**؛ على أن يُسبق كل فصل من هذه الفصول بمقدِّمة ويُتبع بخاتمة.

يتناول **الفصل الأول** أسلوب التقديم والتأخير بوصفه ظاهرة لغوية يتغيّر فيها ترتيب ألفاظ الجملة طلباً لأغراض بلاغية وأسرار بيانية تُكسب المعنى قوّةً ووضوحاً لدى القارئ. ولقد قسّمه إلى ثلاثة مباحث: تحدّث في المبحث الأول عن التقديم والتأخير في اللُّغة العربية، حيث عرّف أسلوب التقديم والتأخير وذكر أهميّته عند كل من النحويين والبلاغيين ثم تطرَّق إلى الجملة العربية بتعريفٍ لكلٍّ من المسند والمسند إليه وبيان أغراض تقديمهما. وخصّص المبحث الثاني للحديث عن أسلوب التقديم والتأخير في القرآن الكريم من خلال الجملتين الفعلية والاسمية. ثُمَّ ختم هذا الفصل بالمبحث الثالث الذي تناول فيه أسلوب التقديم والتأخير في اللُّغة الفرنسية، فقام بتعريف هذا الأسلوب، وتعرَّض إلى ترتيب ألفاظ الجملة الفرنسية وتقنيات تخصيصها.

أمّا **الفصل الثاني** فلقد خصَّصه للتَّرجمة القرآنيَّة، وينقسم بدوره إلى مبحثين: يتناول المبحث الأول قضايا وإشكالات التَّرجمة القرآنيَّة، حيث تطرَّق إلى إعجاز القرآن ثمّ الدَّلالة القرآنيَّة والتَّرجمة، بعد ذلك تحدّث عن أهمية السياق في تحديد معاني الألفاظ، ثمّ خصوصية النص القرآني. ليخلص في الأخير إلى تاريخ حركة ترجمة معاني القرآن من قِبَل المستشرقين ثم حكم ترجمة القرآن وصعوباتها. وفي المبحث الثاني تناول الباحث نظريات ترجمة معاني القرآن؛ فبدأ بتعريفٍ للتَّرجمة ثم تطرق إلى الحديث عن النظرية الحرفية و النظرية التفسيرية، ليخْلُصَ في الأخير إلى شروط ترجمة القرآن.

وأمّا **الفصل الثالث** فهو الجانب التطبيقي من البحث، وهو بدوره ينقسم إلى مبحثين. يتناول المبحث الأوّل تعريفا بالمدوّنة المتمثلة في الربع الأوّل من القرآن الكريم ويضم السور الآتية: الفاتحة ، البقرة ،

آل عمران ، النساء ، المائدة ، الأنعام ، وترجماتها عند كل من : محمد حميد الله وجاك بيرك وأندري شوراكي. ثم قام بتعريف **المنهج المتّبع** في هذا البحث، حيث كان وصفياً بالأساس، بالاعتماد على التحليل الدَّلالي ومقارنة الترجمات، بوصفها أدوات منهجية تمكِّننا من إعطاء فكرة شاملة عن الفرق بين الترجمة والأصل. أمّا المبحث الثاني فقد ذكر فيه الآيات القرآنية التي ورد فيها تقديم وتأخير مع ترجماتها الثلاث وأتبع ذلك بالتعليق على الترجمات استنادا إلى بعض كتب التفسير. **وختم البحث** بعرض النتائج التي يرجو أن يكون قد وُفِّق في التوصل إليها.

وخلص في الأخير إلى أثر أسلوب التقديم والتأخير في صعوبة ترجمة معاني القرآن الكريم؛ حيث لاحظ من خلال الترجمات الثلاث، التي تفاوت فيها المترجمون في الاعتناء بمواضع التقديم والتأخير بين محاولة محاكاة الأصل وترجمتها حرفيا، أو البحث عن المعاني المقصودة من تقديم الألفاظ أو تأخيرها واختيار المكافئ المناسب لها. وتبيّن له أيضا أنّ نظم القرآن وأسلوبه له تأثير خا ص في نفس السامع، لا يمكن أن يُنقل بالترجمة؛ إذ يترتّب على الترجمة ضياع ذلك النغم و تلك اللَّطائف والأسرار الناشئة عن الترتيب بين الكلمات، والتي إذا اختلَّت بتقديم أو تأخير فسوف يختفي معها هذا التأثير.

وقد تمَّ الاعتماد في هذا البحث؛ بالإضافة إلى القرآن الكريم وترجماته إلى اللغة الفرنسية، على **مجموعة من المصادر والمراجع** يمكن تقسيمها إلى ثلاثة أقسام:

أ–القسم الأول يضمُّ علوم القرآن الكريم ، وكتب التفسير، كتفسير التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور، وروح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني للألوسي، تفسير غريب القرآن لابن قتيبة،

ب–القسم الثاني يضمُّ كتب اللُّغة من معاجم كمعجم مقاييس اللُّغة والمعجم الوسيط، تاج العروس ولسان العرب، بالإضافة إلى الكتب العربية والفرنسية التي تناولت أسلوب التقديم والتأخير.

ج–القسم الثالث يضمُّ مجموعة من الكتب والمقالات المتنوِّعة باللُّغة العربية والفرنسية والانجليزية.

ونظراً لتشعُّب ظاهرة التقديم والتأخير وكثرت المقاربات التي ناقشت هذا الموضوع، حاول الباحث جاهدا دراسة هذا الموضوع في الجانب الترجمي الذي ذكره. ولا يدّعي أنّه قد وفّاه حقّه من البحث والدِّراسة، ولكن حسبه أنّه قد بذل جهداً بقدر ما توفّر لديه من وسائل وإمكانات محاولا تذليل بعض الصعوبات التي واجهته خلال مقارنة وتحليل الترجمات. وتبقى ظاهرة التقديم والتأخير في القرآن الكريم ميداناً جديراً بالبحث والدِّراسة، وكذلك ترجمة القرآن والدِّراسات النقدية والتحليلية التي تُعنَى بها.

وإنّ الباحث في خاتمة هذا التقديم لمدين ببالغ الشكر وسابغ الحمد لكل من مدَّ يده في مساعدته بعونه العلمي والمعنوي بدءاً بالأستاذ الفاضل المشرف على هذه الرسالة **الأستاذ الدكتور محمد الأخضر الصبيحي**، الذي تابع عمل الباحث هذا وبذل جهداً كبيراً فجزاه الله عن العلم وأهله خير الجزاء.

ويرجو كاتب هذا البحث المتواضع من كل ناظر يطّلع على عيبٍ أن يدلّه عليه ويرشده إلى صوابه فالدين النصيحة، وإلى الله يضرع أن يكتب له في هذا البحث وبعده النجاح والتوفيق والقبول وأن يحقّق به النفع المرجو إن ربي لسميع الدعاء.

الفصل الأول: أسلوب التقديم و التأخير

1. مقدمة
2. المبحث الأول: التقديم والتأخير في اللغة العربية
3. المبحث الثاني: التقديم والتأخير في القرآن الكريم
4. المبحث الثالث: التقديم والتأخير في اللغة الفرنسية
5. خاتمة

مقدمة:

تعتبر ظاهرة التقديم والتأخير من أهمّ الظواهر اللغوية التي أكسبت اللغة مرونتها وطواعيتها، فهي تسمح للمتكلم أن يتحرك بحُرِّيَّة متخطِّياً الرتب المحفوظة، والعدول عن هذه الرتب يمثِّل نوعا من الخروج عن اللغة النفعية إلى اللغة الإبداعية، واللغة النفعية إذا دخلت في عالم الأدب اكتسبت خاصية جديدة تفرضها عليها طبيعة الأدب، إذ لم يعُد المراد إيصال المعنى، وإنَّما الإيصال والإمتاع معاً، بحيث تصبح اللغة وسيلة من وسائل الجمال.

ولقد حظي أسلوب التقديم والتأخير بنوع اهتمام من قِبل الباحثين في ميدان اللغة؛ سواءً العربية أو الفرنسية، من النحويين والبلاغيين لأهميّته في الكشف عن أسرار اللغة وأنظمة اشتغالها.

وللقرآن الكريم حظّ وافر من الاهتمام بهذا الأسلوب؛ نظرا لكثرة ما ورد في ألفاظه من تقديم وتأخير ، فكان وجود هذا الأسلوب في القرآن الكريم أحد وجوه إعجازه.

سنحاول في هذا الفصل الحديث عن حقيقة هذا الأسلوب وكشف بعض وظائفه وأسراره البلاغية في القرآن الكريم، حيث ارتأينا أن نقسمه إلى ثلاثة مباحث. يتعلّق المبحث الأوّل بأسلوب التقديم والتأخير في اللغة العربية، نتناول من خلاله ماهية هذا الأسلوب وأقسامه، ونوضح موقف النحاة والبلاغيين منه. ثم نتحدّث عن الجملة العربية؛ الاسمية منها والفعلية. أمّا المبحث الثاني يتناول أسلوب التقديم والتأخير في القرآن الكريم، نتعرّض فيه إلى نماذج من التقديم والتأخير في الجملة الاسمية و التقديم والتأخير في الجملة الفعلية. وأمّا المبحث الثالث فيتعلق بأسلوب التقديم والتأخير في اللّغة الفرنسية، نتناول من خلاله مفهوم التقديم والتأخير في ألفاظ الجملة الفرنسية وتقنيات تخصيص هذه الألفاظ بالتقديم مع ذكر الأمثلة على ذلك. و سنفصّل الكلام عن ظاهرة التقديم والتأخير في اللغة وفي القرآن الكريم لأنّها أساس هذا البحث؛ إذ لا يمكن دراسة ظاهرة لغوية ومكانتها في عملية الترجمة ما لم نَستَجْلِ حقيقة هذه الظاهرة وموقعها من الدِّراسات اللُّغوية.

المبحث الأول: أسلوب التقديم والتأخير في اللغة العربية

إنّ علماء اللغة العربية يرون أنّ الإعراب يتيح للكلمة حرية التنقّل داخل الجملة، فصرح الزجاجي(ت. 337هـ) بأنّ اللّجوء إلى الإعراب سببه: « أنّ الأسماء تَعْتَورهَا المعاني وتكون فاعلة ومفعولة ومضافة إليها، ولم يكن في صورها وأبنيتها أدلّة على هذه المعاني، جعلت حركات الإعراب فيها تنبئ عن هذه المعاني فقالوا: "ضرب زيدُ عمرَا"، فدلّوا برفع زيد على أنّه الفاعل وبنصب عمرو على أنّ الفعل واقع به، وإذا أرادوا تقديم الفاعل أو المفعول عند الحاجة قدّموه » .[1]

يبدو من خلال كلام الزجاجي أنّ للإعراب أهميّة كبيرة في اللغة العربية، إذ تحتفظ الكلمة برتبتها داخل السياق اللغوي، ولا يلتزم الشاعر أو الناثر بحتمية الرتب في الجملة العربية رغم أهميّتها، فالمفعول به يتقدّم على الفاعل ويظل مفعولا به، ويصبح المراد هنا إمتاع القارئ وليس مجرّد إيصال المعنى، أي أنّ اللغة تتحوّل من نفعية إلى إبداعية وتصير وسيلة من وسائل الجمال.

« L'ordre des mots, en arabe, est ordinairement soumis à des règles fixes et pour ainsi dire naturelles, régies par la grammaire et propres au déroulement d'une pensée claire et précise. Mais il se produit souvent, dans la phrase, des inversions de toutes sortes, motivées par divers raisons ».[2]

"يتم في اللغة العربية ترتيب ألفاظ الجملة ترتيبا عاديا وفق قواعد نحوية معينة. ولكن هناك أسباب تدعو إلى تغيير هذا الترتيب، فيحدث التقديم والتأخير".[3]

ويكثر في اللغة العربية صور تغيير نظام بناء الجملة منها الحذف والزيادة والتقديم والتأخير ووضع المضمر موضع المظهر ووضع المظهر موضع المضمر، والقلب والالتفات وغيرهما.[4]

---

[1]– الزجاجي، عبد الرحمن بن إسحاق : الإيضاح في علل النحو. تحقيق مازن المبارك.ط5. بيروت: دار النفائس، 1406هـ ، ص ص 69، 70 .

[2] - Hajjar, Joseph : Manuel de Traduction. 4e éd. Beyrouth: Dar El-Machreq, 1971, p 326.

[3]- سنتبع كل اقتباس باللغة الأجنبية بترجمة شخصية في المتن مباشرة.

[4] – انظر: السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر : شرح عقود الجمان في علم المعاني والبيان. مصر: مطبعة دار إحياء الكتب العربية، د.ت ، ص 27 .

وكل نوع من هذه الأنواع حظي ببحث مستقل في كتب اللغة، وحديثهم عن تقديم المسند إليه أو المسند أو المتعلقات « يوضح عدم اكتراثهم بمسألة الرتبة هذه، بالعكس فنحن نراهم أكثر انجذابا في اتجاه الرتبة المحفوظة بغية تخطيها و الانحراف عنها، وهذا ما تؤكده تفرقتهم في تقديم المسند إليه وأسبابه وأغراضه، بين ما كان المسند معه اسما، وما كان المسند معه فعلا، ففي الحالة الأولى حين يكون المسند اسما نكون أمام تركيب شبه عادي يجري على الأصل بحكم أنه لا يوجد ما يشير إلى أن ثمّة انحرافا قد حدث عن أصل آخر كانت عليه العبارة من قبل، ومن هنا تتواضع المزايا المترتبة على هذه الصورة من صور التقديم ليصبح الأمر متروكا لمزيج من العوامل النفسية لدى المتكلم كالرغبة في تمكين الخبر في ذهن السامع، أو تشويقه إلى الخبر...إلخ. أما حين يكون المسند فعلا فإنهم يرون في هذا التركيب انحرافا عن صورة أخرى كان الفعل فيها هو المقدم بحكم قانون الرتبة، الذي ينص على أن الفاعل لا يجوز أن يسبق الفعل، لأن الفعل عامل والفاعل مرفوع به، ولا يصح أن يؤخر عامل على مرفوعه. بعبارة أخرى يُعدُّ تأخير المسند إليه في هذه الحالة هو الأصل ليصبح تقديمه انحرافا عن هذا الأصل وهو انحراف صريح، ولهذا السبب تُنَاط بهذه الصورة من صور التقديم للمسند إليه وظائف أكبر كتقوية الحكم وتأكيده، وكذلك تخصيص المسند إليه بالمسند » .[5]

«Early Arabic grammarians were interested in word order and fronting. For example ابن الأثير in his book جوهر الكنز considers fronting a sign of courage in Arabic because the speaker can roam freely in the sentence. Fronting is considered by الزركشي in his book البرهان a way of conveying meanings in their verbal structures to the addressee as they ordered in the speaker's mind according to the degree of importance. These grammarians have also been interested in inflection of

[5]- راضي، عبد الحكيم : نظرية اللغة في النقد العربي. مصر: مكتبة الخانجي، د.ت ، ص ص 215،216.

Arabic which gives its speakers more freedom in word order».[6]

"اهتمّ علماء النحو العربي قديما بمسألة التقديم والتأخير، فنجد مثلا ابن الأثير في كتابه "جوهر الكنز" يرى أنّ التقديم يدلّ على شجاعة اللغة العربية لأنّ المتكلّم يتجوّل بحرية داخل الجملة. ويرى الزركشي في كتابه " البرهان" أنّ التقديم أسلوب يسمح بنقل المعاني إلى المتلقّي في بنيتها اللفظيّ على الترتيب الحاصل في ذهن المرسل وفق أهميّتها. كما اهتمّ علماء النحو أيضا بالإعراب الذي يتيح للمتكلّم حرية ترتيب الكلمات".

وقبل الحديث عن قيمة هذا الأسلوب وكشف بعض وظائفه وأسراره البلاغية، يَجدُر بنا أن نقف على ماهيته وأقسامه، ونوضح موقف النحاة والبلاغيين منه ثم نتحدّث عن الجملة الاسمية والفعلية.

1. تعريف أسلوب التقديم والتأخير:

1.1. لغـــــةً:

قال الراغب(343هـــ-450هـــ): القَدَم: قدم الرجل، قال- تعالى -:﴿ وَيُثَبِّتَ بِهِ ٱلْأَقْدَامَ ﴾ (الأنفال: 11).

و:قَدَّمْتُ فلانا أُقَدِّمُهُ إذا تَقَدَّمْتُهُ ، قال- تعالى- :﴿ يَقْدُمُ قَوْمَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ فَأَوْرَدَهُمُ ٱلنَّارَ ﴾ (هود: 98) ،

وقال- تعالى-:﴿لَا يَسْتَـْٔخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴾ (الأعراف:34) أي لا يزيدون تقدُّمًا، ولا تأخُّرًا.[7]

وقال الفيروز أبادي(1329م-1415م) : القَدَم محركة : السابقة في الأمر.[8]

وقال ابن منظور(1232م-1311م) : (قَدَّمَ بمعنى تَقَدَّم:

[6] - Battat, Ibrahim Mohammed Salem: Markedness Theory as it Relates to Word Order in Translation between English and Arabic, Master of Arts in Translation and Applied Linguistics, Faculty of Graduate Studies, at An-Najah National University, Nablus, Palestine, 2004, p 25.

[7]- انظر: الراغب الأصفهاني ، أبو القاسم الحسين بن محمد : المفردات في غريب القرآن. تحقيق محمد سيدّ كيلاني. بيروت- لبنان: دار المعرفة، د.ت ، ص 397.

[8]- الفيروز أبادي، محمد بن يعقوب : القاموس المحيط. مادة: قدم. ط1. بيروت: دار الكتب العلمية، 1415 هـــ .

قَدِّمُوا إِذْ قِيلَ قَيْسٌ قَدِّموا واحْفَظُوا المَجْدَ بِأَطْرَافِ الأَسَل[9] أراد : يا قيس).[10]

والتأخير مقابل التقديم[11]، قال- تعالى-:﴿ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّر ﴾ (القيامة: 13) وقال - تعالى -:﴿مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ ﴾ (الفتح:2).

2.1. اصطلاحًا:

والتقديم والتأخير اصطلاح أُطلق على أحد أساليب العرب في كلامهم، ومظهره زوال اللفظ عن مكانه، فيتقدم أو يتأخر، وهذا التعريف من حيث هو أسلوب في لغة العرب، أما إذا أردنا تعريفه من حيث هو أسلوب قرآني، فإنه حينئذ يكون أوسع من التعريف السابق فقد أُطلق التقديم والتأخير في القرآن الكريم على القار في مكانه، كما أطلق على المزال،[12] فاتسعت بذلك دائرة التقديم والتأخير في القرآن الكريم.

2. أقسام أسلوب التقديم والتأخير:

والتقديم والتأخير يأتي على قسمين:

1.2. تقديم وتأخير يأتي على أصله في النحو:

ولا كلام لنا في هذا التقديم والتأخير، وهذا كتقديم المبتدأ المعرّف على خبره، وتقديم العامل على معموله، وكالتوابع فإنّ أصلها أن تذكر بعد المتبوعات.

---

[9]- البيت للبيد بن ربيعة من قصيدة مطلعها:

إِنَّ تَقْوَى رَبِّنَا خَيْر نفَل وَبِإِذْنِ اللهِ رَيثِي وَعجلْ

انظر: الطوسي، الحسن : شرح ديوان لبيد بن ربيعة. تحقيق حنا نصر الحتي. ط1. بيروت: دار الكتاب العربي، 1414هـ ، ص130.

[10]- انظر: ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم : لسان العرب. مادة قدم. ط3. بيروت: دار صادر، 1994م .

[11]- الراغب الأصفهاني : مرجع سابق ، ص 13.

[12]- انظر: أبو موسى، محمد : البلاغة القرآنية في تفسير الزمخشري. مصر: دار الفكر العربي، د.ت ، ص27.

2.2. تقديم وتأخير يأتي لمقامات تقتضيه:

وإن أتى في هذا موافقًا لأصله النحوي، كما في قوله- تعالى- :﴿ وَقَالَ ٱلۡمَلَأُ مِن قَوۡمِهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِلِقَآءِ ٱلۡأٓخِرَةِ وَأَتۡرَفۡنَٰهُمۡ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا مَا هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٞ مِّثۡلُكُمۡ يَأۡكُلُ مِمَّا تَأۡكُلُونَ مِنۡهُ وَيَشۡرَبُ مِمَّا تَشۡرَبُونَ﴾ (المؤمنون:33) وقوله:﴿فَقَالَ ٱلۡمَلَؤُاْ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَوۡمِهِۦ مَا هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٞ مِّثۡلُكُمۡ يُرِيدُ أَن يَتَفَضَّلَ عَلَيۡكُمۡ وَلَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ لَأَنزَلَ مَلَٰٓئِكَةٗ مَّا سَمِعۡنَا بِهَٰذَا فِيٓ ءَابَآئِنَا ٱلۡأَوَّلِينَ﴾ (المؤمنون:24).

فقد أتى قوله: (مِنْ قَوْمِهِ) مقدمًا في الآية الأولى ومؤخرًا في الآية الثانية، مع أنّه قد أتى في موضعه النحوي من الآية الأولى، لأنه حال من الفاعل قبله والموصول بعده صفة له، ويجوز أن يكون صفة لفاعل كما هو صفة له في الآية الثانية.[13]

وينقسم التقديم والتأخير الذي يأتي لمقامات تقتضيه إلى قسمين: أحدهما يختص بدرجة التقدم في الذكر لاختصاصه بما يوجب له ذلك ولو أخّر لم يتغيّر المعنى، وهذا القسم لا يختص بالمفردات من الطرفين ومتعلقاتهما. وثانيهما يختصّ بدلالة الألفاظ على المعاني ولو أخر لتغيّر المعنى، ولنسمّ الأوّل تقديما ذكريا ونسمّ الثاني تقديما معنويا.[14]

فأمّا مقامات التقديم الذكري فإنّها كما قال ابن الأثير(1160م-1237م): « ممّا لا يحصره حدّ، ولا ينتهي إليه شرح، ومنها تقديم السبب على المسبب كقوله - تعالى-:﴿ إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ﴾ (الفاتحة:5)، وتقديم الأكثر على الأقل كقوله- تعالى- :﴿إِنۡ أَنتَ إِلَّا نَذِيرٞ﴾ (فاطر: 23)،

[13]- الصعيدي، عبد المتعال : البلاغة العالية – علم المعاني -. قدّم له وراجعه عبد القادر حسين. ط2. القاهرة: مكتبة الآداب، 1991م، ص ص 80،81.

[14]- المرجع نفسه ، ص 81.

وتقديم الأعجب فالأعجب وغيرها من المقامات»[15]، وهذا النوع من التقديم والتأخير لم تشمله دراستنا هذه لأنّ الترجمات الثلاث التي اخترناها كمدونة لهذا البحث جاءت موافقة للمواضع التي ورد فيها التقديم والتأخير الذكري في القرآن الكريم.

أمّا ما ينصب عليه اهتمامنا في هذه الدراسة فهو مقامات التقديم والتأخير المعنوي كتقديم المفعول على الفاعل، وتقديم الخبر على المبتدأ، وتقديم الظرف أو الحال أو الاستثناء على العامل. والتقديم في هذا يكون لمعنى يتغيّر بالتأخير، ويحقّق أغراضا عديدة، منها: التشويق والتعجيل بالمقصود وكذا الاهتمام ودفع توهّم الخطأ والتخصيص وغيرها من الأغراض البلاغية التي سنتناولها في ثنايا هذه الدراسة.

3. أهميته عند النحويين : سيبويه

أدرك سيبويه(756م–796م) بلاغة التقديم وذكر ذلك في كتابه " الكتاب " الذي قال عنه المبرد(825م–899م) : « إنَّه لم يعمل كتاب في علم من العلوم مثل كتاب سيبويه، وذلك أن الكتب المصنفة في العلوم مضطرة إلى غيرها، وكتاب سيبويه لا يحتاج من فهمه إلى غيره».[16]

وقال عنه المازني(1890م–1949م): « من أراد أن يعمل كتابا كبيرا في النحو بعد كتاب سيبويه فليستحي مما أقدم عليه».[17]

وكان سيبويه أول النحاة الذين اهتموا بهذه الظاهرة اللغوية، حيث لا يكاد يغفل في كتابه موضعا يدخل فيه التقديم والتأخير إلاَّ ذكره، يقول عبد القادر حسين :« هذه القضية الكبرى التي تناولها علماء

[15]- ابن الأثير، ضياء الدين. المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر. تحقيق أحمد الحوفي والدكتور بدوي طبانة. ط 2. الرياض: دار الرفاعي، 1403 هـ، ص 98.

[16]- البغدادي، عبد القادر بن عمر : خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب. تحقيق عبد السلام هارون. ط3. القاهرة: مكتبة الخانجي، 1409هـ ، ج1، ص 371.

[17]- المرجع نفسه ، ج1، ص 371.

النحو والبلاغة واللغة، ومازلنا نقرأ عنها حتى يومنا هذا في النحو والنقد والبلاغة، هي من أساسها من صنع سيبويه فهو أول من أشار إليها، وطرق بابها، ولاشك أن هذا فضل ينسب إليه بالفخار».[18]

ويعدّ سيبويه أوّل من تطرّق إلى سرّ هذا اللون البلاغي من العلماء فيما نعلم، حيث ذكر في كتابه كلاما عن التقديم والتأخير هو أبو عذره وصاحب الريادة فيه، فنحن نلحظ أن العلماء قبله كانوا يعرفون التقديم والتأخير، ولكنهم لم يقفوا على أسراره البلاغية، فهذا يونس بن حبيب(90هـ-183هـ) الذي روى عنه سيبويه كثيرا من مسائل الكتاب يعرف التقديم ويذكره حين يعرض لجواب الشرط بعد الاستفهام فيقول:« أإن تأتيني آتيك بالرفع، ويقول : هو في نية التقديم ويقدره أآتيك إن تأتني» ولا يزيد ، أما سيبويه حين يعالج التقديم والتأخير في الكلام فإنه يلفت النظر إلى سر بلاغي هام، تلقفه علماء النحو والبلاغة فناقشوه مؤيدين ومعارضين».[19]

يقول سيبويه : «هذا باب الفاعل الذي يتعداه فعله إلى مفعول وذلك قولك : ضرب عبدُ الله زيداً، فعبد الله ارتفع هاهنا كما ارتفع في ذهب ، وشغلت ضرب به كما شغلت به ذهب ، وانتصب زيد لأنه مفعول تعدى إليه فعل الفاعل ، فإن قدمت المفعول وأخرت الفاعل جرى اللفظ كما جرى في الأول، وذلك قولك: ضرب زيداً عبدُ الله ، لأنَّك إنما أردت به مؤخرًا ما أردت به مقدمًا ، ولم ترد أن تشغل الفعل بأول منه ، وإن كان مؤخرا في اللفظ، فمن ثمَّ كان حد اللفظ أن يكون فيه مقدما وهو عربي جيد كثير، كأنهم إنما يقدمون الذي بيانه أهمُّ لهم وهم ببيانه أعنى، وإن كانا جميعا يهمَّانهم ويعنيانهم».[20]

من المعلوم أنّ المفعول في الجملة العربية يتأخر عن الفاعل، ولكن قد يتقدم لعلة يريدها المتكلم وهي العناية والاهتمام ، قال سيبويه : «هذا باب ما يكون فيه الاسم مبنيا على الفعل قُدِّم أو أُخر ، وما يكون الفعل فيه مبنيا على الاسم ، فإذا بنيت الاسم عليه قلت ضربت زيداً وهو الحد ، لأنك تريد أن تعمله

[18]- حسين، عبد القادر : أثر النحاة في البحث البلاغي. ط2. قطر: دار قطري بن الفجاءة، د.ت ، ص96.

[19]- المرجع نفسه ، ص89.

[20]- سيبويه، أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر : الكتاب. تحقيق عبد السلام هارون. ط3. بيروت: دار الكتب العلمية، 1408هـ ، ج1، ص34.

وتحمل عليه الاسم كما كان الحد ضرب زيدٌ عمراً ، حيث كان زيد أول ما تشغل به الفعل وكذلك هذا إذا كان يعمل فيه ، وإن قدمت الاسم فهو عربي جيد ، كما كان ذلك عربيًّا جيداً ، وذلك قولك زيداً ضربت والاهتمام والعناية هنا في التقديم والتأخير سواء ، مثله في ضرب زيدٌ عمراً وضرب عمراً زيدٌ »[21].

ونرى ابن جنّي(321هـ-392هـ) يقرر كلام سيبويه في تقديم المفعول إذ يقول في" المحتسب ": « ينبغي أن يعلم ما أذكره هنا ، وذلك أن أصل وضع المفعول أن يكون فضلة ، وبعد الفاعل ، كضرب زيدُ عمرَا ، فإذا عناهم ذكر المفعول قدموه على الفاعل فقالوا : ضرب عمرَا زيدُ ، فإذا زادت عنايتهم به قدموه على الفعل الناصبة فقالوا : عمرًا ضرب زيدُ . وهذا كله يدل على شدة عنايتهم بالفضلة ... وهذه صورة انتصاب الفضلة مقدمة لتدل على قوة العناية به».[22]

وثمَّة علة أخرى يشير إليها سيبويه غير العناية والاهتمام ، يقول في" باب ظنَّ ": «فإن ألغيتَ قلت : عبد الله أظن ذاهب، وهذا إخال أخوك، وفيها أرى أبوك، وكلما أردت الإلغاء فالتأخير أقوى، وإنّما كان التأخير أقوى لأنّه يجيء بالشكّ بعدما يمضي كلامه على اليقين، أو بعدما يبتدئ، وهو يريد اليقين ثمّ يدركه الشكّ»[23].

فالتقديم هنا ليس للعناية والاهتمام كما في تقديم المفعول على الفاعل أو الفعل « وإنما التقديم هنا لغرض بلاغي آخر ، ولعامل نفسي طرأ على المتكلم أثناء كلامه وحوَّل يقينه إلى شكّ ، فألزمه تغيُّر وضع الألفاظ عما كان ينبغي أن تكون عليه» [24].

---

[21]- سيبويه : مرجع سابق ، ج 1، ص ص 80،81.

[22]- ابن جني، أبي الفتح عثمان : المحتسب. تحقيق علي النجدي ناصف، عبد الحليم النجار، عبد الفتاح شلبي. ط2. استامبول: دار سزكين، 1406هـ ، ج1، ص 65.

[23]- سيبويه : مرجع سابق ، ج 1، ص ص 119،120.

[24]- عبد القادر حسين : مرجع سابق ، ص90.

وسيبويه لا يكاد يمر على موضع من مواضع التقديم والتأخير إلا ويشير إليه يقول : «والتقديم والتأخير فيما يكون ظرفا ، أو يكون اسما في العناية والاهتمام مثله فيما ذكرت لك في باب الفاعل والمفعول»[25].

وفي" باب إنَّ " يقول : « واعلم أن التقديم والتأخير والعناية والاهتمام هاهنا مثله في باب كان »[26].

ولم يقتصر سيبويه على العناية والاهتمام بل ذكر أنَّ التقديم يأتي لتنبيه السامع يقول : «وإذا بنيت الفعل على الاسم قلت :" زيدٌ ضربتُهُ " فلزمته الهاء ، وإنما تريد بقولك: مبني عليه الفعل أنَّه في موضع منطلق؛ إذا قلت:" عبد الله منطلق " ، فهو في موضع هذا الذي بني على الأول وارتفع به ، فإنَّما قلت: "عبد الله" فنبهته ، ثم بنيت عليه الفعل ورفعته بالابتداء»[27].

فالتقديم والتأخير عند سيبويه كثيرًا ما يأتي للعناية والاهتمام وأحيانا يأتي للتأكيد والتنبيه.

4. أهميته عند البلاغيين : "عبد القاهر الجرجاني"(ت. 471هـ)

التقديم والتأخير من أهم مباحث علم المعاني والذي يشكل أحد علوم البلاغة ، ويعدّ التقديم والتأخير من أهم الظواهر اللغوية التي أكسبت اللغة مرونتها وطواعيتها ، فهو يسمح للمتكلم أن يتحرك بحرية متخطيا الرتب المحفوظة ، فيختار من التراكيب ما يمنح موقفه الفكري والوجداني خصوصيته وتفرده ، ولمَّا أدرك البلاغيون أهمية هذه الظاهرة أولوها عنايتهم ، ومحصوا كلام النحويين فيها واستفادوا منه ، وسعوا في تطويره ، ومن أبرز العلماء الذين أولوها اهتمامهم وكشفوا عن كثير من أسرارها البلاغية

[25]- سيبويه : مرجع سابق ، ج 1، ص 56.
[26]- المرجع نفسه ، ج 2، ص 143.
[27]- المرجع نفسه ، ج 1، ص 81.

الإمام عبد القاهر الجرجاني رحمه الله، ولاغرو فهو صاحب نظرية النظم* وقد عرف النظم بأنه :«توخي معاني النحو في معاني الكلم»[28].

ونستنتج أنّ عبد القاهر يرتب على هذا أن المزايا في النظم إنما تكون بحسب توخي المعاني والأغراض ، وباب التقديم والتأخير كله يقوم على هذا الأساس.

واهتمامه بالتقديم والتأخير وغيره من الأبواب التي تناولها بالدراسة والتحليل كالحذف والتكرار والفصل والوصل ، إنما الباعث له أنها وسيلة من وسائل الإعجاز القرآني «وليت شعري إن كانت هذه أمورا هينة ، وكان المدى فيها قريبا ، والجدى يسيرا ، ومن أين كان نظم أشرف من نظم ؟ وبم عظم التفاوت واشتد التباين وترقى الأمر إلى الإعجاز؟ وإلى أن يقهر أعناق الجبابرة»[29].

أمّا عبد القاهر فقد أفرد له فصلا في كتابه " دلائل الإعجاز" وفصل القول فيه في إحدى وأربعين صفحة فهو عنده «باب كثير الفوائد جمّ المحاسن واسع التصرف بعيد الغاية ، لايزال يفترّ لك عن بديعه ويفضي بك إلى لطيفه ، ولا تزال ترى شعرا يروقك مسمعه ويلطف لديك موقعه ، ثمّ تنظر فتجد سبب أن راقك ولطف عندك أن قدّم فيه شيء ، وحوّل اللفظ عن مكان إلى مكان»[30].

ودرس عبد القاهر في هذا الفصل ظاهرة التقديم والتأخير في سياق الاستفهام، والنفي، والإثبات.

وقد أفاد فيه من سيبويه الذي أدرك هذه الظاهرة وأحسن عبد القاهر تعليلها وكشف عن بلاغتها ، وتجاوز ما وقف عنده سيبويه ، وفي ذلك يقول :«وقد وقع في ظنون الناس أنّه يكفي أن يقال : "إنّه قدم للعناية ، ولأنّ ذكره أهم" من غير أن يذكر من أين كانت تلك العناية ؟ وبم كان أهم ؟ ولتخيّلهم ذلك قد

---

* – ليس عبد القاهر أوّل من تحدّث عن النّظم فقد سبقه إلى ذلك الجاحظ والخطابي والباقلاني، والقاضي عبد الجبار، ولكنه هو الذي اتسع في القضية، وجعل منها نظرية مكتملة الجوانب.

[28]- الجرجاني، عبد القاهر بن عبد الرحمن : دلائل الإعجاز. تحقيق محمود محمد شاكر. ط2. القاهرة: مكتبة الخانجي، 1410 هـ ، ص 361.

[29]- المرجع نفسه ، ص 109.

[30]- المرجع نفسه ، ص 106.

صغر أمر التقديم والتأخير في نفوسهم ، وهوّنوا الخطب فيه ، حتى إنّك لترى أكثرهم يرى تتبعه والنظر فيه ضربا من التكلف ، ولم ترى ظنّا أزرى على صاحبه من هذا وشبهه»[31].

والتقديم عنده على وجهين :

أ- تقديم على نية التأخير ويحتفظ فيه المقدم بحكمه الإعرابي الذي كان عليه كتقديم الخبر على المبتدإ ، أو المفعول على الفاعل كقولك : "منطلق زيد" و"ضرب عمراً زيدٌ ".

ب- تقديم لا على نية التأخير فيه تنقل الشيء عن حكمه الإعرابي إلى حكم آخر نحو : "زيد المنطلق" و" المنطلق زيد" فكلا من زيد والمنطلق يتغير إعرابه بتغير التركيب ، وأظهر منه : "ضربت زيداً " عندما تقدم زيداً فإنّك تنقله من المفعولية إلى الابتداء[32].

وبيّن أنه يكون لفائدة في كل حال وأنّ من الخطأ أن يقسم الأمر في تقديم الشيء وتأخيره قسمين، فيجعل مفيدا في بعض الكلام وغير مفيد في بعض، [33] وقد درس التقديم والتأخير في السياقات التالية: الاستفهام، النفي، الخبر المثبت.

1.4. التقديم والتأخير في سياق الاستفهام:

تحدث الشيخ عبد القاهر فيه عن تقديم الفعل بقسميه الماضي و المضارع على الاسم، وكذا العكس، فإن كان الفعل ماضيا وبدأت به فقلت:" أفعلتَ؟ " كان الشك في الفعل نفسه، وكان غرضك من استفهامك أن تعلم وجوده، وإذا قلت:" أأنت فعلتَ؟" فبدأت بالاسم كان الشك في الفاعل من هو، وكان التردد فيه[34]. وما يقال في الهمزة إذا كانت للاستفهام بمعناه الحقيقي، يقال فيها إذا كانت للتقرير، ومنه قوله- سبحانه-:

[31]- الجرجاني : مرجع سابق ، ص 108.
[32]- انظر : المرجع نفسه ، ص ص 107،106.
[33]- انظر : المرجع نفسه ، ص 110.
[34]- انظر : المرجع نفسه ، ص 111.

﴿ قَالُوٓاْ ءَأَنتَ فَعَلْتَ هَـٰذَا بِـَٔالِهَتِنَا يَـٰٓإِبْرَٰهِيمُ ﴾ (الأنبياء:62) « لا شبهة في أنّهم لم يقولوا ذلك له –عليه السلام– وهم يريدون أن يقرّ لهم بأنّ كسر الأصنام قد كان، ولكن أن يقرّ بأنّه منه كان، وكيف؟ وقد أشاروا له إلى الفعل في قولهم:" أأنت فعلت هذا؟ " وقال هو – عليه السلام– في الجواب: ﴿ بَلْ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمْ هَـٰذَا ﴾ (الأنبياء:63) ولو كان التقرير بالفعل لكان الجواب: " فعلت " أو " لم أفعل " ».[35]

وأمّا إن كان الفعل مضارعا لم يخل من أن تريد الحال أو الاستقبال فإن أردت الحال كان المعنى شبيها بما مضى في الماضي » .[36]

« وإن أردت بـِ:" تفعل" المستقبل كان المعنى إذا بدأت بالفعل على أنك تعمد بالإنكار إلى الفعل نفسه، وتزعم أنّه لا يكون، أو أنّه لا ينبغي أن يكون، فمثال الأوّل"

أيَقتُلُنِي و المشرفيّ مضَاجِعي ومَسْنونة زرق كَأَنْيَاب أَغْوَال*

فهذا تكذيب منه لإنسان تهدّده بالقتل، وإنكار أن يقدر على ذلك ويستطيع، ومثله أن يطمع طامع في أمر لا يكون مثله، فتجهّله في طمعه فتقول:" أيرضى عنك فلان وأنت مقيم على ما يكره؟ ".

ومثال الثاني، قولك لرجل يركب الخطر: " أتخرج في هذا الوقت؟ أتذهب في غير الطريق؟ أتغرر بنفسك؟"، وقولك للرجل يضيع الحق:" أتنسى قديم إحسان فلان؟ "»[37].

وجملة الأمر أنك تنحو بالإنكار نحو الفعل، فإن بدأت بالاسم فقلت: أأنت تفعل؟كنت وجهت الإنكار إلى نفس المذكور، وأبيت أن تكون بموضع أن يجيء منه الفعل، إمّا لأنّه عاجز عن القيام به وأنه ليس في

---

[35]- الجرجاني : مرجع سابق ، ص 113.

[36]- المرجع نفسه ، ص 116.

*- البيت لامرئ القيس من قصيدة مطلعها:

أَلاَ عِمْ صَبَاحًا أَيُّهَا الطَّلَل البَالِي وَهَلْ يَعِمْن مَنْ كَانَ فِي العَصْرِ الخَالِي

انظر : امرؤ القيس، ابن حجر بن الحارث : ديوان امرئ القيس. تحقيق مصطفى عبد الشافي. ط1. بيروت: دار الكتب العلمية، 1403هـ، ص12.

[37]- الجرجاني : مرجع سابق ، ص ص 116،117.

وسعه كقولك:" أأنت تمنعني؟ ، أأنت تأخذ على يدي؟" فكأنك تقول له غيرك يستطيع ذلك، أمّا أنت فلا ولست بذاك، وإمّا لأنّه لا يختاره ولا يرتضيه، وأنّ نفسه تأباه وتكرهه، ومثاله : أهو يمنع الناس حقوقهم؟ هو أكرم من ذاك. وإمّا لصغر قدره وقصر همّته، وأنّ نفسه نفس لا تسمو وذلك قولك : أهو يسمح بمثل هذا؟ أهو يرتاح للجميل؟ هو أقصر همّة من ذلك، وأقل رغبة في الخير مما تظن.[38]

2.4. التقديم والتأخير في سياق النفي:

حال التقديم مع النفي كحاله مع الاستفهام، «فإذا قلت: " ما فعلتُ" كنت نفيت عنك فعلا لم يثبت أنّه مفعول، وإذا قلت:" ما أنا فعلتُ" كنت نفيت عنك فعلا يثبت أنّه مفعول » [39].

ومما هو مثال بيّن في أن تقديم الاسم يقتضي وجود الفعل قوله:

وَمَا أَنَا أسْقَمْتُ جِسْمِي بِهِ وَلا أَنَا أَضْرَمْتُ فِي القَلْبِ نَارَا♣

المعنى على أنّ السقم ثابت موجود، وليس القصد بالنفي إليه، ولكن إلى أن يكون هو الجالب له، ويكون قد جرّه إلى نفسه، ومثله في الوضوح قوله:

ومَا أَنَا وَحْدِي قُلْتُ ذَا الشِّعْرَ كُلّه♣

الشعر مقول على القطع، والنفي لأن يكون هو وحده القائل له.[40]

---

[38]- انظر : الجرجاني : مرجع سابق ، ص ص 117، 118.

[39]- المرجع نفسه ، ص 124.

♣- قاله المتنبي في قصيدة مطلعها:

أَرَى ذَلكَ القُربَ صَار ازْوِرَارَا وصَار طَوِيل السَّلاَم اختِصَارَا

انظر : المتنبي، أبو الطيّب : ديوان المتنبي. بيروت: دار صادر، د.ت ، ص 365.

♣- هذا صدر بيت للمتنبي وعجزه ولكن لشعري فيك من نفسه شعر =

= من قصيدة يمدح بها علي بن أحمد الأنطاكي ومطلعها:

أطَاعِن خَيْلا من فَوَارِسِها الدَّهر وحِيدا ومَا قَولِي كَذَا وَمَعِي الصَّبْر

انظر: أبو الطيّب المتنبي : مرجع سابق ، ص 192.

[40]- الجرجاني : مرجع سابق ، ص 125.

و يقرر الشيخ عبد القاهر أن النفي يكون عامًّا في حال تقديم الفعل فيصلح قول القائل: « " ما قلت شعرا قطّ، وما أنا أكلت اليوم شيئا " أمّا تقديم الاسم منفيا فلا يعطي دلالة العموم و الشمول التي اكتسبها الفعل بتقديمه، فلا يصلح أن يقال:" ما أنا قلت شعرا قطّ، وما أنا أكلت اليوم شيئا " لأن هذا يقتضي المحال وهو أن يكون هناك إنسان قال كل شعر في الدنيا، وأكل كل شيء يؤكل» .[41]

ويبرهن على صحة ما ذهب إليه بأمثلة مركبة فيقول: « يصحّ لك أن تقول:" ما قلت هذا، ولا قاله أحد من الناس" ولا يصح ذلك في الوجه الآخر، فلو قلت: " ما أنا قلت هذا ولا قاله أحد من الناس" كان خلفا من القول، لأنك أثبتّ كلاما مقولا في بداية حديثك، ثم تقول بعد ذلك : " ولا قاله أحد من الناس" فتناقض ما بدأت به » .[42]

3.4. التقديم والتأخير في سياق الخبر المثبت:

يقسّم عبد القاهر– رحمه الله– تقديم الاسم على الفعل في سياق الخبر المثبت إلى قسمين وفيهما يقول: « فإذا عمدت إلى الذي أردت أن تحدّث عنه بفعل فقدّمت ذكره، ثم بنيت الفعل عليه فقلت:" زيد قد فعل" و " أنا فعلت " و " أنت فعلت " اقتضى ذلك أن يكون القصد إلى الفاعل، إلا أنّ المعنى في هذا القصد ينقسم قسمين: أحدهما جلي لا يشكل : وهو أن يكون الفعل فعلا قد أردت أن تنص فيه على واحد فتجعله له ، وتزعم أنّه فاعله دون واحد آخر أو دون كل أحد، نحو : " أنا كتبت في معنى فلان ، وأنا شفعت في بابه " تريد أن تدَّعي الانفراد بذلك والاستبداد ، ومنه قولهم في المثل : " أتعلمني بضب أنا حرشته " [43] ، فلم يحرشه أحد سواي وهذا القسم يفيد تخصيص المسند إليه بالخبر الفعلي .

[41]– انظر : الجرجاني : مرجع سابق ، ص 124.

[42]– المرجع نفسه ، ص 125.

[43]– المرجع نفسه ، ص 128

والقسم الثاني : أن لا يكون القصد إلى الفاعل على هذا المعنى ، ولكن على أنك أردت أن تحقق على السامع أنّه قد فعل وتمنعه من الشك، فأنت لذلك تبدأ بذكره ، وتوقعه أولا في نفسه لكي تباعده بذلك من الشبهة ، وتمنعه من الإنكار ، ومثاله قولك : " هو يعطي الجزيل " فأنت لا تريد أن تزعم أنّه ليس هنا من يعطي الجزيل غيره ، ولا أن تعرِّض بإنسان وتحطّه عنه ، ولكن تريد أن تحقّق على السامع أنّ إعطاء الجزيل دأبه ، وأن تمكِّن ذلك في نفسه»[44].

ويكشف لنا عبد القاهر عن سر هذه التقوية ، وعلة هذا التوكيد بقوله : « وذلك أنّه لا يؤتى بالاسم معرَّى من العوامل إلاّ لحديث قد نوى إسناده إليه ، وإذا كان كذلك ، فإذا قلت : " عبد الله " فقد أشعرت قلبه بذلك أنك قد أردت الحديث عنه ، فإذا جئت بالحديث فقلت مثلا : " قام " أو قلت : " خرج " أو قلت : " قدم " فقد علم ما جئت به ، وقد وطّأت له ، وقدمت الإعلام فيه ، فدخل على القلب دخول المأنوس به ، وقبله قبول المهيّأ له والمطمئن إليه ، وذلك لا محالة أشد لثبوته ، وأنفى للشبهة ، وأمنع للشك وأدخل في التحقيق»[45]، ويُلمح عبد القاهر بحسِّه الجمالي إلى الجانب الوجداني في التقديم، وأثره على المتلقي، متخطيا ومتجاوزًا الجانب النحوي الذي يحتمله السياق، على حين نرى القزويني(666هـ–739هـ) يوقفه على الجانب النحوي، ويقصره عليه، ويرى أنّ سبب التقوية هو تكرار الإسناد، فإذا قلت: "هو يعطي الجزيل" فأنت ذكرت المسند أولاً ثمّ أعدته بالضمير ثانيا.[46]

4.4. مثل وغَير:

وهما مما يلزم تقديمه في التراكيب البليغة ، إذ أنّه مركوز في الطباع وجار في عادة كل قوم ، ومنه قول المتنبي(303هـ–354هـ) :

---

[44]– الجرجاني : مرجع سابق ، ص ص 128 ، 129.

[45]– المرجع نفسه ، ص 132.

[46]– انظر : القزويني، جلال الدين محمد بن عبد الرحمن : التلخيص في علوم البلاغة. تحقيق عبد الرحمن البرقوقي. بيروت: دار الكتاب العربي، د.ت ، ص 89 .

مِثْلُكَ يَثْنِي الحزن عَنْ صَوْبِهِ وَيَسْتَرِدُّ الدَّمْعَ عَنْ غَرْبِهِ♣

وقول أبي تمام(803م-845م) :

وغَيْرِي يَأْكُلُ المَعْرُوفَ سُحْتَا وَتَشْحُبُ عِنْدَه بِيضُ الأيَادِي♣

فهو لا يريد أن يعرّض بشاعر سواه ، وإنّما أراد أن ينفي عن نفسه أنه ممن يكفر النعمة ويلؤم[47].

فإن أخرتهما وقلت : " يثني الحزن عن صوبه مثلك " و" يأكل غيري المعروف سحتا " رأيت كلاما مقلوبا عن جهته ومغيراً عن صورته ، ورأيت اللفظ قد نبا عن معناه ، ورأيت الطبع يأبى أن يرضاه[48].

5.4. تقديم النكرة على الفعل :

وفيه يختم عبد القاهر فصل التقديم والتأخير، ويتحدث فيه عن تقديم النكرة على الفعل في الاستفهام ، وفي الخبر المثبت .

فإذا قلت: " أجاءك رجل؟ " فأنت تريد أن تسأله، هل كان مجيء أحد من الرجال إليه؟ فإن قدمت الاسم فقلت: أرجل جاءك؟ فأنت تسأله عن جنس من جاءه أرجل هو أم امرأة؟ ويكون هذا منك إذا كنت علمت أنّه قد أتاه آت، ولكنك لم تعلم جنس ذلك الآتي ، فسبيلك في ذلك سبيلك إذا أردت أن تعرف عين الآتي فقلت : " أزيد جاءك أم عمرو؟ "،[49] وتقديم النكرة في الخبر مثلها في الاستفهام ، فأنت إذا قلت : " رجل جاءني " لم يصلح حتى تريد أن تعلمه أنّ الذي جاءك رجل لا امرأة ، ويكون كلام مع من قد عرف أن قد أتاك آت ، فإذا لم ترد ذاك ، كان الواجب أن تقول : " جاءني رجل " فتقدم الفعل .

♣- قاله المتنبي في قصيدة يرثي فيها عمَّة عضد الدولة ، ويعزِّيه بها ، ومطلعها :

آخِرُ مَا المُلْكُ مُعَزّى بِه هَذَا الذِي أَثَّرَ فِي قَلْبِه

انظر : أبو الطيّب المتنبي : مرجع سابق ، ص 557 .

♣- قاله أبو تمّام في قصيدة يمدح بها أحمد بن أبي داؤد ومطلعها :

سَقَى عَهْدَ الحمى سَيْل المَهَاد وَرَوَّضَ حَاضِر مِنْهُ وَبَاد

انظر : أبو تمام، حبيب بن أوس الطائي : ديوان أبي تمام. تحقيق شاهين عطية. بيروت: دار الكتب العلمية، د.ت ، ص 81 .

[47]- انظر : عبد القاهر الجرجاني : مرجع سابق ، ص ص 138، 139 .

[48]- انظر: المرجع نفسه ، ص 140 .

[49]- انظر: المرجع نفسه، ص 142 .

ومنه قولهم : "شرٌّ أهرَّ ذا ناب" قُدِّم فيه "شرٌّ" لأن المراد أن يعلم أن الذي أهرَّ ذا الناب هو من جنس الشر لا جنس الخير ، فجرى مجرى أن تقول : " رجلٌ جاءني " تريد أنّه رجل لا امرأة.[50]

ويظهر لنا من خلال كلام عبد القاهر أنّه لا فرق بين المعرفة والنكرة في أنّ بناءها على الفعل قد يكون للتخصيص ، وقد يكون للتقوِّي.

5. الجملة العربية:

اختلف النّحاة في تقسيمهم للجملة، فقسّموها وفق اعتبارات عدّة : فمنهم مَن قسّمها وفق الكلمة التي تقع في صدرها، ومنهم باعتبار وقوعها في نطاق جملة أخرى، ومنهم باعتبار وظيفتها، ومنهم باعتبار موقعها الإعرابيّ، ومنهم مَن زاد على ذلك، نرى هذا الأمر عند القدماء كما نراه عند المحدثين.

فإذا كان المألوف أن الجملة قسمان: اسمية وفعلية ، فإنّ بعض النحاة يذهب إلى القول بوجود قسم ثالث هو الجملة الظرفية ، والتي يكون ركنها المتقدم ظرفاً أو جاراً ومجروراً ، وفريق آخر يقرر وجود نوع رابع هو الجملة الشرطية[51]، وعندما نمعن النظر في تلك التقسيمات نجدها لا تخرج عن الاسمية والفعلية لأن الشرطية في التحقيق مركبة من جملتين فعليتين الشرط فعل وفاعل ، والجزاء فعل وفاعل ، والظرف في الحقيقة للخبر الذي هو استقر وهو فعل وفاعل[52].

وسيكشف البحث عن تعريف الجملة الاسمية والفعلية.

قال ابن هشام(1309م–1360م) : « فالاسمية هي : التي صدرها اسم " كزيد قائم "، " وهيهات العقيق "، و" قائم الزيدان"، عند من جوزه وهوالأخفش(ت. 830م) والكوفيون. والفعلية هي : التي صدرها فعل ، " كقام زيد "، و" ضُرب اللص" و" كان زيد قائماً "، و" يقوم زيد "، و" قم "، ومرادنا بصدر الجملة المسند

[50]– انظر: عبد القاهر الجرجاني : مرجع سابق ، ص 143.

[51]– انظر: ابن يعيش النحوي، موفق الدين بن علي : شرح المفصل. بيروت، د.ت ، ج 1، ص 88 .

[52]– الصفحة نفسها.

والمسند إليه ، فلا عبرة بما تقدم عليهما من الحروف ، فالجملة من نحو : " أقائم الزيدان" " أزيد أخوك " " لعل أباك منطلق " " وما زيد قائما " اسمية ، ومن نحو " أقام زيد "، و" إن قام زيد" ، و" قد قام زيد" ، و" هلاّ قمت " فعلية .

والمعتبر أيضا ما هو صدر في الأصل ، فالجملة من نحو: " كيف جاء زيد " ومن نحو:﴿ فَأَيَّ ءَايَـٰتِ ٱللَّهِ تُنكِرُونَ ﴾ (غافر:81) ومن نحو:﴿ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ ﴾ (البقرة:87).

﴿ خُشَّعًا أَبْصَـٰرُهُمْ يَخْرُجُونَ ﴾ (القمر:7) فعلية ، لأنّ هذه الأسماء في نية التأخير ، وكذا الجملة في نحو: " يا عبد الله " ، ونحو: ﴿ وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ ﴾ (التوبة:6) ﴿ وَٱلْأَنْعَـٰمَ خَلَقَهَا ﴾ (النحل:5) ﴿ وَٱلَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰ ﴾ (الليل: 1) فعلية ، لأنّ صدورها في الأصل أفعال والتقدير : أدعو عبد الله ، وإن استجارك أحد ، وخلق الأنعام ، وأقسم بالليل»[53].

وإن كان ثمّة فرق في الحد ، فهناك فرق في الاستعمال .

1.5. الجملة الاسمية:

فالاسمية تفيد بأصل وضعها ثبوت الحكم فحسب بلا نظر إلى تجدد ولا استمرار ، فلا يستفاد من قولنا : "علي مسافر" سوى ثبوت السفر فعلا لعلي دون نظر إلى تجدد ولا حدوث ، فالمعنى فيه شبيه بالمعنى في قولنا " محمد طويل" و" محمود قصير" ، فكما لا يقصد هنا إلى أن يجعل الطول والقصر يتجدد ويحدث بل إيجابهما وثبوتهما فقط ، كذلك لا يفيد قولنا : " علي مسافر" أكثر من إثبات السفر فعلا

[53]– ابن هشام الأنصاري، جمال الدين بن يوسف : مغني اللبيب عن كتب الأعاريب. تحقيق مازن المبارك و محمد علي حمد الله. راجعه سعيد الأفغاني. ط6 . بيروت، 1985م ، ج 2، ص 376 .

لعلي ، ولكن قد تحف بها قرائن أخرى تستفاد من سياق الكلام ، كأن تكون في معرض مدح أو ذم أو حكمة أو نحو ذلك ، فتفيد الدوام والاستمرار حينئذ ، وعليه قول النضر بن جؤية يتمدح بالغنى والكرم :

لا يألفُ الدِّرْهمُ المَضْروبُ صرَّتَنَا لكنْ يَمُرُّ عَلَيْهَا وَهُوَ مُنْطَلِقُ[54]

فهو يريد أنّ دراهمهم دائمة الانطلاق ، تمرق من الكيس مروق السهام من قسيها لتوزع على المعوزين وأرباب الحاجات .

ونظيره قوله- تعالى- :﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ (القلم: 4) فسياق الحديث في معرض المدح ، و" ال" على إفادة الاستمرار والدوام.

2.5. الجملة الفعلية:

والفعلية : تدل بأصل وضعها على التجدد في زمن معين مع الاختصار ، فلا يستفاد من نحو: " طلعت الشمس" إلا إثبات الطلوع فعلا للشمس في زمن مضى ، تفسير هذا أنّ الفعل يدل على أحد الأزمنة الثلاثة بذاته لا بقرينة خارجية عنه ، وهذا الزمن الذي هو أحد مدلوليه (مدلوله الثاني الحدث) لا تجمع أجزاؤه في الخارج بل تتصرَّم وتنقضي شيئا فشيئا ، ومن ثمّ كان الفعل مع إفادته الزمن يفيد أيضا تجدد الحدث وحصوله بعد أن لم يكن ، بخلاف الاسم فإنّه إنّما يدل على الزمن المعين بقرينة أخرى كأن يقال : أمس أو الآن أو غداً [55].

ومن بديع ما يلتمس من فرق في الاستعمال تعليق ابن الأثير على قوله- تعالى- :﴿ وَإِذَا لَقُواْ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوۡاْ إِلَىٰ شَيَٰطِينِهِمۡ قَالُوٓاْ إِنَّا مَعَكُمۡ ﴾ (البقرة:14) قال : « فإنهم إنّما خاطبوا المؤمنين بالجملة الفعلية ، وشياطينهم بالجملة الاسمية المحققة بأنّ المشدّدة ، لأنّهم في مخاطبة إخوانهم بما

[54]- البيت للنضر بن جؤية ، انظر : عبد القاهر الجرجاني : مرجع سابق ، ص 174.

[55]- انظر : المراغي، أحمد مصطفى : علوم البلاغة. بيروت: دار القلم، د.ت ، ص ص55، 56 .

أخبروا به عن أنفسهم من الثبات على اعتقاد الكفر ، والبعد من أن يزلّوا عنه على صدق ورغبة ووفور نشاط ، فكان ذلك متقبلا منهم ، ورائجا عند إخوانهم وأما الذي خاطبوا به المؤمنين فإنّما قالوه تكلفاً وإظهاراً للإيمان خوفا ومداجاة ، وكانوا يعلمون أنّهم لو قالوه بأوكد لفظ وأسدّه لما راج لهم عند المؤمنين إلا رواجا ظاهراً لا باطناً ، ولأنّهم ليس لهم في عقائدهم باعث قويّ على النطق في خطاب المؤمنين بمثل ما خاطبوا به إخوانهم من العبارة المؤكدة، فلذلك قالوا في خطاب المؤمنين : " آمنّا " وفي خطاب إخوانهم: " إنّا معكم " »[56].

وتقوم بنية الجملة في العربية على ركنين يعدّان الدعامة الأصلية في الجملة ، وقد سمّاها سيبويه المسند والمسند إليه وعرفهما بأنّهما : « مالا يغني واحدٌ منهما عن الآخر ، ولا يجد المتكلم منه بدًّا ، فمن ذلك الاسم المبتدأ أو المبنيُّ عليه وهو قولك : " عبد الله أخوك" ، و" هذا أخوك" ، ومثل ذلك : "يذهب عبد الله" فلا بدّ للفعل من الاسم كما لم يكن للاسم الأول بدٌّ من الآخر في الابتداء ، ومما يكون بمنزلة الابتداء كقولك : " كان عبد الله منطلقا " ، و" ليت زيداً منطلق " ، لأنّ هذا يحتاج إلى ما بعده كاحتياج المبتدأ إلى ما بعده»[57].

إذاً فالجملة العربية تنعقد من هذين العنصرين الأساسيين ، وما سواهما في الجملة من التوابع والمفاعيل تسمى مكملات الجملة تجيء لتؤدي وظائف نحوية معينة وتؤثر في المعنى ، فقد يحتاج المتكلم إلى طول الجملة فيأتي بعناصر غير إسنادية ، فتفيد زمان الفعل أو مكانه أو تصف كلمة ، وما إلى ذلك مما يحتاج إليه المتكلم ، وللجملة العربية خاصية عظمى تؤثر في أحكامها وإبراز خصائص اللغة وأسرار التركيب ، وهذه الخاصية هي ظاهرة التقديم والتأخير ، وتعتبر من أهم الظواهر اللغوية التي أكسبت اللغة مرونتها وطواعيتها ، وهي لون من ألوان حرية الجملة العربية ، ولأهميتها في التركيب اللغوي ، تطرَّق لها كثير من النحويين والبلاغيين وعرضوا لِمَا يجوز فيه التقديم وما يمتنع وبحث التقديم يشمله لونان :

[56]– ابن الأثير: مرجع سابق، ج 2، ص ص 269، 270 .

[57]– سيبويه : مرجع سابق ، ج 1، ص 23 .

(التقديم بين جزئي الجملة والتقديم في المتعلقات).[58]

والمراد بجزئي الجملة المسند والمسند إليه .

ونقف مع المسند إليه للتعريف به وإيضاح ما يفيده من قيم بلاغية في حال العدول عن الأصل من خلال أسلوب التقديم والتأخير.

1.2.5. تعريف المسند وأغراض تقديمه:

1.1.2.5. المسند:

وهو المحكوم به ويكون فعلاً تقييده على أخصر وجه مع إفادة التجدد بأحد الأزمنة الثلاثة : الماضي والمستقبل والحال ، ويكون اسماً لإفادة الثبوت ويأتي مفرداً نحو : " علي مسافر" ، كما يأتي جملة نحو : " علي يقوم " [59] وليس بلازم من كون المسند فعلاً أن يكون جملة ، فقد يكون فعلاً وهو مفرد نحو: "ينطلق زيد " ، وكونه جملة مثل : " زيد ينطلق أو زيدٌ أبوه منطلق " ، وهو أنّ الجملة تفيد تقوي الحكم وقد قالوا : إنّ كل ما خبره جملة يفيد التقوي [60].

« وتكون جملة المسند اسمية لإفادة الثبوت ، وفعلية لإفادة التجدد والحدوث في أحد الأزمنة الثلاثة على أخصر وجه ، وشرطية للاعتبارات المختلفة الحاصلة من أدوات الشرط في نحو : " أزيد إن تلقه يكرمك" أو " إذا لقيته يكرمك " فقد أخبرت أولاً بالإكرام الذي يحصل على تقدير اللقاء المشكوك فيه ، وثانياً بالإكرام الحاصل على تقدير وقوع اللقاء المحقق .

ومواضع المسند ثمانية :

خبر المبتدأ : نحو : " قادر" من قولك : " الله قادر" .

---

[58]– محمد أبو موسى : البلاغة القرآنية في تفسير الزمخشري ، مرجع سابق ، ص 270 .

[59]– انظر : بدوي، طبانة : معجم البلاغة العربية. ط 3. جدة: دار المنار، 1408 هـ ، ص ص 281 ، 282 .

[60]– انظر : أبو موسى، محمد : دلالات التراكيب (دراسة بلاغية). ط2. مصر: مكتبة وهبة ، 1408 هـ ، ص 236 .

الفعل التام : نحو : " حضر" من قولك : " حضر الأمير" .

واسم الفعل : نحو : " هيهات " و" آمين " .

والمبتدأ الوصف المستغني عن الخبر بمرفوعه : نحو : " عارف " من قولك : " أعارفٌ أخوك قدر الإنصاف " .

وأخبار النواسخ " كان ونظائرها " و" إنّ ونظائرها " .

والمفعول الثاني لظنّ وأخواتها .

والمفعول الثالث لأرى وأخواتها .

والمصدر النائب عن فعل الأمر»[61] .

2.1.2.5. تقديم المسند:

يقدم المسند للأغراض الآتية :

أ –للتنبيه من أول الأمر على أن المقدم خبر لا نعت إذ النعت لا يتقدم على المنعوت كقول الشاعر:[62]

لَهُ هِمَمٌ لا مُنْتَهَى لِكِبَارِهَا وَهِمَّتُهُ الصُّغْرَى أجَلُّ مِن الدَّهْرِ[63]

« لم يقل: " همم له " لئلا يتوهم أنّ الظرف نعت ، إذ حاجة النكرة إليه أشدّ من حاجتها إلى الخبر، وفي جعله نعتاً صرف للكلام عن الغرض الذي سيق له وهو مدح النبي صلى الله عليه وسلم إلى مدح هممه».[64]

---

[61] – بدوي طبانة : مرجع سابق ، ص 282 ، 283 .

[62] – البيت لبكر بن النطاح في مدح أبي دلف العجلي ، وقبله :

لَهُ رَاحَة لو أنّ مِعْشَارَ جُودِهَا على البُرَكَان البّر أنْدَى مِنَ البَّحْر

انظر : الأصفهاني، أبو الفرج علي بن الحسين : الأغاني. تحقيق عبد الكريم الغرباوي ومحمود غنيم. بيروت: مؤسسة جمال للطباعة والنشر، د.ت ،ج 19، ص 109.

وعزاه المغربي والسبكي إلى حسان بن ثابت في مدح الرسول– صلى الله عليه وسلم– .

[63] – انظر : القزويني، جلال الدين محمد بن عبد الرحمن : مختصر سعد الدين التفتازاني على تلخيص المفتاح. بيروت: دار الكتب العلمية، د.ت ،ج2، ص ص 114،115.

ب- أو التشويق إلى ذكر المسند إليه بأن يكون في المسند المتقدم طول يشوّق النفس إلى ذكر المسند إليه فيكون له وقع في النفس ومحل من القبول كقول الشاعر[65] :

ثَلاثَةٌ تُشْرَقُ الدنيَا بِبَهْجَتِهَا شَمْسُ الضُّحَى وأَبُو إسحاقَ والقَمَرُ [66]

« فإنّه لمّا قال : ثلاثة تشرق الدنيا ببهجتها ، تطلّعت النفوس إلى معرفتهم ، لأنّ في المسند ما يشعر بجليل خبرهم حيث تشرق الدنيا ببهجتهم ، فإذا أتى المسند إليه وقع في النفس موقعاً حسناً»[67] .

ج-فإن كان المسند ظرفاً : فإمّا أن يكون مثبتاً أو منفياً ، فإن كان مثبتاً فإنّه يفيد الاختصاص بمعرفة السياق تقول : " له العتبى ، وعنده الحاجة " ، فيصلح ذلك كلّه للاختصاص ولمجرد الاهتمام فقوله- تعالى-: ﴿ إِنَّ إِلَيْنَآ إِيَابَهُمْ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُم ﴾ (الغاشية:25-26) تقديم المسند فيه يفيد الاختصاص ، أي: إنّ إيابهم لا يكون إلاّ لله وإنّ حسابهم لا يكون إلاّ عليه ، أمّا قوله- تعالى- :﴿ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ ٱللَّهِ ﴾ (الحجرات:7) فليس التقديم فيه مفيداً للاختصاص وإنّما هو للاهتمام [68] .

قال الزمخشري(ولد سنة 467هـ) : « وفائدة تقديم خبر إنّ على اسمها هو القصد إلى توبيخ بعض المؤمنين على ما استهجن الله منهم من استتباع رأي رسول الله- صلى الله عليه وسلم- لآرائهم » [69] ، « وأمّا إن كان منفياً فإنّ إفادته للتخصيص موضع اتفاق بين البلاغيين فقوله- تعالى- :﴿ لَا فِيهَا غَوْلٌ ﴾ (الصافات:47) . يفيد التخصيص قطعاً ، والمراد قصر نفي الغول عليها بخلاف خمر الدنيا فإنّ فيها غولاً ،

---

[64] - بدوي طبانة : مرجع سابق ، ص 529 .

[65] - البيت لمحمد بن وهيب يمدح المعتصم .

انظر : ابن عرفة الدسوقي، محمد بن أحمد و ابن طولون الصالحي، محمد بن علي : حاشية الدسوقي على مختصر السعد شرح تلخيص المفتاح. بيروت: دار الكتب العلمية، 2002م ، ج 2، ص 116 .

[66] - انظر : القزويني : مختصر السعد على تلخيص المفتاح ، مرجع سابق ، ج 2، ص 116 .

[67]- أبو موسى، محمد : خصائص التراكيب. ط3. القاهرة: مكتبة وهبة، د.ت ، ص 251 .

[68] - انظر : محمد أبو موسى : دلالات التراكيب، مرجع سابق، ص 172 .

[69] - الزمخشري، أبو القاسم جار الله محمود بن عمر : الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل. بيروت، 1968م ، ج 4، ص 352

ولو قال : " لا غول فيها " لأفاد نفي الغول عنها فقط من غير أن يتعرض لخمور الدنيا » [70] ومن ثمّ لم يقدِّم الظرف في قوله– تعالى– :﴿ لَا رَيْبَ فِيهِ ﴾ (البقرة:2) لأنّه لو قُدِّم لاقتضى ثبوت الريب في سائر كتب الله– تعالى– ماعدا القرآن .

2.2.5. تعريف المسند إليه وأغراض تقديمه:

1.2.2.5. المسند إليه:

« ويسمى المحكوم عليه أو المتحدث عنه وله ستة مواضع :

الفاعل للفعل التام .

وأسماء النواسخ : كان وأخواتها ، وإنّ وأخواتها .

والمبتدأ الذي له خبر.

والمفعول الأول لظنّ وأخواتها .

والمفعول الثاني لأرى وأخواتها .

ونائب الفاعل »[71].

2.2.2.5. تقديم المسند إليه:

ويكون التقديم للأهمية لأحد الأسباب الآتية :

أ–لأنّ تقديمه هو الأصل ولا مقتضى للعدول عنه ، إذ هو المحكوم عليه ، ولا بدّ من تحققه قبل الحكم[72]، وإنّما ليتمكن الخبر في ذهن السامع لأنّ في المبتدأ تشويقاً إليه كقوله :

[70] – محمد أبو موسى : خصائص التراكيب ، مرجع سابق ، ص 250 .

[71]- بدوي طبانة : مرجع سابق ، ص 283.

[72]– انظر: القزويني : مختصر السعد على تلخيص المفتاح ، مرجع سابق ، ج 1، ص ص 390 ، 391 .

والذي حَارَتْ البرِيّةُ فِيهِ حيوانٌ مُسْتَحْدَثٌ مِنْ جَمَادِ[73]

فكون المسند إليه موصوفا بحيرة البرية فيه يوجب الاشتياق إلى أنّ الخبر عنه ماهو؟ وقوله: حيوان مستحدث من جماد، خبر مسوق بعد التشويق إليه فيتمكن في ذهن السامع ، والحال اقتضى مزيد اهتمام لتمكينه في أذهان السامعين ليحترز المحترز عن الضلال فيه ويزداد المهتدي فيه هدى[74].

ب- « وإمّا لتعجيل المسرّة أو المساءة ، لكونه صالحاً للتفاؤل أو التطير نحو : " سعد في دارك والسفاح في دار صديقك" »[75].

ج- وإمّا لإيهام أنّه لا يزول عن الخاطر لكونه مطلوبا كقولك :" العدو أولى ما يسر بقتله " ، أو إيهام أنّه يستلذ به لكونه محبوباً كقولك :" ليلى أشهى ذِكْراً " [76] « وإمّا لنحو ذلك مثل إظهار تعظيمه أو تحقيره»[77].

د – تخصيص المسند إليه بالخبر الفعلي ، أو تقوية الحكم وتقريره في ذهن السامع ، ونبسط الحديث في هذه الجزئية لأنّ لها أهميّة كبيرة في بحث البلاغيين ، فقد اهتم عبد القاهر وجمهور البلاغيين بتقديم المسند إليه على الخبر الفعلي « وهذا التركيب كما يقول البلاغيون صالح لأن يفيد أمرين :

الأول : تقوية الحكم فقولنا : " محمد يقول الشعر" أوكد في بيان أنّه يقول الشعر من قولنا : " يقول محمد الشعر" ومثله: " هو يعطي " أوكد في الدلالة من قولنا : " يعطي " ، ولذلك تجري هذه الصياغة في المقامات التي تدعو إلى التوكيد والتقرير مثل مواجهة الشك في نفس المخاطب والرغبة في إقناعه ، ومثل

---

[73]- لأبي العلاء المعري من قصيدة يرثي بها فقيهاً حنفياً ومطلعها :

غَيرَ مُجْدٍ فِي مِلَّتِي واعْتِقَادِي نَوْحُ بَاكٍ وَلاَ تَرَنُّمُ شَادِي

انظر : المعرّي، أبو العلاء : ديوان أبي العلاء المعرّي. "سقط الزند". شرح أحمد شمس الدين. ط1. بيروت: دار الكتب العلمية، 1410 هـ ، ص 204 .

[74]- انظر: المغربي، أبو العباس أحمد بن محمد بن يعقوب : مواهب الفتاح في شرح تلخيص المفتاح. بيروت- لبنان: دار الكتب العلمية، د.ت ، ج 1، ص ص391 ، 392.

[75]- القزويني : مختصر السعد على تلخيص المفتاح ، مرجع سابق ، ج1، ص ص 393 ، 394 .

[76]- انظر : السكاكي، سراج الدين يوسف بن أبي بكر : مفتاح العلوم. تحقيق نعيم زرزور. ط 2. بيروت: دار الكتب العلمية، 1407 هـ ، ص 195.

[77]- القزويني : مختصر السعد على تلخيص المفتاح ، مرجع سابق ، ج 1 ، ص 394 .

رد الدعوى التي يدّعيها المخاطب ، ومثل أن يكون المتكلم معنياً بكلامه مقتنعاً به ، فهو يريد أن يثبته في القلوب مقرراً كما هو مقرر في نفسه ، وغير ذلك من مقامات التقوية والتقرير».[78]

قال عبد القاهر في مثل هذا الأسلوب : « وممّا يحسن ذلك فيه ويكثر الوعد والضمان كقولك : " أنا أكفيك ، أنا أقوم بهذا الأمر" وذلك أنّ من شأن من تعدُه وتضمن له ، أن يعترضه الشك في تمام الوعد وفي الوفاء به ، فهو من أحوج شيء إلى التأكيد ، وكذلك يكثر في المدح كقولك : " أنت تعطي الجزيل" وكقول الآخر[79] : نَحْنُ في المَشتَاةِ نَدْعُو الجَفَلَى »[80].

الثاني : «أي أنّ الفعل خاص بالمسند إليه لا يتعداه إلى غيره ، وذلك يكون إذا ساعد السياق على ذلك»[81]، فإذا قلت : " أنا فعلت كذا " كان الكلام صالحا لإفادة الاختصاص ، وكأنّك تقوله لمن اعتقد أنّ غيرك فعله، أو أنّك فعلته مع غيرك ، وتقول في الأول : " لا غيري " وفي الثاني : " وحدي " ومن البين في ذلك قولهم في المثل : " أَتَعلمُنِي بِضَبّ أنا حَرَّشْتُه " أي ما حرّشه إلاّ أنا [82].

وهذا الكلام إذا كان المسند إليه معرفة، «أما إذا بني الفعل على منكر أفاد التقديم تخصيص الجنس أو الواحد به– أي بالفعل– نحو : " رجل جاءني" أي لا امرأة فيكون تخصيص جنس أو لا رجلان فيكون تخصيص واحد ، والذي يشعر به كلام الشيخ في " دلائل الإعجاز" أنّه لا فرق بين المعرفة والنكرة في أنّ البناء عليه قد يكون للتخصيص وقد يكون للتقوي »[83]، « ومعنى الاختصاص والتقوية لا يتعارضان ، فما يفيد التخصيص يفيد التقوية ، لأنّ الاختصاص كما قالوا تأكيد على تأكيد ، نعم قد يكون التركيب مفيداً

---

[78]– محمد أبو موسى : خصائص التراكيب ، مرجع سابق ، ص 170 .

[79]– البيت لطرفة بن العبد وعجزه : "لا تَرَى الأَدَبَ فِينَا يَنْتَقِر"

انظر : ابن العبد، طرفة : ديوان طرفة بن العبد. بيروت: دار صادر، د.ت ، ص 55 .

[80]– انظر : عبد القاهر الجرجاني : مرجع سابق ، ص ص 134، 135 .

[81]– محمد أبو موسى : خصائص التراكيب ، مرجع سابق ، ص 176 .

[82]– انظر : عبد القاهر الجرجاني : مرجع سابق ، ص 128 .

[83]– القزويني : مختصر السعد على تلخيص المفتاح ، مرجع سابق ، ج 1، ص ص 403 – 405 .

للتقوية فقط ، ولا تصلح معه دلالة الاختصاص »[84] كما مرّ معنا قريبا في قول طرفة : " نَحْنُ فِي المشتَاةِ نَدعُو الجَفلَى " ، فليست هنا دعوى تفرد واختصاص ، وإنّما المراد أنّ ذلك سجية من سجاياهم .

هـ– وما سبق إذا كان المسند إليه غير مسبوق بنفي كما مرّ معنا أمّا إذا سبق بنفي فإنّ القول فيه يختلف ، فعبد القاهر وجمهور البلاغيين يرون أنّه يفيد الاختصاص قطعاً ، ولعل الذي أغرى عبد القاهر بالقطع بأنّ مثل: "ما أنا فعلتُ" يفيد الاختصاص هو ما لاحظه من تسلط النفي على الفاعل ، ففهم من ذلك أنّ النفي خاص بالفاعل وأنّ الفعل غير منفي ، وإذا كان الفعل غير منفي ، وقد نفى فاعل معين فقد وجب أن يكون هذا الفعل مسنداً إلى فاعل آخر ، وهذا هو معنى الاختصاص [85]، «هذا وإن كان واضحاً أنّ خصوصية هذا التركيب تفيد القصر فليس فيه دلالة على لزومه »[86] وذلك كقوله– تعالى– :﴿ لَوۡ يَعۡلَمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ حِينَ لَا يَكُفُّونَ عَن وُجُوهِهِمُ ٱلنَّارَ وَلَا عَن ظُهُورِهِمۡ وَلَا هُمۡ يُنصَرُونَ بَلۡ تَأۡتِيهِم بَغۡتَةً فَتَبۡهَتُهُمۡ فَلَا يَسۡتَطِيعُونَ رَدَّهَا وَلَا هُمۡ يُنظَرُونَ ﴾ (الأنبياء:39–40) فقوله : " ولا هم ينصرون" " ولا هم ينظرون" قدّم فيه المسند إليه على الخبر الفعلي ، وهو مسبوق بحرف النفي ومع هذا يفيد التقوية فقط ، لأنّ الاختصاص يعني أنّ غيرهم ينصر من عذاب الله وينظر حين تأتيه الساعة وذلك لا يكون[87]، خلافاً للشيخ عبد القاهر الذي يرى في هذا الأسلوب وأمثاله إفادته للتخصيص قطعاً ، وقد عارض السكاكي(1160م–1229) فيها عبد القاهر ورفض القول بلزوم الاختصاص فيها ، متكئاً في ذلك على مقولات نظرية لم يقتنع بها أحد من الدارسين، وظلت تمثل رأيه وحده في تقديم المسند إليه ، ولو أنّ

[84]– محمد أبو موسى : خصائص التراكيب ، مرجع سابق ، ص 171 .
[85]– انظر : المرجع نفسه ، ص ص 177 – 179 .
[86]– محمد أبو موسى : دلالات التراكيب ، مرجع سابق ، ص 181 .
[87]– المرجع نفسه ، ص 179 .

السكاكي لجأ إلى الاستعمالات ، ورأى منها كما بيّنّا ما يدفع قول عبد القاهر بلزوم الاختصاص لما كان هناك وجه لدفع ما ذهب إليه من معارضته كلام الشيخ»[88].

و- أما تقديم المسند إليه المسبوق بالنفي على الخبر المشتق فلم يتعرض له عبد القاهر والقول فيه عندنا كالقول في الخبر الفعلي أي أنّه يدل على الاختصاص في مواقع كثيرة ليست مطردة ، كقوله- تعالى- : ﴿ وَمَآ أَنتَ بِمُسۡمِعٖ مَّن فِي ٱلۡقُبُورِ ﴾ (فاطر:22) نجد فيه معنى الاختصاص وأنّك أنت خصوصاً لست قادراً على ذلك ، وإنّما القادر على ذلك هو الله ويبين ذلك قوله :﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُسۡمِعُ مَن يَشَآءُۖ ﴾ (فاطر:22) .

ومن الشواهد التي لا وجه للقصر فيها قوله- تعالى- :﴿ مَآ أَنتَ بِنِعۡمَةِ رَبِّكَ بِمَجۡنُونٖ ﴾ (القلم:2) المراد تأكيد نفي هذا الزيف الذي زعموه ، والقصر هنا لا يلائم السياق لأنّه ليس المراد وصف أحد بهذه الصفة وإنّما المراد التشديد في نفيها [89] والذي يحدد دلالته على الاختصاص أو عدمه السياق فهو بذاته لا يفيد التخصيص وإنّما يستفاد من بعض مواقعه معنى التخصيص بالقرائن.

[88]- محمد أبو موسى : دلالات التراكيب ، مرجع سابق ، ص 180 .

[89]- انظر : المرجع نفسه ، ص ص 180، 181 .

المبحث الثاني: أسلوب التقديم والتأخير في القرآن الكريم

إنَّ الجملة العربية تخضع لترتيب ينظّم تتابع أجزائها في الهيكل الأساسي للبناء اللغوي ومن ثم تستكمل عناصر أخرى يتُّم بها التعبير وتنقل الآراء والانفعالات ، فهناك التركيب الاسمي للجملة وفيه يتقدم المبتدأ ثم يتلوه الخبر ، والتركيب الفعلي للجملة تبدأ فيه بالفعل ثم الفاعل وبعده المفعول به ثم تتال ي الأجزاء الأخرى التي تكون مشتركة في الجملة الاسمية والفعلية كالحال والتمييز ، ويلحظ التكامل ما بين الاسمية والفعلية إذ قد يأتي الخبر جملة.

فالنظام النحوي في ترتيبه المثالي لم يأت على هذا الترتيب في القرآن الكريم ، فثمّة تغيّرات تطرأ على طريقة الترتيب إذ يقدم عنصر أو يؤخر آخر فدقة الوضع للألفاظ القرآنية خلقت لذلك خلقاً فلا نستطيع أن نُبدّل كلمة بكلمة وإلا تغيّر المعنى المطلوب .

وسنبحث في أسلوب التقديم والتأخير في القرآن الكريم مبتدئين بالتقديم والتأخير في الجملة الاسمية ثم الفعلية فالجملة والمفرد وبعد ذلك سنتناول أسباب التقديم والتأخير (التقديم والتأخير والمعنى عليه) وسنذكر في هذا الموطن من البحث الأغراض البلاغية التي نصَّ عليها قسم من المفسرين الأوائل وه م يتحدثون عن هذه الظاهرة.

1. التقديم والتأخير في الجملة الاسمية:

1.1. تقـــــديم الخبـــــر:

ورد تقديم الخبر عند النحاة وذكروه في غير ما موضع ، فقالوا: إنَّ تقديم الأعرف هو الأصل ويقصدون هنا المبتدأ ، ويتأخر الأقل تعريفا ليكون خبراً إلا أنَّ هذه القاعدة ليست ثابتة [90]. فقد يتقدم الخبر لغرض

[90]- انظر : سيبويه : مرجع سابق ، ج1، ص 88.

بلاغي أو لسياق الكلام ، وقد ورد تقديم الخبر في قوله تعالى : ﴿أَفَسِحْرٌ هَـٰذَآ أَمْ أَنتُمْ لَا تُبْصِرُونَ﴾ (الطور:15)،" فسحر" خبر مقدم و" **هَذَا** " مبتدأ، وذكر ابن هشام هذه الآية فقال: « إنَّ المعنى يخرج للإنكار الإبطالي، وهذه تقتضي أنَّ ما بعدها غير واقع ، وأنَّ مدعيه كاذب ».[91]

وتقديم الخبر يفيد أحيانا التعظيم والتعجيب كقوله تعالى: ﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ ۗ وَظَنَّ دَاوُۥدُ أَنَّمَا فَتَنَّـٰهُ فَٱسْتَغْفَرَ رَبَّهُۥ﴾ (صّ: 24)، قال البقـــاعي: « وأكد قلتهم وعجب منها بما أبهم في قوله: " **مَا** " مثـــل (نِعِمَّا)، ولأمر ما " **هُمْ** " وأخَّر هذا المبتدأ وقدَّم الخبر اهتماماً به لأنَّ المراد التعريف بشدة الأسف على أن العدل في غاية القلة ، أي فتأسى بهم أيّهـــا المدعي وكن منهـــم أيُّهـــا المـــدعى عليه ».[92] وذهب الزمخشري بالآية أي: وهم قليل و" ما " مزيدة إلا للتعجب والابهام وتابعه البيضاوي.[93] وذهب القرطبي إلى معنى التعظيم فقال: « فتقديم الخبر" قليل" جاء لتعظيم هؤلاء الفئة الذين آمنوا وعملوا الصالحات » . وتابعة ابن جزي وأبو حيان.[94]

إذ نجد البقاعي(809هـــ-885هـــ) يرى أنَّ تقديم الخبر للتعجيب وللاهتمام ويشرح الآية موضحًا الغرض البلاغي للآية وهو التعجيب والتعظيم ، ونجده يسير على خطى المدرسة البيانية، ولكنه في قسم من الأحيان نجده يتوسع في شرحه للآية ويوضحها مُطنِبًا لا مُوجِزًا ، بحسب مقتضى المقام الذي يراه ويحتاج إليه القارئ. ومن تقديم الخبر في قوله- تعالى- : ﴿سَلَـٰمٌ هِىَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ ٱلْفَجْرِ﴾ (القدر:5)، قال البقاعي: « ولمَّا ذكر سبحانه هـــذه الفضائـــل كـــانت النتيجـــة بالســـلام فقـــدَّم " **سَلَامٌ** " على المبتد إ

[91]- الأسد آبادي، القاضي عبد الجبار بن أحمد : المغني في أبواب التوحيد والعدل. دار الكتب المصرية، 1380هـــ-1960م ، ج 1، ص24 .

[92]- البقاعي، برهان الدين إبراهيم بن عمر : نظم الدرر في تناسب الآيات والسور. تحقيق محمد عبد المعين خان. ط1. الهند: طبعة مجلس المعارف الاسلامية،1969م، ج 16، ص 360 .

[93]- انظر : الزمخشري : مرجع سابق ، ج3، ص 371.

[94]- القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري : الجامع لأحكام القرآن. تحقيق محمد بيومي وعبد الله المنشاوي. ط2. القاهرة: مكتبة الإيمان للنشر والتوزيع، 2006م ،ج 15، ص 161.

المؤخر لأهميتهِ ».[95] وقد تقدم الخبر هنا لأهميته، فالسلام في ليلة القدر هو المعنى الذي تدور حوله الآية، وهو الذي يحمل معنى قداسة هذه الليلة فقدّم للأهمية ، ولاختصاص هذه الليلة بالسّلام الإلهي، وهذا الغرض لم يذكره المفسرون الثلاثة [96] وإنما هو ما انفرد به البقاعي.

1.1.1. تقديم الخبر المقصور:

ويتقدم الخبر المقصور في بعض الآيات القرآنية في مثل قولـــه - تعالى - :﴿ مَّا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلۡبَلَٰغُ﴾ (المائدة:99)، فـ"البلاغ " هو المبتدأ وشبه الجملة "على الرسول " الخبر ، وأفاد هذا الأسلوب اختصاص الرسول ﷺ بالبلاغ، وكذلك تقدم الخبر المقصور في قوله - تعالى- :﴿ فَإِنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا ٱلۡبَلَٰغُ ٱلۡمُبِينُ ﴾ (التغابن:12). وهذا الأسلوب في المبتدأ المحصـــور قــد تحدَّثَ عنه الجرجاني: « واعلم أنه إذا كان الكلام (بما) و(إلا) كان الذي ذكرته من أنَّ الاختصاص يكون في الخبر إن لم تقدّمه ، وفي المبتدأ إن قدّمت الخبر أوضح وأبين ».[97]

والبقاعي فسر الآية بالقول: « ولما رغّب ورهّب علم أنّه المُجازي وحده ، فـأنتج ذلك أنَّه ليس إلى غيره إلا كلفة به، فأنتج ذلك ولابد قوله: " **مَا عَلَى الرَّسُولِ** " أي الذي من شأنه الإبلاغ ».[98]

2.1.1. تقديم الخبر في الاستفهام:

قد يتقدم الخبر في الاستفهام لإظهار المعنى بشكل أجمل وأبلغ وتبيين ما هو أهم وأعجز، ورد هذا الأسلوب في قوله - تعالى- : ﴿ **أَسِحۡرٌ هَٰذَا** ﴾ (يونس:77)، فقد تقدم الخبر(**سِحۡرٌ**) فأعطى هذا التقديم معنى

[95]- البقاعي : مرجع سابق ، ج 22، ص 181.
[96]- انظر : القرطبي : مرجع سابق ، ج 20، ص458.
[97]- عبد القاهر الجرجاني : مرجع سابق ، ص 265 .
[98]- البقاعي : مرجع سابق ، ج 6، ص341.

الاستنكار، لأنَّ سيدنا موسى عليه السلام عندما جاء ببيانه من الله ﷻ قال له الكفرة : ﴿**هَذَا سِحْرٌ**﴾، فأنكر قولهم لقوله: ﴿ **أَسِحْرٌ** ﴾؛ فهذا التقديم أفاد عظم قول الكفرة أمام قدرة الله ﷻ. قال البقاعي: « ولمَّا كان التقدير: أتقولون هذا والحال أنكم قد رأيتم فلاحه ... ثم كرر الإنكار بقوله ﴿ **أَسِحْرٌ هَذَا** ﴾ ... وذِكْرُ القول في الأول دالّ على حذف مثله في الثاني دالٌّ على حذف مثـــله في الأول لأنه إنكاري بمعنى النـــفي ».[99]

وذهب الزمخشري بالقول:« إنّه استئناف بإنكار ما قالوه أو هو استفهام للتقرير ».[100] وقال أبو حيان: «﴿**أَسِحْرٌ هَذَا**﴾ أي مثل هذا الحق لا يُدَّعى أنَّه سحر ».[101]

ولم يتكلم عن تقديم الخبر لكن أعطى المعاني البلاغية للتقديم ، وهذا ما لم نجده عند أبي حيان . وذكر الزمخشري الغرض البلاغي وهو الاستفهام ولم يصطلح على التقديم.

2.1. تقديم معمول خبر (كان) وتوسط خبرها:

ورد في " المقتضب ": «(كان) فعل متصرف يتقدم معموله ويتأخر ، ويكون معرفة ونكرة، أيَّ ذلك فعلت صَلُحَ وذلك قولك: " كـــان زيدٌ أخـــاك وكان أخاك زيد ، وأخاك كان زيدٌ "».[102]

وفي " المقتضب " أيضا جاء : « تقول: كان منطلقا عبد الله ، وكان منطلقا اليوم عبد الله ، وكان أخاك صاحبنا وزيد كان قائماً غلامه ، وكذلك أخوات كان ».[103] ومن تقديم خبـــر كان على اسمها قوله- تعالى -:﴿ وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ (الروم: 47)، وقد توسط خبر كان " **حَقّاً** " بينها وبين اسمها ، إذ قال البقاعي: « ولما كان محط الفائدة إلزامه سبحانه لنفسه بما تفضل به ، قدّمه تعجيلا للسرور وتطيبـــاً

[99]- البقاعي : مرجع سابق ، ج 9، ص 172 .

[100]- انظر : الزمخشري : مرجع سابق ، ج2، ص 247.

[101]- أبو حيان الأندلسي، محمد بن يوسف بن علي : البحر المحيط. ط1. الرياض، المملكة العربية السعودية: مطابع النصر الحديثة، 1329هـــ ،ج 5، ص 181 .

[102]- المبرد، أبو العباس محمد بن يزيد : المقتضب. تحقيق محمد عبد الخالق عظيمة. ط1. بيروت: عالم الكتب، 1963م ،ج 4، ص 87.

[103]- المرجع نفسه ، ج4، ص ص 88 ،89 .

للنفــوس فقال: ﴿ **وكَانَ** ﴾ أي على سبيل الثبات والدوام ».[104] وكذلك قوله - تعالى - :﴿ أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ رَجُلٍ مِّنْهُمْ ﴾ (يونس: 2)، لأنَّ قولـــه ﴿ **أَنْ أَوْحَيْنَا** ﴾ إنمــا هــو وحينــا، قــال البقــاعي: « ﴿ **أَكَانَ** ﴾ أي بوجه من الوجوه للناس عجبا أي الذي فيهم التحريك إلى المعاني، والعجب: تغير النفس بما لا يعرف سببه مما خرج عن العادة، ثم ذكر الحامل على العجب وهو اسم كان فقال: بعدما حصل لهم شوق إليه: ﴿**أَنْ أَوْحَيْنَا** ﴾ ».[105]

و ورد في " المقتضب ": « وكذلك لو قلت: "غلامه كان زيد ضرب" لكــان جيّدا، لأنَّ (كان) بمنزلة ضرب ، ألا تــرى أنَّك تقــول:" ضاربا أخاك ضربتُ " ».[106]

ومن الآيات التي تَقدَّم فيها معمول خبر كان عليها قوله - تعالى - :﴿ قُلْ أَبِاللَّهِ وَءَايَـٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ﴾ (التوبة:65)، فإنَّ تقديم " **أَبِاللَّهِ** " وهو معمول خبر (كان) عليها يدل على جواز تقديمه عليها.[107] قال البقــاعي: « ﴿ **قُلْ** ﴾ أي لهم تقريرًا على استهزائهم متوعدا لهم معرضا عمّا اعتذروا؛ إعلاما بأنه غير أهلٍ لأن يسمع، جاعلا لهم كأنهم معترفون بالاستهزاء حيث جعل المستهزأ به يلي حرف التقرير، وذلك إنما يستقيم بعد وقوع الاستهزاء وثبوته تكذيبا لهم ».[108]

وقد أفاد هذا التقديم؛ بلاغيا شدة استنكار استهزاء الكفار، فقُدّم لأهميته ولبيان التشويق. واستدل البقاعي من الآية الكريمة على جواز تقديم خبر كان عليها مع ذكر الغرض البلاغي، وهذا ما لم نجده عند القرطبي وابن جزّي والبيضاوي.[109]

---

[104]- البقاعي : مرجع سابق ، ج 15، ص 118 .

[105]- المرجع نفسه ، ج9، ص 66.

[106]- أبو العباس المبرد : مرجع سابق ، ج 4، ص 102.

[107]- انظر : أبوحيان الأندلسي : مرجع سابق ، ج 5، ص27.

[108]- البقاعي : مرجع سابق ، ج 8، ص 516.

[109]- القرطبي : مرجع سابق ،ج 9، ص 218.

ومن ذلك قوله - تعالى - :﴿ ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ أَهَٰٓؤُلَآءِ إِيَّاكُمْ كَانُواْ يَعْبُدُونَ ﴾ (سبأ:40)، فـ " **إِيَّاكُمْ** " مفعول " يعبدون "، واستدل بتقديم هذا المعمول على جواز تقديم خبر كان عليها إذا كان جملة ، وهي مسألة خلاف، أجاز ذلك ابن السرّاج ومنع ذلك قوم من النحويين.[110]

- ومن توسط معمول خبر (كان) بين اسمها وخبرها في قوله - تعالى - : ﴿ وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾ (البقرة: 57)، وفي قوله- تعالى- :﴿ مَّا كُنتُمْ إِيَّانَا تَعْبُدُونَ ﴾ (يونس: 28).[111]

- ومن توسط معمول خبر (كان) بينها وبين اسمها وهو غير ظرف ولا جارٍ ومجرورٍ في قوله تعالى: ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ و﴿ أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ رَجُلٍ مِّنْهُمْ ﴾ وقد سبق الكلام عليهما.

- وتوسط الخبر وهو ظرف في قوله تعالى: ﴿قُل لَّوْ كَانَ مَعَهُۥٓ ءَالِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذًا لَّٱبْتَغَوْاْ إِلَىٰ ذِى ٱلْعَرْشِ سَبِيلاً﴾ (الإسراء: 24).[112]

- ومن موضع آخر توسط خبر كان بينها وبين اسمها في قوله تعالى :﴿ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌ﴾ (الإخلاص :4) على التقديم والتأخير، وقُدّم الظرف للأهمية وجاء خبر كان متوسطا بينهما وبين اسمها لأنَّ الحديث يدور عن عدم وجود النظير فقُدِّم أيضا للأهمية كما قال البقاعي .[113] وهو قول الزمخشري

[110]- انظر : الطيبي، شرف الدين الحسين بن محمد : التبيان في البيان. تحقيق توفيق الفيل وعبد اللطيف لطف الله. الكويت، 1986م ، ج 3، ص 103.
[111]- انظر : البقاعي : مرجع سابق ، ج 1، ص ص 390 ، 391.
[112]- انظر : المرجع نفسه ، ج 11، ص 422 .
[113]- المرجع نفسه ، ج 2، ص 381 .

والبيضاوي(ت.1292م).[114] ويرى القرطبي (610هـ–671هـ) في التقديم والتأخير أنَّه مراعاة للفاصلة القرآنية.[115]

وكان ابن جزّي(1321م–1356م) أكثر دقة من هؤلاء المفسرين إذ حلل الآية تحليلاً بلاغياً دقيقا فقال: « وانتصب "**كُفُواً** " على أنَّه خبر كان و " **أَحَدٌ** " اسمها، قال ابن عطية: « ويجوز أن يكون " **كُفُواً** " حالاً لكونه صفة للنكرة ، فقُدّم عليها »، فإن قيل: لِمَ قُدّم المجرور وهو" **لَهُ** " على اسم كان وخبرها وشأن الظرف إذا وقع غير خبر أن يؤخّر؟ فالجواب من وجهين : أحدهما أنّه قدّم للاعتناء به والتعظيم والآخر أن هذا المجرور ، بِهِ يَتِمُّ معنى الخبر وتكمل فائدته فإنه ليس المقصود نفي الكفء مطلقا إنما المقصود نفي الكفء عن الله تعالى... ».[116] فابن جزّي ذكر غرضين بلاغيين: العناية والتخصيص بعد التعميم، وهذا كان أكثر توفيقاً من بقية المفسرين في بيان التحليل البلاغي للآية.

3.1. تقديم خبر كان عليها:

وتقدَّم خبر كان عليها في قوله - تعالى -:﴿ فَٱنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُكَذِّبِينَ ﴾ (آل عمران: 137)، "كيف" خبر (كان) وتقدم الخبر لإظهار كيفية عاقبة المكذبين ، فالمهم في هذه الآية هو مظهر العاقبة ، فتقدّم لأهميته وتقدّم تنبيها وموعظة؛ وهذا ما نص عليه البقاعي إذ قال: « ولما كان الرجوع عن الهفوة واجبا على الفور عقَّب بالفاء قوله، أي نظر اعتبار، ونبَّه على عظمة المنظور فيه بأنّه أهل لأنّ يُستَفهَم عنه لأنه خرج عن العوائـــد فتعاظم إشكاله فقال مقدّما كيف كان عاقبة آخر أمر المكذبين ».[117]

[114] – انظر: الزمخشري : مرجع سابق ، ج4، ص 299.
[115] – القرطبي : مرجع سابق ، ج 22، ص 220 .
[116] – ابن جزي الكلبي، محمد بن أحمد : التسهيل في علوم التنزيل. ط3. لبنان، بيروت: دار الفلئو، 1983م، ج4، ص 225 .
[117] – البقاعي : مرجع سابق ، ج 5، ص 77 .

قال الزمخشري: « هذا بيان للناس و إيضاح لسوء عاقبة ما هم عليه من التكذيب ، يعني حثّهم على النظر في سوء عواقب المكذبين قبلهم والاعتبار بما يعانون من آثار هلاكهم وهدىً وموعظةً للمتقين، يعني أنّه مع كونه بيانا وتنبيها للمكذبين فهو زيادة تثبيت وموعظة ».[118]

وأبو حيَّان ينص على عبارة الزمخشري ويذكرها كما هي. فغرض التنبيه هنا تنبيه المكذبين ووعظ المؤمنين. ويشابه هـــذه الآية قوله تعالى:﴿ فَٱنظُرۡ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُفۡسِدِينَ ﴾ (الأعراف:103) فـــ:

« " **كَيْفَ** " وما بعدها معلقة للنظر عن العمل، فهي وما بعدها في محل نصب على إسقاط الخـــافض و " كيـــف" خبـــر (كان) واجب التقديم ».[119]

قال البقاعي: « فخلص في هذه الآية على وجازتها جميع قصتهم على طولها ، وقدّم ذكر الآيات اهتماما بها ولأنهـــا الدليـــل على صحة دعوى البعث ».[120]

وتقدم خبر كان عليها أيضا في قوله تعالى: ﴿ كَيۡفَ يَكُونُ لِلۡمُشۡرِكِينَ عَهۡدٌ عِندَ ٱللَّهِ وَعِندَ رَسُولِهِۦٓ﴾ (التوبة: 7).

قيل في هذه الآية أوجه عدّة، أولها: أنَّ خبر(يكون): " كيف "، وقُدّم للاستفهام، هذا الذي اختاره البقاعي.[121] وثانيها: الخبر " لِلْمُشْرِكِينَ " ، وثالثها: الخبر" عند الله "، والمشركين تبيين ، أو متعلق بـِ: "يكون" ، و" كيف " حال من العهد.[122]

وهذا التقديم لخبر كان أفاد معنى التعجب والاستنكار، وكان البقاعي قد اتفق على هذا الغرض من تقديم خبر كان كما ذهب إليه قسم من المفسرين كالقرطبي وأبو حيان، لكننا نجده مرة يذكر فائدة الغرض

[118] – الزمخشري : مرجع سابق ، ج1، ص 465.

[119] – الزجاجي، عبد الرحمن بن إسحاق : الجمل. تحقيق علي توفيق محمد. بيروت: مؤسسة الرسالة، 1985م ،ج 2، ص 163 .

[120] – البقاعي : ، مرجع سابق ، ج 8، ص 19 .

[121] – انظر : المرجع نفسه ، ج 8، ص 383 .

[122] – انظر : أبوحيان الأندلسي : مرجع سابق ، ج 2، ص 260 .

البلاغي ومرة يسكت عنه.[123] كما عند بقية المفسرين.

4.1. تقديم معمول خبر (ليس) عليها:

وتقدَّم معمول خبر ليس عليها في قوله – تعالى–:﴿ أَلَا يَوْمَ يَأْتِيهِمْ لَيْسَ مَصْرُوفًا عَنْهُمْ ﴾ (هود: 8)، وهذه مسألة خلاف بين البصريين والكوفيين، إذ ذهب الكوفيون إلى أنَّه لا يجوز تقديم خبر ليس عليها ، وإليه يذهب أبو العباس المبرد من البصريين ، وزعم بعضهم أنَّه مذهب سيبويه وليس بصحيح والصحيح أنَّه ليس في ذلك نص، وذهب البصريون إلى أنه يجوز تقديم خبر ليس عليها كما يجوز تقديم خبر كان عليها.[124]

وذهب الزمخشري إلى تحليل الآية نحويًّا: « " **يَوْمَ يَأْتِيهِمْ** " منصوب بخبر ليس، ويستدل به من يستجيز تقديم خبر (ليس) على (ليس) ، وذلك أنه إذا جاز تقديم معمول خبرها عليها كان ذلك دليلا على جواز تقديم خبرها، إذ المعمول تابع للعامل فلا يقع إلا حيث يقع العامل ».[125]

ويؤكد هذا الكلام البقاعي في تفسيره ، إذ ساير الزمخشري في تحليلاته لنصوص كثيرة من القرآن حيث قال: « مؤكداً لشديد إنكارهم ﴿**أَلا يَوْمَ** ﴾ وهو منصوب بخبر (ليس) الدال على جواز تقديم الخبر" **يَأْتِيهِمْ**" ﴿**لَيْسَ**﴾ أي العذاب مصروفا عنهم بوجه من الوجوه، وقُدم الماضي موضع المستقبل تحقيقا ومبالغة في التهديد ».[126]

ويؤكد هذا الكلام أبو حيان (654هـ–745هـ) فيقول: « والظاهر أن " **يَوْمَ** " منصوب بقوله: " **مَصْرُوفاً** "، فهو معمول خبر (ليس) وقد استدل به على جواز تقديم خبر ليس عليها، قالوا : إنَّ تقديم المعمول يُؤذِن بجواز تقديم العامل ، ونُسِبَ هذا لسيبويه وعليه أكثر البصريين ، وذهب الكوفيون والمبرد

[123] – انظر : البقاعي : مرجع سابق ، ج 14، ص 179 .
[124] – انظر: ابن يعيش النحوي : مرجع سابق ، ج 7، ص112.
[125] – الزمخشري : مرجع سابق ، ج2، ص 260 .
[126] – البقاعي : مرجع سابق ، ج 9، ص 241 .

إلى أنه لا يجوز ذلك، وقالوا: لا يدل جواز تقديم المعمول على جواز تقديم العامل ، وأيضا فإنَّ الظرف والمجرور يتسع فيهما ما لا يتسع في غيرهمـــا ويقعان حيث لا يقـــع العامل نحـــو : " إنَّ اليوم زيداً مسافر" ».[127]

وتقدَّم معمول الخبر " **يَوْمَ** " لتأكيد خبر ليس، لكننا نجد أنَّ البقاعي يذكر لنا الغرض البلاغي لهذا التقديم وهو إفادة المبالغة في التهديد، ولم نجد مثل هذا عند الزمخشري وأبو حيان إذ رجحوا جواز التقديم ولكنهم لم يذكروا لنا الغرض البلاغي الذي خرج إليه. ونستنتج من هذه الظواهر في التقديم والتأخير أن البقاعي يدقِّق في المعاني البلاغية للتقديم والتأخير في الجملة الاسمية بقدر اعتنائه بالظاهرة من جهة نحوية ولكن من دون مبالغة، حتى يستشعر القارئ بسلاسة التفسير وبساطته.

2. التقديم والتأخير في الجملة الفعلية:

إنَّ نظرية العامل في النحو العربي تقتضي أنْ يتلازم العامل ومعموله لما بينهما من علاقة لا يكون أحدهما إلا بالآخر، ولكن قد تقتضي الضرورة البلاغية أن يكون هناك تقديم وتأخير لأغراض بلاغية مختلفة كتقديم المفعول به على الفاعل أو الفعل .

1.2. تقديم المفعول به على فعله:

ذكر سيبويه في كتابه: أنَّ المفعول به والفاعل يُقدّمان للاهتمام والعناية .[128] وقد تقدم المفعول به على فعله في مواضع كثيرة من القرآن الكريم ، فتعرّض النحاة والبلاغيون لهذا التقديم ذاكرين أهم أغراضه البلاغية.

– من ذلك قوله– تعالى– :﴿ مَا نَنسَخۡ مِنۡ ءَايَةٍ أَوۡ نُنسِهَا نَأۡتِ بِخَيۡرٖ مِّنۡهَآ أَوۡ مِثۡلِهَآ ﴾ (البقرة: 106)، فـَ: "ما " شرطية مفعول مقدم، قال البقاعي: « وساقها بغير عطف لشدة التباسها بما قبلها لاختصاص ها لأجل

[127] – أبو حيان الأندلسي : مرجع سابق ، ج 5، ص 206.
[128] – سيبويه : مرجع سابق ، ج1، ص 34.

التمشية، وفي صيغة (نفعل) إشعار بأنَّ من تقدم ربما نسخ عنهم ما لم يعوضوا به ... فَ: "ما" شرطية في محل مفعول مقدم، ففي طيه ترغيب للذين آمنوا في كتابهم الخاص بهم ».[129]

– ومن تقدم المفعول به الذي ليس لغرض الاختصاص، قوله– تعالى–:﴿ أَفَغَيْرَ دِينِ ٱللَّهِ يَبْغُونَ ﴾ (آل عمران: 83)، فقد قُدّم المفعول على فعله. قال الزمخشري: « قُدِّمَ المفعول الذي هو:"غير دين الله" على فعله لأنه أهم من حيث أنَّ الإنكار الذي هو معنى الهمزة على طلبهم اختصاصاً لغير دين الله وليس ذلك هو المراد ».[130]

قال البقاعي: « ... وأورد بأن تقديم "غير" يُفهَم أن الإنكار منحط على طلبهم اختصاصا لغير دين الله وليس ذلك هو المراد كما لا يخفى، وأجيب بأنّ تقديمه الاهتمام بشأنه في الإنكار والاختصاص متأخر مراعاة عن نكبة غيره ».[131] وكلام البقاعي في هذا التوجيه سليم، إذ الإنكار الذي هو معنى الهمزة لا يتوجه إلى الذوات ، وإنما يتوجه إلى الأفعال التي تتعلق بالذوات، فالذي أنكر إنما هو الابتغاء الذي متعلقه غير " **دِينِ اللَّهِ** " ، وإنما جاء تقديم المفعول هنا من باب الاتساع .

–وتقديم المفعول به على فعله للاختصاص عند قوله– تعالى–:﴿ كُلاًّ هَدَيْنَا ۚ وَنُوحًا هَدَيْنَا ﴾ (الأنعام: 84) فـ " **كُلاًّ** " منصوب بـ " **هَدَيْنَا** ".[132]

قال البقاعي:« ولما كانت النعمة لا تتم إلا بالهداية قال مستأنفا مقدّماً للمفعول ليشمل الكلام إياهما ﴿ **كُلاًّ** ﴾ منهما ومن أبيهما للاختصاص ».[133]

[129] – البقاعي : مرجع سابق ، ج 2، ص ص 92 ، 93.
[130] – الزمخشري : مرجع سابق ، ج1، ص ص 441 ، 442 .
[131] – البقاعي : مرجع سابق ، ج 4، ص ص 471 ، 472 .
[132] – الطيبي : مرجع سابق ،ج 1، ص 140 .
[133] – البقاعي : مرجع سابق ، ج 7، ص 170 .

إن دراسة تقديم المفعول به وما يخرج إليه من أغراض بلاغية مختلفة قد قررها البقاعي ولكنه اختلف في توجيه هذه الأغراض منها ما اصطلح عليها للاهتمام وللعناية والاختصاص والإنكار . وهو بذلك يقرر الأغراض التي سبق وإن قررها مفسرون سبقوه ولكننا نجد في تفسيره لطائفة من الآيات يسوق لنا أكثر من غرض بحسب فهمه وشرحه وربطه للآيات من خلال مجيء سياقها القرآني.

2.2. تقديم أحد المفعولين على الآخر:

ذكر أبو عبيدة هذا الأسلوب ، ونصَّ على أنه مذهب من مذاهب العرب من كلامها ، يقول في الآية الكريمة على قراءة : ﴿ **خَلْقَهُ** ﴾ ﴿ٱلَّذِىٓ أَحۡسَنَ كُلَّ شَىۡءٍ خَلَقَهُۥۖ وَبَدَأَ خَلۡقَ ٱلۡإِنسَـٰنِ مِن طِينٍ ﴾ (السجدة:7): « ومجازه: أحسن خلق كل شيء، والعرب تفعل هذا يقدّمون ويؤخّرون ».[134] ويؤكد العكبري هذا الكلام فيقول: « ويجوز أن يكـــون " **خَلْقَهُ** " مفعــولا أولاً، " **كُلَّ شَيْءٍ** " ثانيـــا و " **أَحْسَنَ** " بمعنى عرّف: أي عرف عبادة كل شيء ».[135]

والبقاعي في تفسيره للآية أشار إلى قراءة ﴿ **خَلْقَهُ** ﴾ بتسكيــن اللام وعدَّ الفعل " **أَحْسَنَ** " يتعدى إلى مفعولين بمعنى أفهم لكنه لم يذكر ظاهرة التقديم والتأخير في الآية.[136] وإليه ذهب القرطبي وأبو حيان ولم يذكرا التقديم والتأخير في الآية.[137]

---

[134] – أبوعبيدة، معمر بن المثنى : مجاز القرآن. تحقيق محمد فؤاد سزكين. مصر: مكتبة الخانجي. د.ت، ج2، ص ص131،130. ﴿وقراءة خَلَقَهُ بفتح اللام ، قرأ بها نافع وعاصم وحمزة وخلف﴾. ينظر: ابن الجزري، محمد بن محمد الدمشقي : النشر في القراءات العشر. علي محمد الضباع. بيروت: دار الكتب العلمية، د.ت، ج2، ص247. ؛ أبوحيان الأندلسي : مرجع سابق، ج7، ص199.

[135] – الطيبي : مرجع سابق ، ج 2، ص 189 .

[136] – انظر : البقاعي : مرجع سابق ، ج 15، ص ص 242 ، 243 .

[137] – انظر : القرطبي : مرجع سابق ، ج 14، ص 84 .

-ومن تقديم أحد المفعولين على الآخر قوله تعالى: ﴿ أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَـٰهَهُۥ هَوَىٰهُ ﴾ (الجاثية: 23)، «وأصل الكلام (هواه إلهه)، إتَّخذ الصنَم معبوداً ، لكن قدم المفعول الثاني على الأول للعناية، كما تقول : "منطلقاً زيدًا " ، لفضل عنايتك بانطلاقه ».[138] ونص البقاعي على وجه التقديم والتأخير في الآية فقال: « ولو قدم الهوى لكان المعنى أنه حول وصفه إلى الألوهية فاضمحل الهوى، ولم يبق إلا ما ينسب إلى الإلهية كما اضمحل الطين في: (اتَّخَذت الطِّينَ حَرقَا)... ولو كان التقديم في هذا بحسب السياق من غير اختلاف المعنى لقدم هنا (الهوى) لأنّ السياق والسبق له ومفعول (رأى) الثاني مقدر يدل عليه قول آخر الكلام " فمن يهديه " تقديره : أيمكن أحـــدًا غير الله هدايتـــه ما دام هـــواه موجودا ».[139]

فالبقاعي ذكر وجه التقديم والتأخير في الآية وهذا ما لم نجده عند ابن جزي ، إذ اكتفى بتفسير معنى الآية فقال: «﴿ **اتَّخَذَ إِلَـٰهَهُ هَوَاهُ** ﴾ أي إطاعة حتى صار كالإله.

ولم يتناول أبو حيان ظاهـــرة التقديـــم والتأخيـــر في الآيـــة لأنـــه لـــم يَعـــُـــدَّ " هواه " مفعولا ثانيا بل جعل المفعول الثاني محذوفـــا. فتقديـــم المفعـــول الثـــاني " **إِلَـٰهَهُ**" على الأول " **هَوَاهُ** " إنما يعود إلى غرض العناية والاهتمام لأنّ الهدف من الحديث القرآني هو الإله المعبود، فتقدير الكلام: (أفرأيت من اتخذ إلهه هواه). ثم نجد البقاعي في غير موضع يتحدث عن دلالة التقديم والتأخير في آية مشابهة لها في قوله تعالى:﴿ أَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَـٰهَهُۥ هَوَىٰهُ ﴾ (الفرقان : 42)، إذ يقول:« فلو عكس لقيل: لم يتخذ هوىً إلا إلهه، وهو إذا فعل ذلك فقد سلب نفسه أمر إلهه ، فلولا الهوى فلم يعمل به إلا فيما وافق أمر إلهه ، ومما يوضح لك انعكاس المعنى بالتقديم والتأخير أنك لو قلت: فلان اتخذ عبده أباه، لكان معناه أنه عظّم العبد، ولو قيل: أنه أتخذ أباه عبده ، لكان معناه أنه أهان الأب ، وسواء في ذلك إتيانك به هكذا على أوزانٍ ما

[138] – الزركشي، بدر الدين محمد بن عبد الله : البرهان في علوم القرآن. تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم. ط1. القاهرة، 1958م ،ج 1، ص277.
[139] – البقاعي : مرجع سابق ، ج 18، ص ص 94 ، 95 .

في القرآن أو أنكرت أحدهما ، فلِفك لا تجد ذوقك فيه يختلف في أنه إذا قَدَّم الحقير شرَّفه ، وإذا قدّم الشريف حقّره ، وكـــذا لو قـــلت: إتخذَ إصطبله مسجدًا أو صديقـــه أبـــاً أو عكست ».[140]

و يؤكد البقاعي أن أسلوب التقديم والتأخير لا يتوقف على الغرض وحده، بل يتعداه إلى الفهم في اختلاف الدلالة ، وهنا يؤكد أنّه لو كان التقديم بمجرد العناية من غير اختلاف في الدلالة لكان تقديم (الهوى) في سورة الجاثية أولى. والله أعلم.

-ومن تقديم أحد المفعولين على الآخر قوله – تعالى-:﴿ وَجَعَلُواْ لِلَّهِ شُرَكَآءَ ٱلْجِنَّ ﴾ (الأنعام: 100)، فأصـــل الكـــلام: (جعـــلوا لله الجن شركاء)، ولكـــــــن قـــــدم " **شُرَكَاء**" لاستعظام الكفر والإشراك ، كما نص على ذلك البقاعي إذ قال: «... وعبّر بالاسم الأعظم وقدمه استعظاما لأنْ يعدل به شيئا ... ولما كان الشرك في غاية الفضاعة والشناعة قدّمه فقال: ﴿ **شُرَكَاء** ﴾ يعني: وما كان ينبغي له أن يكون له شريك مطلقاً ، لأنّ الصفة إذا ذكرت مجردة غير مجراة على شيء كان ما يتعلق بها من النفي عاماً في كل ما يجوز أن يكـــون له صفة ، وحكم الإنذار حكم النفي ».[141]

وقد نجد البقاعي يقيس على الآيات التي تقدم فيهما المفعول الثاني على الأول، وهو في القرآن الكريم كثير، ونجده ينصّ على الغرض البلاغي وهو (الاستعظام) وهذا ما لم نجده عند قسم من المفسرين. والبقاعي في التقديم والتأخير يتعمق في نظرته للمعاني، فهو يحلل ويناقش ويبين دلالات هذا التقديم والتأخير.

[140]- البقاعي : مرجع سابق ، ج 6، ص394 .

[141]- المرجع نفسه ، ج 7، ص ص 215 ، 216 .

3.2. تقديم الحال على عامله الظرف:

اختلف النحاة والبلاغيون في مسألة تقديم الحال على عامله الظرف، فمنهم من أجاز ذلك ومنهم من لم يجز، ومن الآيات التي تضمنت هذه المسألة قوله – تعالى–:﴿ وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعًا مِّنۡهُ ﴾ (الجاثية: 13)، فقد ورد في" الكشاف " ما قوله: « فإن قلت: ما معنى ﴿ **مِنْه**﴾ في قوله: ﴿ **جَمِيعاً مِنْهُ** ﴾ وما موقعه من الإعراب ؟ قلت: هي واقعة موقع الحال، والمعنى أنه سخَّر هذه الأشياء كائنة منه، وحاصلة من عنده ، يعني أنه مكوِّنها وموجدها بقدرته وحكمته ثم مسخرها لخلقه ، ويجوز أنْ يكون خبر مبتدأ محذوف تقديره: هي جميعا منه ».[142]

قال البقاعي: « وأكد ما دل على ما مضى من العموم بقوله:﴿ **جَمِيعاً** ﴾ حال كون ذلك كله من أعيان تلك الأشياء ...﴿ **وَسَخَّرَ لَكُمْ** ﴾ لئلا يسخّرك منها شيء وتكون مُسخّراً لمن سخّرَ لك الكل وهو الله تعالى».[143] فالبقاعي يذهب برأي الجمهور وإن لم يفصل فيه ، وقد استدرك أبو حيان على قول الزمخشري بالقول: « لا يجوز هذان الوجهان إلا على مذهب الأخفش، لأن " **جَمِيعاً** " إذ ذاك حال والعامل فيه معنوي وهو الجار والمجرور ... وهو على مذهب الجمهور ».[144]

– ومن تقديم الحال على صاحبها الظرف قوله– تعالى–:﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةٗ لِّلنَّاسِ ﴾ (سبأ:28)، قال البقاعي: « إلا إرسالا عاما شاملا لجميع الناس، أي ليس خاص ببعض الناس، فمقصود الآية نفي الخصوص وإثبات العموم، والتاء في " كافة " للمبالغة، فحال الإرسال محصور في العموم للغرض الذي ذكر من التدرج لحمل المشاقّ، لا في الناس ، فإنه لو أُريد ذلك لقدموا فقيل:﴿ **إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاس** ﴾ ».[145]

---

[142] – الزمخشري : مرجع سابق ، ج3، ص510.

[143] – البقاعي : مرجع سابق ، ج 18، ص ص 76،77.

[144] – أبو حيان الأندلسي : مرجع سابق ، ج 8، ص 45 .

[145] – البقاعي : مرجع سابق ، ج 6، ص 74.

قال القرطبي: « أي: وما أرسلناك إلا للناس كافة : أي عامة ، ففي الكلام تقديم وتأخير ».[146] ولكن القرطبي لم يذكر الغرض البلاغي للتقديم و التأخير في حين نجد البقاعي يشير إلى الأهمية وإن لم ينص عليها صراحة، ولكن سياق كلامه عندما يقول: (في العموم للغرض).

نستنتج مما سبق أنَّ البقاعي التفت إلى مواضع التقديم الموجودة ضمن آيات القرآن الكريم ، فمن ضروب التقديم في اللفظ والتأخير في المعنى قوله – تعالى–:﴿ كِتَٰبٌ أُنزِلَ إِلَيۡكَ فَلَا يَكُن فِي صَدۡرِكَ حَرَجٞ مِّنۡهُ لِتُنذِرَ بِهِۦ وَذِكۡرَىٰ لِلۡمُؤۡمِنِينَ ﴾ (الأعراف: 2) والمعنى والله أعلم: كتاب أنزل إليك لتنذر بهِ وذكرى للمؤمنين فلا يكن في صدرك حرج منهُ ، قال البقاعي: « فقال مخبراً عن مبتدأ تقديرهُ: هو كتاب، وقَدّمَ قوله مسبباً عن تخصيصه بهذه الرحمة **﴿فَلا يَكُنْ﴾** وحذف المفعول يدل على عموم الرسالة ويجوز أن تتعلق لام **﴿لِتُنْذِرَ﴾** بمعنى النهي أي لا يكن الحرج الواقع لأجل أن تنذر، أي لأجل إنذارك بهِ، والنهي للنبي ﷺ حُوِّل إلى الحرج مبالغةً وأدباً، ويجوز أن يكون التقدير: لتنذر بهِ وتذكر بهِ ».[147]

ثم يذكر البقاعي الغرض البلاغي من التقديم وهو تثبيت فؤاد النبي ﷺ. وذهب الزمخشري إلى أنَّ اللام متعلقة بقوله: **﴿أُنْزِلَ﴾** وقد قاله الفرَّاء، ولزم قوله: **﴿فَلا يَكُنْ فِي صَدرِكَ حَرَج﴾** اعتراض بين العامل والمعمول.[148]

وبحث البقاعي في هذا النوع من التقديم اللفظي والتأخير المعنوي المشكل في قوله – تعالى –:﴿ وَغَرَابِيبُ سُودٞ﴾ (فاطر:27)، حيث قال: « ولما قَدّمَ ما كان مستغرباً في ألوان الأرض لأنهُ على غير لونها الأصلي، أتبعه ما هو أقرب إلى الغبرة التي هي أصل لونها ، ولما كانت مادة **(غرَبَ)** تدور على الخفاء الذي يلزمه الغموض أخذاً من غروب الشمس ، ويلزم منهُ السواد ولذلك يؤكد الأسود بـِ: " غرابيب "

[146] – القرطبي : مرجع سابق ، ج 14، ص 270 .
[147] – البقاعي : مرجع سابق ، ج 7، ص ص 348،349 .
[148] – انظر : الزمخشري : مرجع سابق ، ج2، ص 66.

مبالغة الغرب كفرح أي: الأسود للمبالغة في سواده ، وكان المقصود الوصف بغايـة السوا د مخالفـة لغيـره ، ﴿**وَغَرَابِيبُ سُود**﴾ فقَدّمَ التأكيد لدلالة السياق على أن أصل العبارة (وسود غرابيب سود) فأضمر الأول ليتقَدّمَ على المؤكد لأنه تابع، ودلَّ عليه بالثاني ليكون مبالغاً في تأكيده غاية المبالغة بالإظهار بعد الإضمار ».[149]

قال الزمخشري: « الغربيب تأكيد للأسود ومن حق التوكيد أن يتبع المؤكَّد كقولك : أصفر فاقع وما أشبه ذلك ووجهه أن يظهر المؤكد قبله فيكون الذي بعده تفسيراً لما أضمر كقول النابغة (605م-616م):[150] والمُؤمِن العَائِذَات الطَّير يمسهَا، وإنما يفعل لزيادة التوكيد حيث يدل على المعنى الواحد من طريق الإظهار والإضمار جميعاً ».[151]

وقيل هو على التقديم والتأخير، أي: سود غرابيب، وقيل: سود بدل غرابيب، وهذا أحسن ويحسنه كون غرابيب لم يلزم فيه أن يستعمل تأكيد.[152]

إنَّ نظرة البقاعي الفاحصة لدراسة ظاهرة التقديم والتأخير تظهر أنه استطاع أن ينصَّ على مواضع التقديم والتأخير وذكره للأغراض البلاغية . ففي الجملة الاسمية يتقَدّمَ الخبر عند ه للتعظيم والتعجب والتأكيد على خلاف ما وجدناهُ عند قسم من المفسرين، فكل مفسر يتناول الآية بأسلوبه الخاص لأنَّ الخلاف ليس نوعياً وإنما الخلاف تفاوتي ، وهذا لا يعني أنهُ نص على كل الأغراض البلاغية ، فنراه أحياناً يقتصر على الدراسة النحوية من دون البلاغية أو ربما يشير إليها أو لغرضها بعبارة واحدة من دون أن يفصّل فيها .

---

[149] – البقاعي : مرجع سابق ، ج 16، ص 46 .

[150] – ابن السكيت : ديوان النابغة الذبياني. تحقيق شكري فيصل. دمشق: دار الفكر ، 1968م ، ص 20 .
والبيت : وَالمُؤمِن العَائِذَات الطَّيْر يمسهَا رُكْبَانَ مَكَّة بَيْنَ الغيْل وَالسَّند .

[151] – الزمخشري : مرجع سابق ، ج3، ص 307 .

[152] – انظر : السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر : الجامع الصغير من حديث البشير النذير. تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد. مصر: دار الشرق الجديد ، د.ت ، ج 1، ص 249.

وفي تقديم الخبر المقصور لم يذكر أحياناً غرض الاختصاص الذي اقترحه الجرجاني فلم يستفد من ذلك. وقد يتقَدّمَ الخبر في الاستفهام لغرض الاستنكار والتعظيم، ونص البقاعي على مواضع تقديم معمول خبر(كان) عليها وتوسط خبرها وذكر طائفة من الأغراض البلاغية كالتعظيم والاهتمام والتعجب والاستنكار. وفي الجملة الاسمية أيضاً يتقَدّمَ خبر(ليس) عليها، فذكر الغرض البلاغي وهو التهديد والمبالغة وكذلك توسط خبر(ليس) بينها وبين اسمها للاختصاص.

نستنتج من ذلك أنَّ المفسّرين يدقّقون في المعاني البلاغية للتقديم والتأخير في الجملة الاسمية بقدر اعتنائهم بالظاهرة من جهة نحوية، وإن كانت قليلة في قسم من الأحيان.

أما التقديم والتأخير في الجملة الفعلية فذكروا مواطن تقديم المفعول به على فعله وذكروا أغراضاً بلاغية مثل: العناية والاختصاص وتقَدُّم أحد المفعولين على الآخر يرافق غرض العناية والاهتمام والاختصاص.

إنّ الدراسة الكامنة لبلاغة التقديم والتأخير إنما تعود إلى دراسة التركيب النحوي وفهم المعنى الدلالي للآيات وهذا يتعلق بالبلاغة نفسها، لأنَّ البلاغة في أصلها ترجع إلى العامل والمعمول من حيث تلازمهما أو تباعدهما.

المبحث الثالث: أسلوب التقديم والتأخير في اللغة الفرنسية:

من المعلوم أنّ القاعدة العامة لترتيب ألفاظ الجملة في اللغة الفرنسية تقتضي البدء بالفاعل ثم الفعل ثم بعد ذلك يأتي المسند (l'attribut) أو بلقي المعمولات الأخرى، وذلك حسب طول الجملة أو قصرها. ويطلق على كل الظواهر اللغوية التي تخرج عن القاعدة العامة لبناء الجملة بِـ: الصور النحوية (les figures de grammaire). ومن أهمّها: التقديم والتأخير(l'inversion) والحشو (le pléonasme) والحذف(l'ellipse) والتعلّق المعنوي(la syllepse)[153].

يرى عالم اللغة الفرنسي جوزيف فندري س (Joseph Vendryes) (ت.1380هـ)أن هناك ترتيب أسلوبي معتاد يطرق الذهن كثيرًا وهو الترتيب المبتذل وأننا يمكن أن نخالف هذا الترتيب و أنَّ مخالفته تنبئ عن غرض ما، ذلك الغرض هو إبراز كلمة من الكلمات لتوجيه التفات السامع إليها، ويرى أن تلك مسألة أسلوبية يمكن تتبعها ودراستها إلى أقصى وقائعها . ويصف فندريس أن هذه الدراسة في غاية الدقة وتتطلب حسًّا لغويًا مدربًا وهو يعني بذلك توظيف مسألة التقديم والتأخير في الأسلوب وذلك حين ذكر الأسلوب المعتاد الذي يطرق الذهن، وأنَّ الأسلوبية تكمن في مخالفة هذا الأسلوب بالتقديم والتأخير.[154]

يعد أسلوب التقديم والتأخير من الأساليب المتداولة في اللغة الفرنسية، وله مكانة هامة ضمن التعابير النحوية البلاغية. فإذا ما تحدثنا عن التقديم والتأخير في النثر، نجد مثلا: تقديم الفاعل (خاصة في الجمل الاستفهامية)، كذلك تقديم الصفة، والمعمولات،... إلخ. ويستعمل هذا الأسلوب في النثر بشكل بليغ

[153]– ارتباط المفردات في عبارة تبعا للمعنى لا تبعا لقواعد النحو. انظر :

Idriss, Souheil : AL-MANHAL. Dictionnaire Français-Arabe. Ed 38. Beyrouth: Dar EL-Adab, 2007, p 1166.

[154]– بخيت متولي، عبد الحافظ : الأسلوبية بين القديم والحديث.

http://www.webcache.googleusercontent.com تاريخ الدخول:2011/01/10

(لإظهار كلمة أساسة، أو لاجتناب تماثل مملّ). و يظلّ أيضا ميزة الشعر، إذ يشكل عنصرًا شبه جوهري، خصوصًا من أجل سهولة نظم الشعر. أمّا ما يعد حكرًا على الشعر فنجد: تقديم المضاف إليه وتقديم مُكَمِّل الصفة.[155]

ويلتفت فندريس إلى العلاقة بين الانزياح عن المألوف في تراكيب الجمل والمعنى الجديد فيقول : أما التغيير من حيث هو وسيلة للتعبير ووضع الكلمات وترتيبها داخل الجملة . وترتيب الكلمات في كل اللغات يتجه نحو الاستقرار داخل الجملة وذلك بأن يفرض النحو على الكلمات ترتيبًا لا يتغير بعينه في جميع الجمل التي من نوع واحد ، فإذا أراد العربي أن يعبر عن انفعاله حاول أن يغير من الترتيب المألوف للكلمات داخل الجملة كعطف الاسم على الفعل ، أو الانتقال من الغائب إلى المخاطب ، أو تفكيك كتلة الجملة المتماسكة ، وفصم ارتباطها بغتة ، ثم جعل نصفها التالي يسير على خطة جديدة لا صلة بينها وبين النصف الأول منه.[156]

Dans les langues « à déclinaisons » comme autrefois le latin ou aujourd'hui l'allemand, la terminaison des mots indique leur fonction (leur rôle grammatical) dans la phrase ; l'ordre des mots a donc peu d'importance dans ces langues.
En français, c'est la place des mots qui détermine leur fonction et donc le sens général de l'énoncé.[157]

بالنسبة للّغات التي تحمل علامات الإعراب مثل اللاتينية قديما والألمانية حديثا، تدلّ نهاية الكلمات على وظيفتها (أي دورها نحويا) في الجملة. فترتيب الكلمات في هذه اللغات ليس له أهمية كبيرة. أمّا بالنسبة للغة الفرنسية، فإنّ ترتيب الكلمات هو من يحدد وظيفتها، وبالتالي يظهر المعنى العام للنص.

عموماً في اللغة الفرنسية، يرد أولا في الجملة الفاعل الذي قام بالفعل وهو الذي يمثل في نفس الوقت موضوع الكلام، أي الشخص أو الشيء الذي تتحدّث عنه الجملة. بعد الفاعل يأتي ما يسمّى بالمسند إليه (le prédicat) أي مجموع المعلومات المتعلّقة بهذا الموضوع.

---

[155] - Hajjar, Joseph : op-cit. pp 329,330.

[156]- فندريس، جوزيف. اللغة. تعريب عبد الحميد الدواخلي ومحمد القصاص. القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية، مطبعة لجنة البيان العربي، 1950م، ص 196.

[157] - LAROUSSE : Savoir rédiger. Collection « Livre de Bord », 1ère éd, 1997, France, p 20.

1. مفهوم التقديم والتأخير (l'ordre des mots) ou (l'inversion):

Inversion : s. f. T. de Gram. Transposition, changement de l'ordre dans lequel les mots sont ordinairement rangés dans le discours.[158]

التقديم والتأخير هو نقل وتغيير الترتيب الطبيعي للكلمات في الخطاب.

وهو كذلك قطع الترتيب التسلسلي أو المباشر للجملة في اللغة الفرنسية، حيث من العادة أن نضع: الفاعل ثم الفعل (حالة أو حدث) ثم المفعول به. كما أنّنا نبدأ بالمدلول(le déterminé) أي الشيء المراد تعيينه، ثم نورد الدَّال(le déterminant). فإذا قلنا مثلا: « robe bleue » " ثوب أزرق"، فإنّنا نلاحظ المدلول ثم الدَّال، وهذا هو الترتيب التسلسلي حيث يعمل كل عنصر في الجملة على تحديد العنصر الذي يسبقه، فإذا ما تمّ تغيير رتبة عنصر ما، فنحن بصدد الحديث عن أسلوب التقديم والتأخير الذي يخرج عن القاعدة العامة في اللغة الفرنسية. ويهدف هذا الأسلوب إلى تخصيص لفظ ما وإثارة انتباه المتلقي، فإذا قلنا مثلا: (Elle était immense cette mouvement de sympathie) " لقد كانت عظيمة هذه الحركة التعاطفية "، فنلاحظ في هذا المثال القيمة الجمالية التي أضافتها الصفة المتقدّمة.[159]

وهذه الظاهرة اللُّغوية تتمثل في تغيير الترتيب المعتاد لعناصر الجملة دون أن تتغيّر وظيفتها النحوية. فإذا اعتمدنا على هذا الأسلوب كإحدى صور البلاغة، فإنّه يستعمل حينئذ للتأكيد على اللفظ المقدّم في النثر. أمّا في الشعر فيستعمل مراعاة لضرورات الإيقاع الموسيقي للكلمات.

ومن بين أنواع التقديم والتأخير الممكنة نجد: تأخير الفاعل عن الفعل وتقديم المفعول على الفعل أو الفاعل والصفة على الموصوف وتقديم المضاف.

ويعدّ التقديم والتأخير أيضا أسلوبا نحويا، إذ نجد مثلا من الواجب تقديم الفاعل على الفعل في الجملة الاستفهامية(l'interrogation) أو العبارة المعترضة(l'incise)، ومثاله:

---

[158]- Dictionnaire de l'Académie Française, p56.
http://www.books. google.fr/books ?id accédé le 12/5/2011

[159]- Glossaire des figures de rhétorique.
http://www.espacefrancais.com/glossaire/index.php? accédé le : 30/01/2011

- Je ne l'aime plus, déclara-t-elle.[160]

- قالت : لا أحبّه إطلاقا.

وهنا نرى أنّ التقديم والتأخير ليس له معانٍ بلاغية.

ولكن في غيرها من الحالات تكون له أغراض بلاغية من بينها إبراز كلمة من الكلمات لتوجيه التفات السامع إليها وإضفاء قيمة جمالية على الأسلوب.

2. تقنيات تخصيص ألفاظ الجملة الفرنسية:

هناك تقنيات عديدة تسمح بتأكيد كلمة أو مجموعة كلمات داخل الجملة من أجل ترك انطباع في النفس حول تلك الكلمة المؤكدة، نذكر منها:

1.2. استعمال التعابير التقديمية:

تسمح التعابير التقديمية بالتأكيد على الكلمات المقصودة داخل الجملة، ومن بين هذه التعابير نجد:

« c'est… », « il y a », « voici »/« voilà » متبوعة غالبا بالضمير العائد:

« qui », « que », « à/de quoi », « dont », « où » [161] . مثاله:

- On voit les Alpes. ⟶ **C'est (ce sont) les Alpes** qu'on voit.
  - إنّنا نرى جبال الألب ⟵ هذه هي جبال الألب التي نراها.
- J'ai écrit depuis longtemps. ⟶**Il ya longtemps** que j'ai écrit.
  - كتبت منذ مدّة. ⟵ مضى وقت طويل منذ أن كتبت.
- Je suivrai cette méthode. ⟶**Voici la méthode** que je suivrai.
  - سأتبع هذه الطريقة. ⟵ هذه هي الطريقة التي سأتبعها.

[160]- La rédaction et la communication : Figures de style, Figures touchant la construction de la phrase. http://www. 66.46.185.79/bdl/gabarit_bdl.asp?id=4086 accédé le : 12 /05/2011

2- voir : LAROUSSE : Savoir rédiger : op-cit, p 178.

2.2. ضمائر الإعلان أو التذكير:

يمكن استعمال الضمائر من أجل الإعلان عن كلمة أو جملة اعتراضية أو إعادة ذكرهما بهدف التأكيد عليهما أو ترك أثر ذلك في نفس القارئ[162]، ومثاله:

- Ta veste te va bien. سُترتك تناسبك.

⟶ **Elle** te va bien, **ta veste** (pronom d'annonce + apposition) ou

⟶ **Ta veste**, **elle** te va bien (apposition + pronom de rappel).

⟵ إنّها تناسبك، سترتك (ضمير معلن + جملة اعتراضية).

سترتك، إنّها تناسبك (جملة اعتراضية + ضمير عائد).

- Chacun sait qu'il est courageux.

⟶ **Qu'il est courageux**, chacun **le** sait (pronom de rappel).

- كل واحد يعلم بأنّه شجاع.

⟵ إنّه شجاع، وكل واحد يعلم ذلك (ضمير عائد).

3.2. الضمائر الشخصية المنبّرة:

تعمل الضمائر الشخصية المنبّرة (Toniques) في الجمل الاعتراضية على تفخيم وتأكيد كلمة ما خلافا للضمائر الشخصية غير المنبّرة (Atones)، حيث تسمح غالبا بخلق تضاد في المعنى[163]، ومثاله:

- **Toi**, tu te vantes sans cesse, Jean, **lui**, sait rester modeste.

- أنت تتباهى بنفسك دائما وجون، هو يظل متواضعا.

[162]- انظر : LAROUSSE : Savoir rédiger : op-cit, p 178

[163]- انظر : Loc-cit.

4.2. ترتيب الكلمات في الجملة:

يمكننا تغيير الترتيب الطبيعي للكلمات في النثر من أجل تخصيص العبارات التي تمّ تقديمها أو تأخيرها، ولا يمكن الوصول إلى حدود الحرية التي يمارسها الشعر في هذا الأسلوب. ومن بين الألفاظ التي يمكن تغيير ترتيبها في الجملة نجد:

1.4.2. تقديم وتأخير الفاعل(le sujet):

نحاول من خلال الأمثلة الآتية تسليط الضوء على الرتبة التي يمكن أن يحتلّها الفاعل في اللغة الفرنسية في حالة التقديم والتأخير[164]:

- Là-bas, tout blanc et tout propret dort au soleil notre village. (V. Gille).
  - هناك، في كل ما هو أبيض و نظوف[165]، تنام تحت الشمس قريتنا.

وهذا النوع من التقديم والتأخير غالبا ما يستعمله الشعراء.

- En face de chez nous, sur la petite place, était la fontaine.
  - قُبالة مسكننا، في المكان الصغير، كان منبع الماء موجودًا.
- Claque le revolver des départs, et je tressaute. (Henry de Montherlant). (1895-1972)
  - دوّى صوت مسدس الانطلاق، فانتفضتُ.
- Vienne la nuit, sonne l'heure
  - خيّم الليل، دقّت الساعة.
- Le long d'un clair ruisseau buvait une colombe (Jean de La Fontaine, la Colombe et la Fourmi).(1621-1695)
  - على امتداد مجرى ماءٍ صافٍ كانت ترتوي حمامة.

[164] - voir : Cornish, Francis : L'inversion « locative » en français, italien et anglais: Cahiers de Grammaire. 2001, p 103.

[165]- شديد النظافة، نظيف حتى التصنّع، انظر: Idriss, Souheil : op-cit. p 984

- Venait derrière, avec les coussins, les oreillers, les tabourets, M. des Lourdines». (Alph. de Chateaubriant).(né en 1877).

- " كان السيد دلوردين في الخلف، مع المخدّات ، والوسائد، والمقاعد ".

- « Trois quarts d'heure, environ, durait cette extase, qu'il n'eût pas troquée contre un royaume ». (Villiers de l'Isle-Adam).(né en 1838-1889).

- " حوالي ساعة إلاَّ ربع دامت هذه النشوة، التي لم تكن لتعوّض بمملكة ".

- « Après ce couple, vint M. de Bartas, nommé Adrien, l'homme qui chantait les airs de basse-taille et qui avait d'énormes prétentions en musique ». (Balzac).(1799-1850).

- " بعد هذين الزوجين يأتي السيد دوبرتاس، المسمّى أدريان ، الرجل الذّي غنّى بصوت جهير والذّي كانت له طموحات كبيرة جدًّا في الموسيقى ".

- « Et tombent avec eux d'une chute commune

  Tous ceux que leur fortune

  Faisait leurs serviteurs ». (Malherbe).(1555-1628).

- " وسقط معهم سقوطا مشتركا

  كــل الذين، بسبب ثروتهــم

  كــانوا لــهــم عــبــيــدا ".

- « D'un bon vin frais ou la mousse ou la sève

  Ne gratta point le triste gosier d'Eve ». (Voltaire, Le Mondain).(1694-1778).

- " بخمر طيب منعش، أو قشدة معطّرة، أو نسغ

  مــا زال أبــدا صــوت حــواء الحــزيــن".

- Alors éclata **un orage effroyable** ; suis-**je** distrait !

- اندلعت إذن عاصفة مرعبة؛ هل سهوت.

« Dans la traduction française, il faut, dans la mesure du possible, faire ressortir le sens des termes inversés arabes ».[166]

يجب بقدر الإمكان أثناء الترجمة الفرنسية نقل دلالات الألفاظ العربية التي وقع فيها التقديم والتأخير.

A cette fin, on se sert souvent du gallicisme « c'est...qui » pour mettre en évidence un sujet[167].

من أجل تحقيق ذلك نستعمل غالبا العبارة الفرنسية « c'est...qui » لتخصيص الفاعل.

- ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً﴾ (النحل: 10)

« C'est Lui qui fais descendre du ciel une eau »[168].

ومن أجل تخصيص الفاعل، يمكن أن نعتمد أيضا على أدوات الحشو: (quant à , pour)

- Quant à mon père, il n'arrivera que demain.
- بالنسبة لأبي لن يصل إلاَّ غدًا.

1.1.4.2. طبيعة الفعل المستعمل في التقديم والتأخير:

لايمكن القيام بالتقديم والتأخير في اللغة الفرنسية إذا كان الفعل المستعمل لازما.[169] وهذا يخصّ الأفعال اللازمة التي تدل على الوجود أو الظهور أو اختفاء الذات، الأفعال المبنية للمجهول، الأفعال الضميرية، الأفعال الوصفية وأفعال الربط، وبشكل عام الأفعال التي تظهر دلالتها بيُسر في السياق. و يرى كل من لوفن و ربابورت هوفاف (Levin et Rappaport Hovav) أنّ :

« Le dénominateur sémantique commun à tous ces verbes est la dénotation d'existence ou d'apparition d'une entité ou d'un état de choses, et le critère

[166]- Hajjar, Joseph : op-cit. p 328.
[167]- Loc-cit.
[168]- Berque, Jacques : LE CORAN, ESSAI DE TRADUCTION. Paris : éd. revue et corrigée, col. Spiritualités vivantes 194, Albin Michel, 2002, p 279
[169]– تقديم الفعل المتعدي على الفاعل كان ممكنا في اللغة الفرنسية القديمة، حسب فورنيي (Fournier) ، ولكن تمّ إلغاؤه بداية من الثلث الأول من القرن السابع عشر.انظر:

Nathalie, Fournier : Grammaire du français classique. Paris, Belin, 2001, p 96.

discursif sous-jacent, celui de la « légèreté » de l'apport d'information associé ces verbes »[170].

القاسم المشترك الدلالي بين هذه الأفعال هي علامة وجود أو اختفاء الذات أو حالة ما، والمعيار الخطابي الخفيّ المتمثل في سهولة مضمون الكلام الذي تؤديه هذه الأفعال.

وهذه بعض الأمثلة [171] :

(1) a- Dans une clairière se voyait une coquette chaumière.

أ –في فرجة غابة ظهر كوخ قش متأنّق.

b- Au fond d'une cour se dressaient de vétustes baraquements.

ب –في آخر ساحة نصبت مخيّمات قديمة.

c-Sur le mur pendait une antique crémaillère.

ج– على الجدار تدلّى معلاق قدر عتيق.

d-Dans le lointain coulait lentement un pétrolier rafistolé.

د– في الأفق البعيد كانت تُبحِر ببطء ناقلة بترول تَمَّ إصلاحها بغير إتقان.

e-Dans le jardin accoururent soudain trois jeunes garçons aux pieds nus.

هـــ– في الحديقة هرع فجأة ثلاثة شبّان أقدامهم حافية.

f-Sur la porte était gravée en lettres gothiques une inscription mystérieuse.

و– على الباب نُقشَتْ بحروف قوطية كتابة غريبة.

g-Tapi dans un tas de feuilles mortes était un oiselet rougeâtre [172].

ي– كان كامنا في كومة أوراق ميّتة عصفور أمغر[173].

- Dans ce bureau travaillent quatre personnes.

[170] -voir : Levin, B. & Rappaport Hovav, M : The problem of locative inversion, in Unaccusativity : at the syntax- lexical semantics interface. Ch6. Cambridge: Cambridge University Press, 1996, pp215-277.

[171]- voir : Cornish, Francis : op- cit, p 105.

[172]– يرى اللساني الفرنسي مولينيي(Molinier) بأنّ المثال (1-g) عبارة عن تعبير قديم وأدبي ولكنه مع ذلك فرنسي.انظر :

Loc-cit.

[173]– أي لون مائل إلى الأحمر.

ك– في هذا المكتب يعمل أربعة أشخاص.

يرى فرانسيس كورنيش (Francis Cornish) أنّ: الأفعال المستعملة في المثالين (أ – ب) (se voir, se dresser) هي أفعال ضميرية ذات قيمة دلالية ثابتة، بالإضافة إلى الفعل اللازم البسيط (pendre) في المثال (ج)، وهناك أفعال ذات قيمة دلالية ناتجة مبنية للمجهول في المثال (و) :(être gravé) والفعل الرابط[174] في المثال (ي): (être). أما فعل تغيير الحالة (couler) في المثال (د)، فهو فعل متعدٍّ جاء في بناء لغوي لازم. مثال:

(Un pétrolier rafistolé coulait lentement dans le lointain).

كما يأتي في بناء لغوي متعدّ سببي، مثال:

(Le sous-marin ennemi a coulé un pétrolier rafistolé).

أغرقت غوّاصة العدو ناقلة بترول تمَّ إصلاحها بغير إتقان.

أمّا فعل الحركة (accourir) في المثال (هـــ)، فإنّه يبيّن مرجع الدلالة، أي ما يشير إليه الفعل إلى فاعله (trois jeunes garçons)[175].

« Les exemples (a-d et f-h) servent essentiellement à signaler au lecteur l'existence des référents à l'œuvre (leurs verbes pourraient tous être remplacés par une forme de la locution présentatrice *il y a*, alors que (e), comme on l'a vu, fonctionne pour en indiquer l'apparition (soudaine) »[176].

تُظهر الأمثلة : (أ– د) و (و– ك) للقارئ وجود مرجعيات الدلالة ، إذ يمكن استبدال أفعال هذه الجمل بتعابير تقديمية مثل : (il y a) . أما في المثال (هـــ) كما رأينا ، يظهر مرجع الدلالة بوضوح لفظة (فجأة) .

[174]– يربط الفاعل بالمسند إليه، مثال: Le cheval galope ، يَعدُو الحصان. ففي هذا المثال : (Le cheval) هو الفاعل و (galope) هو المسند إليه الذي يؤكده الفاعل. وفي المثال (ي) هو الفعل (كان).

[175]- voir : Cornish, Francis : op-cit. p 105.

[176]- Loc-cit.

كما نلاحظ أيضاً من خلال هذه المدونة القصيرة (أي جملة الأمثلة المذكورة) أنّ الزمن الأكثر استعمالاً في الأفعال هو الماضي الناقص، كما في الأمثلة (أ– د) و (و– ك) حيث لها قيمة دلالية ثابتة غير ديناميكية. أما في المثال (ك) فنجد أنّ (travailler) هو فعل لازم.

ونرى أيضاً في الأمثلة الثلاث (أ– ب– ي)، أنّ القراءة المغايرة دون تقديم وتأخير يمكن أن تكون نوعاً ما عادية.

a- Dans une clairière, une coquette chaumière se voyait.

b- Au fond d'une cour, de vétustes baraquements se dressaient.

g- Tapi dans un tas de feuilles mortes, un oiselet rougeâtre était.

لكن في الأمثلة الخمسة الأخرى (ج– د– هـ – و– ك) ، تظهر القراءة المغايرة دون تقديم وتأخير مقبولة تماماً. ويعود سبب هذا الاختلاف إلى أنّ الأفعال الضميرية (se voir , se dresser) إضافة إلى الفعل (être) في الأمثلة الثلاثة الأولى (أ – ب – ي) ليست مستقلة بشكل كافٍ من الناحية الدلالية ، حتى تكون في آخر الجملة (وهو المكان الذي يجب أن تؤدي فيه وظيفة التنبؤ الدلالي). أمّا الأفعال الخمسة في الأمثلة الأخرى (pendre , couler , accourir , (être) gravé et travailler) فلكل فعل دلالة خاصة تسمح له باتخاذ هذا المكان في آخر الجملة (والذي يؤدي فيه وظيفة التنبؤ الدلالي). ويمكن القول أيضاً أنّه في كل حالة من هذه الحالات تكون الجملة الناتجة عن التقديم والتأخير طبيعية ومقبولة إذا كان ظرف المكان أو الزمان موظَّفاً في مكانه المناسب ، أي على يمين الفعل.[177]

[177] – يرى كريستين موليني (Christian Molinier) في هاذين المثالين :

(i) - Dans ce bureau quatre personnes travaillent.

– يعمل في هذه اللحظة أربعة أشخاص في هذا المكتب .

(ii) - Dans ce bureau travaillent quatre personnes.

– يعمل أربعة أشخاص في هذا المكتب . =

« Nous pouvons donc dire, avec Levin & Rappaport Hovav, que c'est le fait de relever d'une inversion qui donne à ces verbes une interprétation informationnellement « légère ». Ces auteurs font valoir en plus que, pour que l'inversion soit recevable, le sens du verbe interverti doit *caractériser* le référent du SN sujet postposé : autrement dit, il faut qu'il y ait un effet de redondance dans la relation sujet-verbe, le verbe traduisant une activité ou un état caractéristiques du type d'entité que représente le référent du sujet. Cette propriété est bien entendu étroitement liée au critère de « légèreté informationnelle » que doit assumer en contexte le verbe en question »[178].

يمكن أن نقول أيضاً تبعاً لِ لوفن و رابابورت هوفاف (Levin & Rappaport Hovav) بأنّ الأمر يتعلق بالتقديم والتأخير الذي يُعطي لهذه الأفعال تفسيراً إخباريًّا سهلاً . وحتى يكون التقديم والتأخير مفهوماً ، يشير الكتّاب أيضاً إلى أنّ معنى الفعل الذي تغيَّر موضعه ينبغي أن يميز العائد على الفاعل المؤخر ، وبعبارة أخرى ، ينبغي أن يوجد أثر التكرار في العلاقة بين الفاعل و الفعل ، والفعل يترجم نشاطاً أو حالة مُتميِّزة من الذات التي يُمثِّلها العائد على الفاعل. إنَّ هذه الخاصيّة مرتبطة بشكل خاص بمعيار « السهولة الإخبارية » التي ينبغي أن يضطلع بها الفعل المعنيّ في السياق.

2.1.4.2. <u>الشكل النحوي للفاعل المؤخر، وعلاقته بالفعل:</u>

« D'abord, le sujet postposé n'est pas obligé de se placer immédiatement à droite du verbe concerné : (1d), (1e) et (1f) montrent clairement qu'un adverbe ((1d, e)) ou un SP modificateur ((1f)) peuvent se coller au verbe. La situation ici se rapproche donc du cas de figure qui prévaut en ce qui concerne l'inversion stylistique, la seule différence étant que cette dernière n'a pas besoin d'un

= بالنسبة للمثال (i) حيث الترتيب: فاعل + فعل ، يظهر من خلال الفعل (travailler) قيمة زمنية حاضرة (حيث يعمل الأشخاص المعنيون في المكتب في اللحظة التي نتكلم فيها) وهو الأمر الذي لا نجده في المثال (ii) حيث الترتيب : فعل + فاعل وهو ما يجعل معنى الجملة عاديًّا. انظر :

Cornish, Francis : op-cit. p 106.

[178] - Loc-cit.

adverbial locatif ou temporel antéposé pour pouvoir se faire. C'est donc le sujet et le groupe verbal qui s'intervertissent. Du point de vue théorique, il est d'ailleurs plus économique de postuler que c'est uniquement le sujet qui se déplace dans cette construction, le verbe ou groupe verbal restant *in situ* »[179].

ليس من الضروري أن يقع الفاعل المؤخر مباشرة على يمين فعله، حيث يظهر جليًّا في المثال (د) و (هـــ) و (و) بأنَّ الظرف في المثالين (د، هـــ) أو عامل التغيير في المثال (و) يمكن أن يلتصق بالفعل. تقترب هذه الوضعية إذن من الصورة التي ترجِّح التقديم والتأخير الأسلوبي، أمَّا الفارق الوحيد فيكمُن في أنَّ هذا الأخير لا يحتاج إلى ظرف مكاني أو زماني مقدَّم حتى يتمَّ، إذ يتغير مكان كل من الفاعل والفعل. ومن الناحية النظرية ، لا يعدُّ تكلفًا إذا سلَّمنا أنّ الفاعل فقط هو الذي يتغيّر موقعه في هذا التركيب ، أمّا الفعل فيبقى ثابتا.

ويرى كل من كُليكوفر و لوفين (Culicover & Levine) بأنّ هناك تركيبين يكون فيهما التقديم والتأخير بين الفاعل والفعل التام ، أولاهما : ما يسمى بِـ : التقديم والتأخير المخفّف الذي يختص بالأفعال اللاّزمة أو حين يكون الفاعل مخفّفا (أي غير مركّب نحويًّا) . وثانيهما : التقديم والتأخير المركّب. فمن الناحية النحوية، يحتل ظرف المكان في التقديم والتأخير المخفّف مكان الفاعل، ويقع هذا الأخير على يمين الفعل. لكن هذا التحليل يثير جدلا ، حيث يبرز في التركيب النحوي فاعلان ، ما يشكل خطأً واضحًا. ومن هنا يبدو من الأفضل التحليل النحوي الوظيفي لِـ : ديك (Dik) حيث يضع الظرف المقدَّم في رتبة خاصة ويُبقي للفاعل وظيفته الأولى في الجملة. ومن جهة أخرى، يقع ظرف المكان في التقديم والتأخير المركَّب على اليسار ويتحوّل الفاعل على يمين الفعل.[180]

وهكذا، فإنّ التقديم والتأخير بين الفاعل والفعل التام يختلف بشكل واضح على التقديم والتأخير بين الفاعل الضمير والفعل المساعد (في الجملة الاستفهامية، أو بعد الظرف الذي يأتي في بداية الجملة).

[179]- Cornish, Francis : op-cit. pp 106,107.

[180]- voir : Culicover, P.W. & Levine, R.D : Stylistic inversion in English : a reconsideration, in Natural Language and Linguistic Theory 19, 2001, pp283-310.

كلَّما كان الفاعل مركبا وطويلا ، كلما دعت الحاجة إلى وضعِه على يمين فعله (ويتعلق الأمر هنا بالتقديم والتأخير المركب الذي تحدَّث عنه كل من كوليكوفر و لوفين[181] (Culicover & Levine) .

وبالنظر إلى حجم المعلومات التي يقدِّمها النّص في إطار نشاط تواصلي ما، يكون من المتوقع ورود هذا النوع من التقديم والتأخير ، لأنّه إذا كان مضمون الكلام الذي يشترك مع الفاعل مهمًّا نسبيًّا، فإنّه يسعى إلى أن يتمّ تفسيره كأنّه (معلومة جديدة في السياق نسبيًّا) ، وليس موضوعيًا ، حيث من العادة أن تحتل المكونات التي تؤدي هذه الوظيفة عمومًا آخر الكلام وليس في بدايته أو وسطه.

3.1.4.2. وجود أو غياب ظرف مقدّم :

- بوريلو Borillo[182] ، أونو Ono[183] وكذلك لسانيون آخرون: أبرزوا أنّ الأفعال (التي تدل على ظرف مكان) والتي تصنّف تحتها مكمّلات الجملة (ظروف المكان أو الزمان في هذه الحالة) تُغيِّرُ مواقعها مع فاعلها عندما تكون هذه المكملات مقدَّمَة.[184]

يمكن أن تقارن في هذا الصدد المثالين (2 و 3) اللّذين يحملان الفعلين " يوجد و اشتعل " (se trouve et flamber) :

2- أ – في الخزانة كانت توجد الأحذية .

ب – في الخزانة الأحذية كانت موجودة .

(2) a – Dans L' armoire se trouvaient les chaussures .

---

[181]- Culicover, P.W. & Levine, R.D : op-cit. p 108.

[182] - voir : Borillo, A : Le complément locatif et le genre descriptif. in Coene, M., de Mulder, W., Dendale, P. & D'Hulst, Y. Eds, Studia linguistica in honorem Lilianae Tasmowski, Unipress, 2000, p88.

[183] - voir : Ono, N : On the interaction between lexical and constructional meanings. in Bouillon, P. et Kanzaki, K. Eds, Proceedings of the First International Workshop on Generative Approaches to the Lexicon. Ecole de Traduction et d'Interprétation, Université de Genève, 26-28 Avril 2001, p 89 .

[184]- voir : Birner, B.J. & Ward, G : Information Status and Non canonical Word Order in English. Amsterdam/Philadelphie, John Benjamins, 1998, p31.

اللّذان لاحظا بأنّ تقديم المكمّلات التابعة معجميا مقيّدة أكثر من الأنواع الأخرى من المكملات.

b – Dans L'armoire, les chaussures se trouvaient.

3– أ – في مدخنة واسعة كانت تشتعل نار كبيرة.

ب – في مدخنة واسعة نار كبيرة كانت تشتعل .

(3) a – Dans une large cheminée flambait un grand feu .

b – Dans une large cheminée, un grand feu flambait.

« Etant donné que, là où (comme dans (2a)) un SP antéposé est sous catégorisé par un verbe (*Les chaussures se trouvaient*), l'inversion est quasiment obligatoire (voir (2b), par opposition à (2a)), on pourra postuler que le SP locatif antéposé est placé dans la position structurale dénommée « P1 » dans la Grammaire Fonctionnelle. Celle-ci est la position initiale dans la proposition, réservée aux expressions qui relèvent d'un traitement spécial (surtout pour des raisons pragma-discursives). C'est dans cette position que, par défaut, les sujets sont placés dans la mesure où ils expriment, comme c'est généralement le cas, le topique au niveau phrastique »[185].

بما أنّه (كما في المثال (2– أ)) الظرف المقدم مصنف تحت الفعل (se trouvaient)، فإنّ التقديم هنا هو شبه واجب (انظر المثال (2 – ب) على عكس المثال (2 – أ)) يمكن هنا التسليم بأنّ ظرف المكان المقدّم يحتل رتبة تركيبية في النحو الوظيفي. ويمثل الرتبة الابتدائية في الجملة والذي يُخصَّص للعبارات التي تتطلب معالجة خاصة (خصوصًا لأسباب خطابية براغماتية). ففي هذه الرتبة من العادة أن يعبِّر الفاعل عن الدور النموذجي على مستوى الجملة.

[185]- Cornish, Francis : op-cit. p 109.

4.1.4.2. ترتيب أشكال تقديم وتأخير الفاعل في اللغة الفرنسية الحديثة:

يعدّ تقديم وتأخير الفاعل إشكالية معقدة في النحو الفرنسي بسبب تعددّ أشكاله وتنوّع استعماله. إنّ الترتيب القديم يأخذ بعين الاعتبار فقط البنية السطحية أي نتاج التغيير" تقديم وتأخير الفاعل". لكن يبدو أنّ هذا المصطلح نفسه يدل على أنّنا نعتبر الترتيب: فعل+ فاعل هو نتيجة تغيير البنية العميقة. وهذا يوافق من جهة أخرى وبشكل عام الطريقة التي تظهر عليها الأشياء في البيداغوجيا، حيث نعلّم التلاميذ كيفية إنشاء جمل عن طريق تقديم وتأخير الفاعل انطلاقا من الجمل المثبتة لنوع معين. يبدو من الأفضل لنا إذا أردنا الحديث عن هذا النوع من الأساليب، أن نقوم بتصنيف مختلف أنواع التقديم والتأخير ليس فقط على أساس شكل جملة الهدف ولكن أيضا على أساس جملة المصدر، بعبارة أخرى على أساس الشروط التي يتم وِفْقَها هذا التغيير[186].

جرت العادة أن نطلق مصطلح التقديم والتأخير المركّب إذا ورد الفاعل في الجملة مرّتين، قبل الفعل على شكل اسم، وبعد الفعل على شكل ضمير شخص متّصل. وإذا ورد الفاعل مهما كانت طبيعته مرّة واحدة بعد الفعل نطلق عليه مصطلح التقديم والتأخير البسيط.

فإذا اعتمدنا على هذا المصطلح التقليدي، يمكن أن نقول مثلاً أنّ نوع التقديم الوارد في الجمل الآتية هو تقديم بسيط:

1- هل سيأتي؟. Viendra-t-il ?

2- قال: صباح الخير. Bonjour, dit-il.

3- صباح الخير، قال الولد. Bonjour, dit le garçon.

4- في نهاية الممرّ شعاع يلمع. Au bout de l'allée brillait une lumière.

---

[186] -voir: Ebbe Spang-Hanssen: Revue Romane, Bind 6, Copenhague, 1971.
http://www.tidsskrift.dk/visning.jsp?markup=&print=no&id=95172 accédé le 13/08/2011

توصّلنا في هذه الأمثلة إلى تصنيف جمل بأشكال مختلفة وفرّقنا بين تلك التي تشترك في نفس النوع ، حيث تعطي الجملة 1 مثالاً للتقديم والتأخير البسيط، بينما تحتوي الجملة 5 الآتية على تقديم وتأخير مركب.[187]

5- بيار، هل سيأتي؟ Pierre viendra-t-il ?

نلاحظ في المثالين 1 و 5 أنّهما يختلفان في تمثيل الفاعل، حيث ورد في المثال 1 مفردًا ثم تكرّر مرتين في المثال 5 ولكن يبدو من الأفضل أن نعتبر هذا الاختلاف ثانوي باعتبار أن التشابه الحاصل بين الحالتين كبير جدًّا.

ولا يمكن تأخير الفاعل إذا كان ذلك يشكّل غموضا مع المفعول به:

- Le chasseur poursuit le lion ⟶ Le lion poursuit le chasseur

فالتقديم في المثال الثاني مستحيل لأنّ الجملة: لديها دلالة مغايرة.[188]

أمّا بالنسبة للكتّاب، فهم لا يستعملون غالبا هذا النوع من التقديم والتأخير إلاَّ من أجل جمال الأسلوب أو تناغم الألفاظ وحسن الجرس.

2.4.2. تقديم المسند (l'attribut) على الفاعل:

سنرى من خلال الأمثلة الآتية الأثر الجمالي الذي يتركه تقديم المسند في نفس القارئ:

- Grand est mon désir de vous revoir ;
  - كبيرة هي رغبتي في رؤيتك مرّة أخرى.

- Oh ! Triste, triste était mon âme. (Verlaine)

[187] - voir : Renchon, H : Etudes de syntaxe descriptive. 11. La Syntaxe de l'interrogation. Bruxelles, 1967, p40.
حيث وضع (ص40) تسميات أخرى للتقديم والتأخير المركّب لها نفس التعريف: استفهام مركّب، استفهام تركيبي، تقديم وتأخير مزيّف، استفهام مقلوب عكسي.

[188]- Syntaxe du nom en français : Un article de Wikipédia, l'encyclopédie libre.
http://www.wapedia.mobi/fr/Syntaxe_du_nom accédé le : 13/08/2011

- أوه ! حزينة، حزينة كانت نفسي.

- Merveilleuse était alors la forêt dans son étincellement d'argent. (Julien Gracq)

- عجيبة كانت الغابة في تلألئها الفضّي.

هذا النوع من التقديم والتأخير غالبلما يستعمل أيضا في الشعر.

- D'une secrète horreur je me sens frissonner ». (Racine)

- من فرط هول مكتوم، اقشعرّ بدني.

- Grande pour tous les êtres est la tristesse des heures du soir.

- كبيرة على كل الكائنات هي ساعات المساء.

ولكن نادرًا ما يتم استعمال هذا النوع في النثر، عدا بعض الحالات التي يُراد منها إضفاء قيمة جمالية على المسند.[189]

3.4.2. تقديم الصفة على الاسم:

وذلك إذا كان من الطبيعي أن تأتي بعده أو العكس.

- Un **effroyable** orage. – عاصفة مرعبة

يمكن أحيانا تخصيص الصفة وذلك عن طريق الإتّصاف (تحوّل الصفة إلى موصوف) (la substantivation) أي استعماله كاسم، أو تحويله إلى اسم[190]، ومثاله:

- Pierre, ce rêveur ⟶ ce rêveur de Pierre.

- بيار، هذا الرجل الحالم ⟵ هذا حلم بيار.

- Une voiture merveilleuse ⟶ Une merveille de voiture.

- سيّارة رائعة ⟵ روعة السيّارة.

[189]- voir : http://www.françaisfacile.com/exercices1864.php accédé le : 15/8/2011
[190] -voir : LAROUSSE : Savoir rédiger : op-cit, p 179.

4.4.2. تقديم وتأخير مكمّل الاسم (le complément du nom):

- J'aime de vos longs yeux la lumière verdâtre. (Baudelaire)
  - أحبّ من عينيك الكبيرتين بريقها المخضرّ.
- «L'Océan, de leur vie a pris toutes les pages… ». (V. Hugo, Océano Nox)
  - كتاب (المحيط) (L'Océan)، استغرق من حياتهم كل صفحاتها.[191]

5.4.2. تقديم وتأخير المفعول به (le complément d'objet):

A cette fin, on se sert souvent du gallicisme « c'est…que », pour mettre en évidence un objet [192] :

من أجل تحقيق ذلك نستعمل غالبا العبارة الفرنسية « c'est...que » لتخصيص المفعول به.

- ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ (الفاتحة:5)

« C'est Toi que nous adorons, Toi de qui le secours implorons» [193]

- ﴿عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ﴾ (يوسف:67)

« C'est sur lui que je m'appuie »[194]

-C'est aux pauvres que je pense, il fait si froid dehors.

-على الفقراء أظنّ أنّ الجوّ بارد خارجًا.

A- On se sert parfois d'un pléonasme : par exemple un nom complément faisant double emploi avec un pronom : [195]

نستعمل في بعض الأحيان أسلوب الحشو مثلا: مفعولا به يعمل مرّتين مع الضمير.

- ﴿فَأَمَّا ٱلْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ ۝٩ وَأَمَّا ٱلسَّآئِلَ فَلَا تَنْهَرْ﴾ (الضحى: 9 – 10)

[191]- voir : http://www.françaisfacile.com/exercices1864.php accédé le : 15/8/2011
[192]- Hajjar, Joseph : op-cit. p 328.
[193]- Berque, Jacques : op-cit. p 23.
[194]- Hajjar, Joseph : op-cit. p 328.
[195]-Loc-cit.

« L'orphelin, ne (le) brime donc pas ! Le mendiant, ne (le) repousse donc pas» [196]

- في الجمل التعجبية أو الاستفهامية:

-Quelle visite attendons-nous ?

- أيّة زيارة نترقّبها؟

نضع المفعول قبل الفعل ونجعل ضميرًا يعود عليه:

- Et ce livre si intéressant, je me demande si tu l'as vraiment lu.
  - وهذا الكتاب مهم للغاية، أتساءل فيما إذا قرأته فعلاً؟
- «Tu m'oses soutenir que Sosie est ton nom ? ». (Molière, Amphitryon)
  - "هل تتجرّئين على أن تثبتي قولي بأنّ سوزي هو لقبك؟".
- Il fallait le voir, cet homme !
  - تجب رؤيته، هذا الرجل !

يستعمل هذا التقديم والتأخير في الشعر فقط.

6.4.2. تقديم وتأخير المفعول فيه (complément circonstanciel):

- Demain, avec le retour du soleil, je travaillerai dans le jardin.
  - غدًا مع اعتدال الطقس سأعمل في الحديقة.
- «Dans l'encre et l'amertume une autre arme trempée
  Peut encor servir les humains… ». (André Chénier)
  - "في الحبر والمرارة نقع سلاح آخر
    يمــكن للإنــسان استعــماله".

[196]- Hajjar, Joseph : op-cit. p 328.

يعتبر المفعول فيه اللفظ الوحيد الذي يغيّر رتبته بحرية تامّة. إذ تحدّد هذه الرتبة ضرورات القصّة و الذوق الأدبي للكاتب.

7.4.2. تقديم وتأخير مكمّل الصفة (complément de l'adjectif):

- Mais si ce même enfant, à tes ordres docile, (Racine).
  - لكن إذا كان هذا الطفل لأوامرك مطيع.

وهذا النوع من التقديم والتأخير لا يُسمح به كذلك إلاَّ في الشعر.[197]

[197]- voir : http://www.françaisfacile.com/exercices1864.php accédé le : 15/8/2011

خاتمة:

رأينا في هذا الفصل قضية التقديم والتأخير في اللغتين العربية والفرنسية على مستوى الجملة. وتشمل توضيحا للترتيب الطبيعي للكلمات في الجملة العربية. وقد لاحظنا من خلال هذا الفصل ما للإعراب من أهميّة كبيرة في اللغة العربية، إذ تحتفظ الكلمة برتبتها داخل السياق اللغوي، ولا يلتزم الشاعر أو الناثر بحتمية الرتب في الجملة العربية رغم أهميّتها، فالمفعول به يتقدّم على الفاعل ويظل مفعولا به، ويصبح المراد هنا إمتاع القارئ وليس مجرّد إيصال المعنى، أي أنّ اللغة تتحوّل من نفعية إلى إبداعية وتصير وسيلة من وسائل الجمال. أما بالنسبة للغة الفرنسية ، فتشمل هذه الدراسة تمييزا بين التركيب المعنوي والتركيب البنائي، حيث يعامل التقديم والتأخير حسب الدرجة التي تحتلها الكلمة في الجملة الفرنسية في سلم فاعلية الاتصال.

ولقد حظي أسلوب التقديم والتأخير بنوع اهتمام من قِبل الباحثين في ميدان اللغة؛ سواءً العربية أو الفرنسية، من النحويين والبلاغيين لأهميّته في الكشف عن أسرار اللغة وأنظمة اشتغالها.

وللقرآن الكريم حظّ وافر من الاهتمام بهذا الأسلوب؛ نظرا لكثرة ما ورد في ألفاظه من تقديم وتأخير، فكان وجود أسلوب التقديم والتأخير في القرآن الكريم أحد وجوه إعجازه. حيث رأينا من خلال هذا الفصل أنَّ المفسّرين يدقّقون في المعاني البلاغية للتقديم والتأخير في الجملة الاسمية بقدر اعتنائهم بالظاهرة من جهة نحوية، وإن كانت قليلة في قسم من الأحيان. أمّا التقديم والتأخير في الجملة الفعلية فذكروا موا طن تقديم المفعول به على فعله وذكروا أغراضاً بلاغية مثل: العناية والاختصاص وتقَدُّم أحد المفعولين على الآخر يرافق غرض العناية والاهتمام والاختصاص.

إنّ الدراسة الكامنة لبلاغة التقديم والتأخير في القرآن إنما تعود إلى دراسة التركيب النحوي وفهم المعنى الدلالي للآيات وهذا يتعلق بالبلاغة نفسها ، لأنَّ البلاغة في أصلها ترجع إلى العامل والمعمول من حيث تلازمهما أو تباعدهما.

الفصل الثاني: الترجمة القرآنية

1. مقدمة
2. المبحث الأوّل: إشكالات الترجمة القرآنية
3. المبحث الثاني : نظريات ترجمة معاني القرآن الكريم
4. خاتمة

مقدمة:

لمّا كان القرآن الكريم كلام الله المعجزة الخالدة اعتنى به الدارسون حفظا وتعلما لألفاظه ومعانيه وردًّا على أعدائه الذين يطعنون فيه. ومن عنايتهم بالقرآن الكريم السعي الجادّ في نقل معانيه إلى لغات عديدة إما لتبليغ أحكامه للناس كافة عربًا وعجمًا وإما لأهداف أخرى، لكنّ البعض منهم يعتبر ترجمة القرآن جناية عليه لإعجازه، وواجب تبليغ الإسلام يفرض ذلك. على الرَّغم من أنَّ محاولة ترجمة القرآن الكريم إلى لغة أخرى لاقت صعوبات في وجه المُترجم، والسبب في ذلك يكمُن في القرآن في حدِّ ذاته؛ كونه معجز في لفظه ومعناه، فيه من المعاني الدقيقة والأساليب البديعة ما يَصعُب نقله إلى لغة أخرى، كما أنَّه لا طاقة للبشر على الإحاطة به.

إنّ دراسة النظم القرآني تقع في القمَّة من حيث القيمة في الدراسات البلاغية فهي تكشف عن بعض دلائل إعجازه البلاغي، كما تُثْرِي وَعْيَنَا باللغة وبالبلاغة معاً.

وفي هذا الفصل سنتطرق إلى قضايا وإشكالات ترجمة معاني القرآن الكريم؛ حيث سنتحدّث عن قضية إعجاز القرآن الكريم ووجوه هذا الإعجاز فيما يكمُن؟، ثمّ ننوِّه بذكر قضية أخرى لا تكاد تنفكّ عنها؛ ألا وهي الدلالة القرآنية وعلاقتها بترجمة معانيه، وأهميّة السياق في تحديد معاني الألفاظ؛ ذلك لأنّ المعنى في الترجمة أحد الأركان التي لا قوام لها دونه. كما سنتعرّض إلى خصوصية النص القرآني، ثمّ قضية تاريخ حركة ترجمة معاني القرآن الكريم من قِبَل المستشرقين؛ ببيان حقيقة الترجمة، وهل بالإمكان تحقيق هذه الترجمة؟ مع ذكر صعوبات ذلك، ثمّ التفصيل في ذكر تاريخ ترجمة المستشرقين لمعاني القرآن إلى بعض لغات العالم.

ونختم الفصل بالحديث عن نظريات ترجمة معاني القرآن الكريم من خلال الكلام عن الاختلاف في طريقة الترجمة وتقسيمها إلى ترجمة حرفية وأخرى تفسيرية، مع ذكر المآخذ على ذلك.

المبحث الأوّل: قضايا وإشكالات ترجمة معاني القرآن الكريم:

أكدت دراسة علمية حول ترجمة معاني القرآن وإشكالاتها للدكتورة ليلى عبد الرازق عثمان [198] استحالة ترجمة معاني القرآن الكريم إلى اللغات الأخرى بنفس الدقة التي تحققت في اللغة العربية التي نزل بها كتاب الله عز وجل، مشيرة إلى أن القرآن قد تُتَرجَم كلماته حرفياً لكن من الصعب ترجمة ما تحمله هذه الكلمات بباطنها من مدلولات ومعانٍ تمثل روح القرآن وسره المنيع.[199] لذلك لم يجوّز بعض علماء القرآن ترجمته إلى اللغات الأخرى خوفا من التأويل والتحريف وضياع قدسيّة القرآن الكريم.

وأشارت الدراسة إلى أن أسلوب القرآن عالي السمو ومميز البيان والإعجاز، وهذا يظهر في الفخامة البلاغية والفصاحة البالغة والنثر الإيقاعي والحبكة القصصية والتنسيق البارع بين المعاني وموسيقى الكلمات مما يصعب فهمه حتى على متحدثي اللغة العربية أنفسهم. وقالت الباحثة:« إن آيات القرآن الكريم تنفرد بإيقاع وقافية ونظم وفواصل تظهر بوضوح في تلاوة القرآن، وكل ذلك لا تستطيع الترجمة أن تنقله، لذا توجد صعوبات كثيرة تواجه الذين يتصدون لترجمة معاني القرآن في مقدمتها صعوبة نقل الخصائص البلاغية للقرآن سواء كانت تتمثل في علم المعاني ويندرج تحته الإطناب والحذف والتقديم والتأخير والاستفهام، أو علم البيان أي التشبيه والاستعارة والكناية، أو علم البديع أي الطباق والمبالغة والنظم والفواصل والتكرار. وأكدت الدراسة أن كثيرين ممن ترجموا معاني القرآن من غير الناطقين باللغة العربية مسلمين كانوا أو غير مسلمين، اعترفوا بصعوبة ترجمة القرآن والعجز عن مضاهاة اللغات الأخرى باللغة العربية، ومن هؤلاء على سبيل المثال أ.ج.أربري (Arthur John Arberry) الذي كان من

[198] - رئيس قسم اللغة الانجليزية والترجمة الفورية بجامعة الأزهر.

[199] - عبد الله، أحمد: «دراسة في جامعة الأزهر: استحالة ترجمة معاني القرآن إلى اللغات الأخرى». جريدة الشرق الأوسط، القاهرة. العدد 8188 ،29 أبريل، 2001م. http://islamselect.net/mat/16007 تاريخ الدخول على الموقع : 2011/10/10 .

أشد المعجبين بلغة القرآن، لكنه قال:« بدون شك لغة القرآن العربية تتحدى أية ترجمة مناسبة لأن البيان المعجز يتلاشى حتى في أكثر الترجمات دقة».[200]

وبيّنت هذه الدراسة أنه لكي ينقل المترجم معاني القرآن على أفضل وجه فإنه يجب أن يفهم البيئة التي نزل فيها القرآن وأسباب النزول وأن يفهم الخصائص البلاغية للُّغة الأصلية وينقلها بدقة متناهية، و أن يلتزم بالنص الأصلي فلا يضيف أو يحذف شيئاً حتى لا يغير المعنى أو يضلل القارئ، موضحة أن هناك بعض المترجمين حاولوا نقل معنى كل كلمة وأضافوا هوامش لشرح الصور البلاغية مثل : يوسف علي، لكن هناك مترجمين آخرين لم يعتنوا بالخصائص البلاغية واهتموا فقط بتبسيط معاني القرآن حتى يفهمها العامة.[201]

1. **<u>إعجاز القرآن الكريم:</u>**

لقد نزل القرآن الكريم باللسان العربي المبين، لذا كان لزاما معرفة اللغة العربية لمن أراد علم القرآن، فما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب كما قرر ذلك العلماء، إذ أنّه لا يمكن فهم القرآن والسنة إلا بها.[202]

لكن نزول القرآن بلغة العرب لا يعني القدرة على الإتيان بمثله ولا مجاراته، قال الله- تعالى-: ﴿قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾ (الإسراء: 88)، فثبت بذلك إعجاز القرآن.

فما المقصود بإعجاز القرآن؟ وما أوجهه؟

يعرف الطاهر بن عاشور(1879م-1973م) إعجاز القرآن بقوله: « هو تفوق القرآن على كل كلام بليغ بما توفر فيه من الخصائص التي لا تجتمع في كلام آخر للبلغاء، حتى عجز السابقون واللاحقون

[200] - عبد الله، أحمد: مرجع سابق:. http://islamselect.net/mat/16007 تاريخ الدخول على الموقع : 2011/10/10 .
[201] - انظر : http://islamselect.net/mat/16007 تاريخ الدخول على الموقع : 2011/10/10 .
[202] - القطّان، منّاع خليل : مباحث في علوم القرآن. ط 12. القاهرة: مكتبة وهبة، 2007م ، ص 355 .

منهم عن الإتيان بمثله».[203] ويردّه في موضع آخر إلى: « بلوغ القرآن في درجات البلاغة والفصاحة مبلغا تعجز قدرة بلغاء العرب عن الإتيان بمثله».[204]

1.1. وجوه إعجاز القرآن الكريم:

ولوجوه إعجاز القرآن الكريم أقوالا كثيرة للعلماء والدارسين نوجزها فيما يلي:

-يرى بعض العلماء أنّ إعجاز القرآن الكريم يكمن في **الصرفة** ، وهي أنّ الله عزوجل صرف الهمم عن معارضة القرآن، وبه قال النظّام وهو من شيوخ الجاحظ(159هـ-255هـ).[205] ويعد الرماني أحد القائلين بذلك، ويرى أنّ الصرفة أحد وجوه القرآن السبعة التي فصلها في كتابه " النكت في إعجاز القرآن" الذي يقول فيه : « وأما الصرفة فهي صرف الهمم عن المعارضة ، وعلى ذلك كان يعتمد بعض أهل العلم في أنّ القرآن معجز

من جهة صرف الهمم عن المعارضة، وذلك خارج عن العادة كخروج سائر المعجزات التي دلّت على النبوة، وهذا عندنا أحد وجوه الإعجاز التي يظهر منها للعقول ».[206]

وأنكر الخطابي القول بالصرفة بدليل أنّ : « الآية تشهد بخلافه وهو قوله سبحانه :﴿ قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾ (الإسراء: 88)، فأشار في ذلك إلى أمر طريقه التكلف والاجتهاد وسبيله التأهب والاحتشاد، والمعنى في الصرفة التي وصفوها لا يلائم هذه الصفة فدلّ على أنّ المراد غيره ».[207]

كما أنكره أيضا الباقلاّني(338هـ-403هـ) وأبطله منّاع القطان(1925م-1999م) الذي يقول :« والقول بالصرفة فاسد يَرُدُّ عليه القرآن الكريم في قوله تعالى :﴿ قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن

[203]- ابن عاشور، محمد الطاهر : تفسير التحرير والتنوير. تونس: الدار التونسية للنشر، 1984م ، ج1 ، ص101 .
[204]- المرجع نفسه ، ج1 ، ص104 .
[205]- القطّان : مرجع سابق ، ص 53 .
[206]- الخطابي، أبو سليمان حمد بن محمد بن إبراهيم : بيان إعجاز القرآن الكريم في:" ثلاث رسائل في إعجاز القرآن للرماني والخطابي وعبد القاهر الجرجاني". تحقيق محمد خلف الله ومحمد زغلول. ط2. القاهرة: دار المعارف بمصر، 1968م، ص 110 .
[207]- المرجع نفسه ، ص 23 .

يَأۡتُواْ بِمِثۡلِ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ لَا يَأۡتُونَ بِمِثۡلِهِۦ وَلَوۡ كَانَ بَعۡضُهُمۡ لِبَعۡضٖ ظَهِيرٗا) (الإسراء: 88)، فإنّه يدل على عجزهم مع بقاء قدرتهم، ولو سلبوا القدرة لم يبق فائدة لاجتماعهم لمنزلته منزلة اجتماع الموتى، وليس عجز الموتى بكبير يحتفل بذكره ».[208]

-وترى طائفة أخرى من العلماء أنّ سبب إعجاز القرآن مردّه **إخباره بالغيبيات**، مثل قوله تعالى: ﴿الٓمٓ ۝١ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ۝٢ فِيٓ أَدۡنَى ٱلۡأَرۡضِ وَهُم مِّنۢ بَعۡدِ غَلَبِهِمۡ سَيَغۡلِبُونَ﴾ (الروم:1-3)،وقوله:﴿لَّقَدۡ صَدَقَ ٱللَّهُ رَسُولَهُ ٱلرُّءۡيَا بِٱلۡحَقِّۖ لَتَدۡخُلُنَّ ٱلۡمَسۡجِدَ ٱلۡحَرَامَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمۡ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَۖ فَعَلِمَ مَا لَمۡ تَعۡلَمُواْ فَجَعَلَ مِن دُونِ ذَٰلِكَ فَتۡحٗا قَرِيبٗا﴾ (الفتح: 27). ولكن هذا القول مردود لأن الله تحدّ الملحدين أن يأتوا بسورة من مثله في قوله :﴿وَإِن كُنتُمۡ فِي رَيۡبٖ مِّمَّا نَزَّلۡنَا عَلَىٰ عَبۡدِنَا فَأۡتُواْ بِسُورَةٖ مِّن مِّثۡلِهِۦ وَٱدۡعُواْ شُهَدَآءَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ﴾ (البقرة: 23).

وهذا النوع من الإعجاز ليس واردا في كل سور القرآن.[209] وإن كان الإخبار بالغيبيات لا يقدر عليه البشر دلَّ على أن المراد بالإعجاز غير الإخبار بالغيبيات.

-ويرى الباقلاّني أنّ **حال النبي – صلى الله عليه وسلم** – دليل على إعجاز القرآن، فقد كان أُمِّيًّا لا يقرأ ولا يكتب ولم يتردد قط على الكهنة وعلى الرهبان، ولم يكن عنده – قبل نزول الوحي – علم من كتب الأولين ، ومع ذلك ورد في الكتاب الذي أُنزل عليه ذكر أخبار الأمم السابقة وأحوالها ، فدل ذلك على أنه مؤيد بالوحي.[210]

---

[208]- القطان : مرجع سابق ، ص 253 .

[209]- الخطابي : مرجع سابق ، ص 24 .

[210]- الباقلاني، أبو بكر محمد بن الطيب : إعجاز القرآن. تحقيق عماد الدين أحمد حيدر. ط1. بيروت: مؤسسة الكتب الثقافية ، 1991م ، ص58 .

-ويرى آخرون أن القرآن الكريم معجز **بما تضمنه من حقائق من العلوم الكونية** كالفلك والطب وغيرها. لكن البعض منهم غلا في القول بالإعجاز العلمي في القرآن الكريم حتى آل بهم الحال إلى البحث عمّا يبرر النظريات العلمية لإثبات الإعجاز العلمي في القرآن. وقد أساؤوا بذلك إلى القرآن الكريم، لأن النظريات العلمية التي تبحث عن تفسير للظواهر الكونية إنّما هي نتاج اجتهاد عالم أو مجموعة من العلماء في فهم ظاهرة ما في عصر من العصور، ومعلوم أن البشر يخطئون ويصيبون. والباحث في التاريخ يجد نظريات كثيرة كانت من المُسَلَّمَات في عصر ما ثم جاء بعد ذلك علماء أثبتوا وقوعها في الخطأ[211]، فكيف يجتهد هؤلاء في إثبات الحقيقة الخالدة ألا وهي: إعجاز القرآن بنظريات نسبية خاضعة لفهم البشر؟!.

-وأعظم وجه من وجوه إعجاز القرآن الكريم المتفق عليه هو **نظمه المحكم** الذي عجز البشر عن الإتيان بمثله **وبلاغته الفائقة**[212]. يقول الخطابي في عمود هذه البلاغة :« إنما هو وضع كل نوع من الألفاظ التي تشتمل عليها فصول الكلام موضعه الأخص الأشكل به، الذي إذا أُبدل مكانه غيره جاء منه : إما تَبَدُّل المعنى الذي يكون منه فساد الكلام ، وإما ذهاب الرونق الذي يكون معه سقوط البلاغة ».[213]

لقد لخّص الخطابي وجوه إعجاز القرآن الكريم في قوله : « فتفهم الآن واعلم أن القرآن إنما صار معجزًا لأنه جاء بأفصح الألفاظ في أحسن نظوم التأليف مضمّنا أصحّ المعاني ».[214]

كما أن القارئ للقرآن الكريم لا يخفى عليه وقعه في نفس السامع وأثره في لبّ المتأمل؛ كلما قرأه وجد فيه من البدائع واللطائف ما لم يخطر على باله، إضافة إلى أنه لا اختلال بين أجزاءه وفواصله ولا اعتلال في نظمه وأسلوبه، ولا يناقض بعضه بعضًا ؛ قال تعالى:﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ ۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا﴾ (النساء: 82)، أما كلام البشر قد يعتريه الاختلاف ويطرأ عليه

[211]- السرخسي، شمس الدين محمد بن سهل : المبسوط. رتبه الشيخ خليل الميس. بيروت: دار المعرفة ، 1989م ، ص 37 .
[212]- القطان : مرجع سابق ، ص ص261 - 267 .
[213]- الخطابي : مرجع سابق، ص 29 .
[214] - المرجع نفسه ، ص 27 .

التعارض. يقول منَّاع القطان : « وليس للعرب كلام مشتمل على هذه الفصاحة والغرابة والتصرف في البديع والمعاني اللطيفة والفوائد الغزيرة والحِكَم الكثيرة والتناسب في البلاغة والتشابه في البراعة على هذا الطول وعلى هذا القدر، وإنما تنسب إلى حكيمهم كلمات معدودة وألفاظ قليلة، وإلى شاعرهم قصائد محصورة يقع فيها الاختلال والاختلاف والتكلف والتعسف، وقد جاء القرآن على كثرته وطوله متناسبا في الفصاحة ».[215]

إنّ القرآن الكريم جاء جامعًا لكل خير شاملاً لجميع ميادين الحياة ، دلّ الناس على كل خير ورغبهم فيه وحذرهم من كل شرّ ونهاهم عنه؛ قال تعالى:﴿مَّا فَرَّطۡنَا فِي ٱلۡكِتَٰبِ مِن شَيۡءٖۚ﴾ (الأنعام: 38). ولذلك نرى أهل العلم من كل اختصاص يدركون منه بحسب اختصاصهم ؛ فترى أهل الشرائع والقوانين يقرُّون بأحكام التشريع القرآني، وأهل اللغة يدركون بلاغته التي فاقت كل وصف، وغير ذلك من الأسرار المُودَعَة فيه التي يدركها العالمون بميدانها.[216]

2. الدلالة القرآنية والترجمة:

إنّ في القرآن الكريم من الدّقة في المعاني والبداعة في الأسلوب ما جعل بعض الباحثين يعترضون على جواز ترجمة القرآن إلى لغات أخرى؛ فقال بعضهم : إن مكمن الصعوبة والتعذر في ترجمة القرآن الكريم هو اشتماله على معانٍ أصلية ومعانٍ فرعية متعلقة بالتفاضل في خواص النظم بعضها على بعض. يقول محمد الخضر حسين(1876م–1858م) : « للقرآن الكريم – ككل كلام عربي بليغ – معانٍ أصلية، وهي ما يستوي في فهمه كل من عرف مدلولات الألفاظ المفردة، وعرف وجوه إعرابها من فاعلية ومفعولية وحالية وإضافية، وما يُشاكل ذلك من الأحوال المبحوث عنها في علم النحو »[217]، كقوله

---

[215] - القطان : مرجع سابق ، ص 260 .
[216] - ابن عيسى، بن طاهر : «قضايا الإعجاز البياني في تفسير التحرير والتنوير». مجلة التجديد. ع 11 ، س 6 ، ص 173 .
[217] - حسين، محمد الخضر : بلاغة القرآن. القاهرة ، 1979م ، ص 12 .

تعالى:﴿وَلَكُمۡ فِي ٱلۡقِصَاصِ حَيَوٰةٞ يَٰٓأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ﴾ (البقرة: 179)، وذكر أنّ فهمه سهل لكل من كان على دراية باللغة العربية. أما المعاني الثانوية فقال فيها : « وللقرآن معانٍ ثانوية، ويسميها علماء البلاغة بمستتبعات التراكيب، وهي خواص النظم التي يرتفع بها شأن الكلام ، وتتسابق في مجالها فرسان البلاغة من الخطباء والشعراء ». ومثّل لذلك بأسلوب التقديم والتأخير[218] ؛ ليخلص إلى قوله : « إذا كان للقرآن معانٍ أصلية وأخرى تابعة وهي مظهر بلاغته وملاك إعجازه، فإنّ ترجمته بالنظر إلى المعاني الثانوية غير ميسورة إلا أن توجد لغة توافق اللغة العربية في هذه المعاني المسماة عند علماء البيان خواص التركيب، وذلك ممَّا لا يسهل على أحد ادّعاؤه ». [219]

وعدَّ ابن قتيبة(828م–899م) التقديم والتأخير ضمن أسلوب المجاز، الذي يبدو عنده أكثر عمقاً وأدقَّ فهماً، إذ كان ابن قتيبة يستعمل كلمة المجاز للنصوص التي لا يُراد منها ظاهرها، فقال : « وللعرب المجازات في الكلام ومعناها طرق القول ومآخذه ففيها الاستعارة والتمثيل والقلب والتقديم والتأخير والحذف والتكرار والإخفاء والإظهار والتعريض والإفصاح والكناية والإيضاح ومخاطبة الواحد مخاطبة الجميع والجميع خطاب الواحد والواحد والجميع خطاب الاثنين والقصد بلفظ الخصوص لمعنى العموم وبلفظ العموم لمعنى الخصوص مع أشياء كثيرة... وبكل هذه المذاهب نزل القرآن».[220]

3. أهميّة السياق في تحديد معاني الألفاظ:

السياق : لغة : من الجذر اللُّغوي (س و ق) ، والكلمة مصدر(سَاقَ يَسُوقُ سَوْقًا وسِيَاقًا) فالمعنى اللُّغوي يشير إلى دلالة الحدث، وهو(التتابع).[221]

ذكر التهانوي(ت.1963م): أن السياق في اللغة بمعنى (الإيراد). [222]

---

[218]- حسين، محمد الخضر: مرجع سابق ، ص ص 12 ، 13 .

[219]- المرجع نفسه ، ص 13 .

[220] - ابن قتيبة، أبو محمد عبد الله بن مسلم : تأويل مشكل القرآن. شرحه ونشره أحمد صقر. ط2. القاهرة، 1973م ، ص ص 15، 16.

[221] - انظر : ابن منظور : لسان العرب ، مرجع سابق ، مادة (س و ق) .

[222] - انظر : التهانوي : كشاف اصطلاحات الفنون. الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1977م، ج4 ، ص27 .

ويقول الدكتور تمام حسان(ولد سنة 1918م) تأكيدًا لهذه المعاني اللغوية التي تدل على (التتابع أو الإيراد):« المقصود بالسياق (التوالي)، ومن ثم ينظر إليه من ناحيتين أولاهما: توالي العناصر التي يتحقق بها التركيب والسّبك، والسياق من هذه الزاوية يسمى (سياق النص). والثانية: توالي الأحداث التي صاحبت الأداء اللغوي وكانت ذات علاقة بالاتصال ومن هذه الناحية يسمى السياق(سياق الموقف)».

[223]

ويعد مصطلح " السياق " في الدراسات اللغوية الحديثة من المصطلحات العصرية على التحديد الدقيق، وإن كان يمثل نظرية دلالية من أكثر نظريات علم الدلالة (Semantics) تماسكًا وأضبطها منهجًا.[224] يقوم السياق في أحيان كثيرة بتحديد الدلالة المقصودة من الكلمة في جملتها ومن قديم أشار العلماء إلى أهمية السياق أو المقام وتطلُّبه مقالاً مخصوصًا يتلاءم معه، وقالوا عبارتهم الموجزة الدالة: " لكل مقام مقال" . فالسياق متضمن داخل التعبير المنطوق بطريقة ما [225] ولذلك ركز النحاة على اللغة المنطوقة فتعرضوا للعلاقة بين المتكلم وما أراده من معنى والمخاطب وما فهمه من الرسالة، والأحوال المحيطة بالحدث الكلامي.

ولقد أشار الدكتور محمد حماسة(ولد سنة 1941م) إلى أهمية السياق في الوصول إلى (المعنى النحوي الدلالي) فقال:« ولا تكون للعلاقة النحوية ميزة في ذاتها، ولا للكلمات المختارة ميزة في ذاتها، ولا لوضع الكلمات المختارة في موضعها الصحيح ميزة في ذاتها ما لم يكن ذلك كله في سياق ملائم»[226] . كما أشار إلى التفاعل بين العناصر النحوية والدلالية، فكما يمد العنصر النحوي العنصر الدلالي بالمعنى الأساسي في الجملة يمد العنصر الدلالي العنصر النحوي كذلك ببعض الجوانب التي تساعد على تحديده

[223] - حسان، تمّام : قرينة السياق. بحث قدّم في (الكتاب التذكاري للاحتفال بالعيد المئوي لكلية دار العلوم). مطبعة عبير للكتاب، 1993م.ص 375.

[224] - انظر : حبلص، محمد يوسف : البحث الدلالي عند الأصوليين. ط1. مكتبة عالم الكتب، 1991م.ص 28.

[225] - انظر : عبد اللطيف، محمد حماسة : النحو والدلالة (مدخل لدراسة المعنى النحوي الدلالي). ط1. القاهرة، 1983م، ص 98.

[226] - المرجع نفسه، ص 97.

وتمييزه، فبين الجانبين أخذ وعطاء وتبادل تأثير مستمر. فلا يمكن بحال نكران تأثير دلالة سياق النص اللغوي وسياق الموقف الملابس له على العناصر النحوية من حيث الذكر والحذف، والتقديم والتأخير .ولا ينكر أن دلالة السياق تجعل الجملة ذات الهيئة التركيبية الواحدة بمفرداتها نفسها إذا قيلت بنصها في مواقف مختلفة، تختلف باختلاف السياق الذي ترد فيه مهما كانت بساطة هذه الجملة وسذاجتها.[227]

4. خصوصية النص القرآني:

للقرآن الكريم خصوصيات انفرد بها على باقي النصوص الأخرى. فلا شك أن نوعية النصوص تحدد منهج الترجمة وطريقته، وقد جرى العرف على تقسيم النصوص إلى نصوص علمية وأدبية وقانونية ودينية وهلمّ جرًّا. ونلاحظ في نظريات الترجمة أنها وضعت جميع النصوص الدينية على اختلاف توجُّهاتها في سلة واحدة كما يظهر في تقسيم كاترينا رايس (Katerina Reiss) الثلاثي لأنماط النصوص ووظائف اللغة. « ولعل مرد ذلك أن نظريات الترجمة لم تحدد معايير قُدسية النصوص الدينية، بل تركت أمر تحديدها لأصحاب هذه النصوص وحدهم. ولعل سبب ذلك يعود إلى أنّ الغرب لا يملك نصّا دينيا يتساوى في قدسيته – أو يقترب – مع قدسية النص القرآن، من هذا المنطلق يتوجب على منظري ترجمة القرآن إعادة النظر في تقسيم النصوص، وإعادة تصنيف النصوص الدينية، خاصة أن هناك العديد من النصوص الدينية التي يدَّعي أصحابها قُدسيَّتها على الرغم من اختلافها المتباين في أصولها ومواردها واتجاهاتها وأفكارها ومحتوياتها، مثل: القرآن لدى المسلمين والإنجيل لدى النصارى والتوراة لدى اليهود وتعاليم بوذا لدى الصينيين. إنَّه لمن الخطأ الجسيم أن نُترجم كل هذه النصوص بأسلوب واحد لمجرد أنها تحمل صفة القُدسيَّة، وما أدراك ما القُدسيَّة؟ ! حتى إن سلمنا بهذه القُدسيَّة المزعومة لبعض النصوص

[227] - عبد اللطيف، محمد حماسة : مرجع سابق ، ص 113.

الدينية، فإننا لا نستطيع أن نفرض منهجية خاصة ندَّعي لها المثالية والكمال كما فعل نايدا عندما قام بالترويج لمكافئاته الدينامية»[228].

القرآن نص تعبُّدي يرجع إليه المسلمون يوميًّا في صلواتهم وأدعيتهم، ولا تجوز صلاة لا يقرأ فيها قرآن. وممّا يرفع من شأن قُدسيَّة القرآن أيضا أنَّ الرسول- صلى الله عليه وسلم- ربط تلاوة القرآن الكريم بالأجر العظيم والثواب المغري للحضّ على قراءته المتواصلة ، فقراءة الحرف حسنة والحسنة بعشرة أمثالها، وهو ما يعني أن قراءة " أَلَمِ " تعادل ثلاثين حسنة، والله يضاعف لمن يشاء بغير حساب. ويتضاعف هذا الثواب بالنسبة لغير العرب الذين لا يحسنون تلاوة القرآن، فقد رُوي عن النبيّ- صلى الله عليه وسلّم- :" وَالذِي يَقْرَأ القُرْآنَ وَيَتَتَعْتَع فِيهِ وَهُو عَلَيهِ شَاقٌّ لَهُ أَجْرَان ".[229] والقرآن الكريم هو أخر الكتب نزولا وأوثقها مصدرا ، لا يعتريه تأويل ولن يكتنفه تحريف، ويكفي أن الله- سبحانه وتعالى- تعهَّد بحفظه حيث قال -جلَّ وعلا- :﴿إِنَّا نَحۡنُ نَزَّلۡنَا ٱلذِّكۡرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾ (الحجر:9).

«أما إذا انتقلنا إلى النصوص الدينية المُقدَّسة لدى غير المسلمين، فإنّنا نجد مثالاً: أن صلة الإنجيل بأصله مفقودة. وأقدم الأناجيل الموجودة تُرجمت لنصوص عبرية وإغريقية، أما النص الآرامي الأصلي فقد ضاع من دون أثر يُذكر»[230]، وهذا من أكبر الأدلّة على تعرّض هذه النصوص الدينية إلى التحريف حيث فقدت بذلك قدسيّتها، « وقد أدى ضياع النص الأصلي للإنجيل أن توجه مترجمو الإنجيل في ترجماتهم نحو التركيز والاهتمام باللغة الهدف، لأنهم وجدوا في ذلك ضمانهم الوحيد لتحقيق التواصل والفهم بين القراء المسيحيين بسبب عجزهم عن الرجوع إلى النص الأصلي المفقود. وبسبب ضياع الإنجيل الأصلي أصبحت جميع ترجمات الإنجيل ترجمات مقدّسة، في حين ظلَّ القرآن الكريم واحدًا لا

[228] - حاج إبراهيم، مجدي: «إشكالية الترجمة الدينامية في ترجمة القرآن الكريم من منظور لغوي: الترجمة الملايوية أنموذجا». مجلة جامعة الشارقة للعلوم الإنسانية والاجتماعية. المجلّد 6، ع 2، جمادى الأولى 1430هـ - جوان 2009م، ص 300.

[229]- انظر : مسلم، ابن الحجاج : صحيح مسلم ، كتاب: صلاة المسافرين وقصرها، باب: فضل الماهر في القرآن والذي يتتعتع فيه، رقم (798). تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي. بيروت: دار إحياء التراث العربي، 1374 هـ - 1954م، ج1، ص549.

[230] - Nida, E. A : Bible Translation, in. Routledge Encyclopedia of Translation Studies. Baker, Mona (ed.). London & New York : Routledge, 1993, p23.

يضاهيه نص، واعتُبِرَت ترجماته مجرد تفاسير غير مُلزمة، لا تصل إلى منزلة النظم العربي الأصيل الذي نزل به القرآن الكريم»[231].

لهذا كانت مهمة الترجمة القرآنية حتى مع أداء معاني القرآن، دون الالتزام بالترجمة اللفظية، عملية شاقّة لا سيما مع وجهة نظر بلاغية. إنّ مترجم القرآن الكريم مطالب بنقل كلام الله كما أراده الله من خلال فهم المفسّرين وعلماء القرآن. فليس من المقبول أبدًا تحوير آيات تحريم الخمر والربا وتطويعها بشكل يتناسب مع رغبات واحتياجات مدمني الخمور وعشاق الربا. ويستدعي كون القرآن مصدر التشريع الإسلامي الأول وجوب توخي المترجم الحذر التام والالتزام الأمين عند نقل رسالة القرآن إلى اللغات الأخرى حتى ينال مرضاة الله ويدرأ عن نفسه سخطه، حيث يقول –تعالى– :﴿ وَلَا تَلْبِسُواْ ٱلْحَقَّ بِٱلْبَـٰطِلِ وَتَكْتُمُواْ ٱلْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ (البقرة:42).

5. تاريخ حركة ترجمة معاني القرآن الكريم من قبل المستشرقين:

لقد أنزل الله كتابه العظيم على نبيه محمد– صلى الله عليه وسلم– بلسان عربي مبين، وأمره بتبليغه إلى الناس أجمعين، وتولّى حفظه بنفسه فقال:﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُوْنَ﴾ (الحجر:9) وهيأ له رجالاً مخلصين ذادوا عن حرمته، وتصدوا لكل المحاولات التي تهدف إلى تشويهه، وبذلوا جهوداً خيِّرة في كشف زيف ما يثيره أعداؤه عنه من أباطيل وأكاذيب، ومن خلال استقراء جهود الاستشراق في الدراسات القرآنية وتتبعها نجد أن الكثير منها يدور حول ترجمة القرآن الكريم إلى مختلف اللغات العالمية والألسن الحية، ترجمة حرفية أو تفسيرية أو لغوية؛ جزئية وكلية.

وطبيعة هذا الموضوع تفرض علينا أن نُمهِّد لـــه بكلام موجز نُبين فيه حقيقة الترجمة، وإمكانها في القرآن الكريم، ومدى صعوبتها.

[231] - حاج إبراهيم، مجدي: مرجع سابق ، ص 301.

1.5. حقيقة الترجمة:

1.1.5. لغةً:[232]

استعملت الكلمة في اللغة للدلالة على معان: يقال: تَرْجَمَ الكلام: إذا بيَّنه وأوضحه، ويقال: ترجم كلامه: إذا فسره بلسان غيره، وترجم كلام غيره وعنه: نقله من لغة إلى أخرى ومنه التّرجمان، ويقال: تَرجُمان، ولك أن تَضُم التاء لضمة الجيم فتقول: تُرْجُمَان والجمع: تراجم، قال الفيومي في: " المصباح المنير": « وفيه لغات أجودها فتح التاء وضم الجيم، والثانية: ضمهما معاً بجعل التاء تابعة للجيم، والثالثة: فتحهما بجعل الجيم تابعة للتاء».[233]

2.1.5. اصطلاحًا:

يقول الدكتور صفاء خلوصي(1917م–1997م): « الترجمة: فن جميل يُعنَى بنقل ألفاظ ومعانٍ وأساليب من لغة إلى أخرى، بحيث إن المتكلم باللغة المنقول إليها يتبين النصوص بوضوح، ويشعر بها بقوةكما يتبيَّنها ويشعر بها المتكلم باللغة الأصلية.[234]

2.5. هل يمكن ترجمة القرآن الكريم؟

لقد شغلت الإجابة عن هذا السؤال العلماء في القديم والحديث، وتباينت فيها آراؤهم، ووقعت بسببها معركة حامية بينهم، كثر فيها ردُّ بعضهم على بعض، واحتدم النقاش بينهم في عشرينات وخمسينات هذا

[232] - انظر : الجوهري، أبو نصر إسماعيل بن حماد : الصحاح في اللغة والعلوم. د.ت. ط5. بيروت: دار العلم للملايين ،1987م، ج4 ، ص1566. ؛ الفيومي، أحمد بن محمد بن علي : المصباح المنير. ط1. مصر: مطبعة التقدم العلمية ، 1322 هـ، ج1 ، ص38. ؛ مجمع اللغة العربية : المعجم الوسيط. ط4. مكتبة الشروق الدولية،2004م، ج1، ص83.

[233]- المرجع نفسه ، ج1، ص38.

[234]- خلوصي، صفاء : فن الترجمة في ضوء الدراسات المقارنة، سلسلة دراسات: 292. الرياض: دار الرشيد للنشر، منشورات وزارة الثقافة والإعلام، 1982م، ص14.

القرن، فكان منهم من يرى الجواز، ومنهم من عارض ومنع، وأُلِّفت في ذلك رسائل خاصة.

والمختار من القولين – والله أعلم – هو: ما ذهب إليه من أجاز؛ وعليه جرى العمل.[235]

يقول العلامة الحجوي المغربي(1291هـ–1376هـ) – رحمه الله تعالى – في كتابه القيم "حكم ترجمة القرآن الكريم": « زُعم أن الإسلام ألزم الناس العربية وتعلُّمها، ونَبَذَ ألسنتهم ومنعهم من ترجمة القرآن العظيم، وهذه الشنيعة تكفَّل بردها والتشنيع بها كتابي (جواز ترجمة القرآن) فقد بُرهن فيه على أن الدين لا يُلزم الأمم التي دخلت في الإسلام التكلم بالعربية، بدليل بقائها إلى الآن تتكلم بألسنها، وما منع ترجمة القرآن أصلاً ولا ورد المنع في كتاب ولا سنة ولا إجماع ولا قياس ».[236] وقال أيضاً: « إن ترجمته من الأمور المرغب فيها، بل يصح لنا أن نقول: إنها من فروض الكفاية التي يجب على الأمة القيام بها، فإذا قام بها البعض سقط عن الباقين، وإن لم يقم بها أحد أَثِم الكل[237]، برهان ذلك: أنه تبليغ عن رسول الله – صلى الله عليه وسلم– الذي قال: "... فليبلغ الشاهد الغائب[238] وقال: "بلغوا عني ولو آية"[239]، وقد أوجب الله على رسوله التبليغ فقال: ﴿ يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَه﴾ (المائدة:67)، فهو بلغ للعرب بلسانهم﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلا بِلِسَانِ قَوْمِهِ﴾ (إبراهيم:5) ويجب على العرب أن ينوبوا عنه، ويبلغوا لغيرهم من الأمم، فلذا قال لهم: "بلغوا عني ولو آية" ولا يمكن التبليغ لجميع الأمم إلا بالترجمة إلى لسانهم».[240]

---

[235]- انظر : البنداق، محمد صالح : المستشرقون وترجمة القرآن الكريم، عرض موجز بالمستندات لمواقف وآراء وفتاوى بشأن ترجمة القرآن الكريم، مع نماذج لترجمة تفسير معاني الفاتحة في ست وثلاثين لغة شرقية وغربية. ط2. بيروت: دار الآفاق الجديدة، 1403هـ-1983م، ص ص 49-84.

[236]- انظر : ذاكر، عبد رب النبي : قضايا ترجمة القرآن، كتاب نصف الشهر، سلسلة شراع المغربية التي تصدر في طنجة. ع 45، 25 ، شعبان 1419هـ 15 ديسمبر 1998م، ص ص49،50.

[237]- فرض الكفاية هو: كل مهم يراد حصوله، ولا يقصد به عين من يتولاه. انظر : الزركشي، بدر الدين محمد بن عبد الله : البحر المحيط، في أصول الفقه. قام بتحريره الشيخ عبد القادر عبد الله العاني وراجعه الدكتور عمر سليمان الأشقر. ط2. الكويت: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، 1413هـ-1992م،ج1، ص242.

[238]- البخاري، محمد بن إسماعيل : صحيح البخاري، كتاب الحج، باب: الخطبة أيّام منى، رقم (1652). تحقيق مصطفى ديب البغا. ط3. اليمامة-بيروت: دار ابن كثير، 1407 هـ - 1987م، ج2، ص619. ؛ مسلم بن الحجاج : صحيح مسلم، مرجع سابق ، كتاب القسامة والمحاربين والقصاص والديّات، باب: تغليظ تحريم الدماء والأعراض والأموال، رقم (1679) ، ج3، ص1305.

[239]- المرجع نفسه ، كتاب الأنبياء، باب: ما ذكر عن بني إسرائيل، رقم (3274)، ج3، ص1275. ؛ الترمذي، أبوعيسى محمد بن عيسى : سنن الترمذي، كتاب العلم، باب: ما جاء في الحديث عن بني إسرائيل،رقم (2669). إبراهيم عطوة عوض. ط2. مصر: مطبعة مصطفى البابي الحلبي، 1395 هـ - 1975م، ج5، ص40.

[240]- انظر: عبد رب النبي ذاكر : مرجع سابق ، ص ص50،51. نقلاً عن: الحجوي : مرجع سابق ، ص133.

بقي القول بأن الترجمة اللفظية كلمة بكلمة من لغة إلى أخرى لأي تعبير كان ليست من قبيل الممكن، إذ لكل لغة نظامها في القواعد والترتيب، وإنما يراد بالترجمة هنا: أداء المعنى المراد باللغة الأخرى، تبعاً لقواعدها إلى من لا يفهم لغة النص المترجم، يقول العلامة الحجوي – رحمه الله – أيضاً: «لا نريد بالترجمة إبدال كل لفظ بما يرادفه أو يقاربه في اللغة الأخرى، فهذا تبديل، وربما يقال عنه تحريف، لأن ما يُظن من الترادف أو التقارب قد لا يكون، فإنَّا نرى كثيراً من الألفاظ في لغتنا يظن ظانُّون أنها مترادفة، فإذا هي متخالفة، وإنما المراد: ترجمة المعنى الأصلي من كل جملة مع ما يتبعه من المعاني التي تقتضيها دقائق اللغة وبلاغتها بقدر الإمكان، وإن لم تكن الإحاطة بكل المعاني العظيمة التي احتوى عليها اللفظ المنزل من حكيم حميد، كما لا يمكن لـــه الإتيان بما يشتمل عليه من طرق الإعجاز الراجعة لفصاحته، وطلاوة لفظه ومتانة أسلوبه، ولطائف إشارته، وغير ذلك مما هو مقرر في وجوه إعجازه، كل ذلك لا تفي به ترجمة كائن، ولا تطمح في الوفاء بـــه، لمكان الإعجاز الذي ينقضي الدهر ولا تنقضي عجائبه وغرائبه».[241]

3.5. صعوبة الترجمة:

تعد المحاولات المبذولة لترجمة معاني القرآن الكريم من أصعب المحاولات في ميدان الترجمة عموماً، فترجمة معنى آية كريمة واحدة بنقلها من النص القرآني المحكم البليغ إلى أي نص في لغة أجنبية تواجه صعوبات كبيرة، إذ يهتز المعنى الجميل الرائع ويفقد التركيب البلاغي للآية الكريمة رونقه ودقته، ويفرغ اللفظ من وقعه الجميل المؤثر.[242]

إن إشكالية نقل المعنى في ترجمات القرآن ارتطمت على صخرة الإشكال اللساني المرتبط بالمثبطات

[241]- الحجوي : مرجع سابق ، ص134.
[242]- انظر : " التطور التاريخي لترجمة معاني القرآن الكريم عند الغربيين ". جريدة الحياة. ع12411، ص 21.

المعجمية والدلالية والتركيبية أو الأسلوبية المشكلة لأسس الإعجاز القرآني.[243] يقول أحد المتخصصين في ترجمة القرآن الأستاذ صلاح الدين كرشيد – وهو مترجم لمعاني القرآن إلى الفرنسية –: « بالرغم من حرصي الشديد على ذكر كل التأويلات الممكنة للآية الواحدة، فلا يمكن للنص الفرنسي أن يُلم بكل المعاني التي توحي بها الآية القرآنية، ولكن الترجمة تمثل ما توصل إليه اجتهاد المترجم نفسه وفهمه الخاص، مما يُقرِّب معاني القرآن من عقل القارئ بالفرنسية».[244]

ومن المسائل العويصة التي تقف عائقاً في طريق الترجمة[245] :

- مسألة: الحروف المقطعة في أوائل السور.

- مسألة: غياب الترادف.

- مسألة: أسماء الله الحسنى.

- مسألة: اختلاف اللغة العربية وغيرها في التأنيث والتثنية.

- مسألة: الضمير هل هو عائد إلى اسم مذكر أو إلى اسم مؤنث؟

- مسألة: الأسماء التي ذكرت مرة واحدة أو الكلمات المعرَّبة مثل: (زمهرير)،(زنجبيل)،(بابل).

- مسألة: الآيات المتشابهات والمحكمات.

- مسألة: وجازة ألفاظه ووفرة معانيه.

- مسألة: ترجمة لفظ الجلالة .

وخصوصا مسألة التقديم والتأخير.

وهذه الصعوبات وغيرها تفرض على المترجم أن يكون أهلاً لهذه المهمة العظمى، بأن تتوافر فيه مجموعة من الأمور الضرورية واللازمة ؛ لأن ترجمة القرآن الكريم اليوم « أصبحت علماً يحتاج إلى

[243]- عبد النبي ذاكر : مرجع سابق ، ص72.
[244]- محمد صالح البنداق : مرجع سابق ، ص131.
[245]- انظر الكلام على صعوبات الترجمة في : عبد الرحيم، عبد الجليل : لغة القرآن الكريم. ط1. مكتبة الرسالة الحديثة، 1401هـ-1981م، ص ص 540 – 543.

القواعد والضوابط التي اشترطها أهل الفن من العربية، وعلوم الإسلام، والعلوم الإنسانية واللغوية، وهذه العملية ليست مُنفِّرة ولا شاذَّة، بل تخضع لشروط تفسير القرآن الكريم، لأن الترجمة هي من قبيل التفسير وتدخل في علم التفسير».[246]

وللعلامة عبد الله كنون(1908م–1989م) كلام جامع في المسألة، يقول – رحمه الله– :« من المشكلات التي تواجه الدعوة الإسلامية في العصر الحاضر: ترجمة القرآن إلى اللغات الأجنبية، ذلك أن القرآن – كما هو معروف – في القمة من البلاغة العربية، ولأجل النفاذ إلى أسراره، وفهم مقاصده، يجب أن يكون المترجم ممن لهم تضلُّع في قواعد اللغة العربية نحواً ولغةً وبياناً، وذلك فضلاً عن المعرفة بعلوم القرآن وأسباب النزول والفقه والحديث والتفسير..».[247]

4.5. تاريخ ترجمة المستشرقين لمعاني القرآن الكريم وبيان أشهر مدارسها:

عدَّ الغرب النصراني الإسلام منذ البداية خطراً حقيقياً يتهدده مما جعله يخشى ويخاف أول الأمر من ترجمة القرآن إلى اللغة اللاتينية لقرون طويلة، حيث لم تظهر أول ترجمة لاتينية لمعاني القرآن إلا بعد حوالي خمسة قرون من ظهور الإسلام، وبعد تدخُّل مارتن لوثر ونشر أول ترجمة لاتينيةلمعاني القرآن، أصبح هناك اتجاه قوي في الغرب لا يمانع في ترجمة القرآن إلى اللغات الأوربية ولكنه يسعى إلى توظيف هذه الترجمة في توجيه المزيد من الطعنات إلى الإسلام[248]، فتتابعت الترجمات وشملت معظم اللغات الحية، وبخاصة الإسبانيق، الألمانية، الإنجليزية والفرنسية، حتى إنه لا توجد اليوم لغة أوربية أو شرقية إلا وفيها ترجمة أو ترجمات عدة لمعاني القرآن الكريم.

[246]- انظر : «التراجم الاستشراقية لمعاني القرآن الكريم. (2): حول مشروع ترجمة إسلامية لمعاني القرآن». مجلة الفرقان المغربية. ع29، ص27.
[247]- انظر : كنون، عبد الله : منطلقات إسلامية. طنجة: مطبعة سوريا ، غير مؤرخة، ص182.
[248]- انظر : ثابت، عيد : «ترجمة معاني القرآن للألمانية بين سموم المستشرقين وجهود المسلمين». جريدة الحياة. العدد 11990، الحلقة الثانية ، ص21.

- إن **اللغة اللاتينية** هي اللغة الأولى التي تُرجم إليها القرآن الكريم، في المحاولة الأولى التي احتضنتها الأندلس(إسبانيا) ويبدو أن الترجمة اللاتينية التي صار لها رواج في اللغات الأوربية هي(ترجمة دير كلوني)، إذ إن سقوط القسطنطينية عاصمة الإمبراطورية الرومانية الشرقية عام1453 م رافقه نشوء الدول القومية في غرب أوربا مثل إسبانيا وفرنسا والبرتغال التي شجعت التدوين باللغات الوطنية، واعتمدت في ذلك على ما قد دُوِّن أو تُرجِم عن الإسلام إلى اللاتينية. وقد ترجمت نسخة كلوني إلى اللغات الإيطالية والألمانية والهولندية والفرنسية والإنجليزية والروسية.[249]

والمهم أن نعلم أن حركة ترجم ة القرآن الكريم من قِبَل المستشرقين عرفت مدارس متخصصة عَنيت بالموضوع أشهرها وأهمها : المدرسة الإسبانية والمدرسة الألمانية والمدرسة الإنجليزية.

***– عناية المدرسة الاستشراقية الإسبانية بترجمة القرآن الكريم:**

لم يحظ الاستشراق الإسباني بدراسة كافية بالرغم من أهميته البالغة ؛ إذ هو الأصل والأساس لجميع المدارس الاستشراقية الأوربية الأخرى[250]، بل لا يُعدُّ الاستشراق الترجمي في أوروبا عامة عَالةً على المدرسة الإسبانية. لقد أدى استيلاء ألفونسو السادس على طُليطلة سنة: 1085هـ إلى أن يسعى النصارى إلى تحقيق هدفين متكاملين أولهما : تصحيح نصرانية المستعربين بالأندلس وتهذيبها من الفساد الذي اكتسبته من جراء التقائها بالإسلام – حسب زعمهم– وثانيهما : معرفة هذا الدين لتيسير إمكان مواجهته ونفيه، وإقامة سد منيع بينه وبين إفساد النصرانية من جديد.

انطلقت هذه العملية من دير كلوني بوصفها توبة وتكفيراً حربياً عن الغضب الإلهي الذي تمثل في انتشار الإسلام وتوسعه. اقتضت إدارة هذه الحرب وضمان استمرارها، أن انتقل النصارى من تعرف الإسلام

[249]- انظر : جاسم، حسين : «الترجمات القرآنية بين نقل المعاني وهدم المباني». ترجمة تولن ترنر لمعاني القرآن للإنجليزية. مجلة النور. العدد 89، جمادى الآخرة، 1419 هـ - أكتوبر 1998م ، ص61.

[250]- ولهذا فإن كثيراً من النقائص والعيوب الموجودة في الدراسات التي اهتمت بالموضوع مردها إلى عدم اطلاع أولئك الباحثين على الاستشراق الإسباني.

إلى تنظيم معرفته وتعميقها عبر ترجمة معانيه مصدرها القرآن الكريم.

وبهذا كانت الأندلس (إسبانيا) منطلق بداية المحاولات الأولى لترجمة القرآن الكريم في أوروبا.[251]

أُنجزت الترجمة الأولى مطلع القرن الثاني عشر الميلادي سنة 1130م بأمر وتوجيه من رئيس رهبان دير كلوني بطرس الموقر، ولقد تولى مهمة الترجمة روبرت القطوني وتتميز هذه الترجمة بأمور:

- أنها أول ترجمة استشراقية للقرآن الكريم على الإطلاق.
- أنَّ المترجم أدرج في مقدمة ترجمته هذه مقالة عبد المسيح الكندي.[252]
- أنَّ هذه الترجمة لم تتقبل قبولاً حسناً لرداءتها ولأنها وُجِّهت بالأساس إلى الناطقين باللاتينية خاصة ثم تبعتها ترجمات أخرى.

ترجمة أخرى تولتها جماعة دير كلوني سنة 1143م:[253] تتميز بأنها كُتبت بأسلوب أكثر قبولاً من سابقتها، ولقد رافقت هاتين الترجمتين – على فترات متقاربة ومتتالية – ترجمات أخرى للقرآن الكريم، وفي القرنين الثالث عشر والرابع عشر اللذين يمثلان أهم مراحل الاستشراق الإسباني ظهرت عدة ترجمات منها :

– ترجمة القرآن إلى **اللغة القشتالية** بدلاً من اللاتينية وتعد الأولى من نوعها وذلك بأمر من الملك ألفونسو العاشر.

---

[251]- انظر : جاسم حسين : مرجع سابق ، ص61.

[252]- وضع عبد المسيح بن إسحاق الكندي رسالته من 141 صفحة جواباً جدلياً على كتاب صديقه عبدالله ابن إسماعيل الهاشمي الذي دعاه فيه إلى اعتناق الإسلام، ولقد هذب الرسالتين ونشرهما ضمن كتاب واحد القس أنطون تيان A.Tien مرتين في لندن في سنة: 1880م وسنة 1885م كما نشرتا بالقاهرة سنة 1912م.
ولقد ردَّ على رسالته هذه العلامة خير الدين أبو البركات نعمان الألوسي (ت:1317) في كتابه: "الجواب الصحيح لما لفقه عبد المسيح بن إسحاق الكندي" طبع في لاهور سنة 1306 هـ والمهم أن نعلم أن عبد المسيح هذا كان يهودياً تنصر ووضع كتابه هذا للطعن في الإسلام تزلفاً للمحتلين الإسبان.
انظر : جاسم حسين : مرجع سابق ، ص62. ولقد أفرد الأستاذ العسري للرسالة فصلاً مستقلاً يراجع لأهميته.

[253]- ولقد وقع اختلاف بين الباحثين في نسبة هذه الترجمة والتي سبقتها. "والواقع: أن بطرس الموقر، كان قد أمر كلاً من روبيرتوس كتنيسس وبطرس الطليطلي أحد اليهود المتنصرين بالأندلس بإنجاز ترجمة للقرآن الكريم، ذلك هو ما يستفاد من بعض رسائل الموقر إلى سان برناردو فضلاً على انه قد جاء على أعلى الورقة الأولى لإحدى نسخ الترجمة المعنية المحفوظة بالمكتبة الوطنية باريس 503، 14 Mas.lAtبأنها من عمل بيتروس طوليطانوس. والظاهر أن كلاً من هذا الأخير وروبرتو كيتون وغيرهما من بقية تراجمة الفريقين (ومنهم حتى أحد المسلمين المتنصرين) قد أسهموا جميعاً كل واحد من جهته، في إنجاز أول ترجمة للقرآن إلى اللاتينية، فالموقر كان قد شكل فريقين من التراجمة، يكمل كل واحد منهما الآخر من حيث إتقان اللغات المطلوبة لإنجاز هذا الغرض ونظائره".
انظر : العسري، محمد عبد الواحد : الإسلام في أبحاث الاستشراق الإسباني من ريموندس لولوس إلى أسين بلاثينوس، أطروحة دكتوراه الدولة، إشراف الدكتور محمد الكتاني. تطوان: جامعة عبد المالك السعدي كلية الآداب والعوم الإنسانية، السنة الجامعية: 1421-1422هـ/2000-2001م، ج1، ص ص132، 133. بالحاشية.

– ترجمة (الشماس ماركوس دي طوليدو) للقرآن الكريم ولعقيدة المهدي بن تومرت بأمر رئيس الأسقفية وإشرافه (رودريغو خيمينث دي رادا).

– ترجمة مطران كنيسة سقوفيا جون السقوفي من العربية إلى الإسبانية ثم إلى اللاتينية،« وأشرك معه في هذه المهمة فقيهاً حاذقاً اسمه عيسى بن جابر السقوفي، – وذلك قبل أربعين عاماً من غزو غرناطة وسقوطها سنة1492 م – وقد تفرغ الاثنان سنة 1455م في صومعة في مدينة سافوي لهذه المهمة مدة أربعة أشهر، في الشهر الأول قام الفقيه عيسى بن جابر بنسخ القرآن الكريم على قطع من الورق العريض تاركاً حواشي كبيرة للترجمة. وفي الشهر الثاني قام بترتيب حلقات التجليد لكل القرآن. وفي الشهر الثالث بدأ بكتابة الترجمة الإسبانية على الصفحة المقابلة للنص القرآني. وفي الشهر الرابع قام كل من جون السقوفي وعيسى بن جابر السقوفي بمراجعة الترجمة الإسبانية للتأكد من صحتها. وبعدئذ قام جون السقوفي بنقل الترجمة الإسبانية إلى اللغة اللاتينية »[254]، ثم تتابعت الترجمات بعد ذلك.

***– عناية المدرسة الاستشراقية الألمانية بترجمة القرآن الكريم:**

عرف الاستشراق الألماني واشتهر باهتمامه بالقرآن والدراسات القرآنية على وجه العموم، فمعلوم أنهفي عام 1856م قدم المستشرق الألماني (تيودور نولدكه) لجامعة جوتنجن أطروحته لنيل الدكتوراه عن تركيب سور القرآن بعنوان: " تاريخ القرآن" وحاز بها جائزة أكاديمية الآداب في باريس في العام نفسه ثم نشرها في عام 1860م وكان لهذه الدراسة من الأهمية والتأثير:أنها مهدت لدراسة القرآن في أوروبا، أما ما يتعلق بالترجمة: فإن أول ترجمة لمعاني القرآن الكريم إلى اللغة الألمانية قام بها (سولومون شفايجر) الواعظ بكنيسة فراون في نورمبرج ونشرها تحت عنوان: " القرآن المحمدي" ظهرت في ثلاثة

[254]- انظر : جاسم حسين : مرجع سابق ، ص 102 .

مجلدات اعتباراً من عام 1616م، وأهم ما يلاحظ على ترجمته:

* كونها ترجمة فرعية لم يتعد صاحبها فيها النقل من اللغة العربية مباشرة.

* التحريف المتعمد، فيه ترجمة تكشف عن سوء فهم كامل كما يبدو من العنوان.

* تمتلئ بالاختلافات والتصرف في معاني الآيات« وربما يرجع ذلك إلى انطلاقها من الاعتقاد الذي لكان منتشراً في الغرب لقرون مضت ومُؤدَّاه: أن الإسلام فرقة مسيحية منشقة».[255]

* كانت المنبع الرئيس للترجمات الألمانية التي ظهرت حتى أواخر القرن الثامن عشر.

وقد ترجمت إلى الهولندية عام 1641م.

ثم قام (فريدرش ماجر لاين) بنشر ترجمة للقرآن الكريم بعنوان " الإنجيل التركي" وذلك عام: 1770م اعتمد فيها النقل من العربية مباشرة، وهو بذلك يكون قد فتح الباب لمرحلة جديدة تم خلالها الترجمة من العربية مباشرة، فنجد مثلاً في السنة نفسها 1770م أعدَّ المستشرق (فريدريش البرهاد) ترجمة أخرى من العربية مباشرة تحت عنوان " القرآن" أو " قانون المسلمين" ثم تبعته سلسلة من الترجمات كانت في أغلبها مختارات لا ترقى للترجمة الكاملة.

وفي القرن التاسع عشر ظهرت ترجمات عديدة من أشهرها:

* ترجمة (ساموبل فريدريش جينز).

* ترجمة أولمان وهي ترجمة حرفية.

بجانب ترجمات لبعض السور قام بها :

(فريدريش ريكارت) عام 1824م.

و(داومر) عام 1848م.

و(شبربلجر) عام 1861م.

[255]- انظر: «ترجمات القرآن.. بين تبليغ الرسالة والتشويه». جريدة عقيدتي. ع522، الثلاثاء 12 جمادى الآخرة، 1418هـ - 14أكتوبر 1994م، ص 10.

و(بلومان) عام 1876م.

وقد شهد القرن العشرين أكثر من ترجمة جديدة وكاملة عن العربية مباشرة منها :

* ترجمة (تيودور ينجول) عام 1901م.

* وترجمة (هاكس هينتج) عام 1901م أيضاً.

* وترجمة (رودى باريت) التي نشرها عام 1996م ثم ألحقها بتعليق وفهرس عام 1971م.

<u>*- عناية المدرســـة الاستشـــراقية الإنجليزية بترجمة القرآن الكريم:</u>

كانت البداية الأولى لترجمة معاني القرآن الكريم إلى اللغة الإنجليزية في أواخر القرن السابع عشر الميلادي، وهذه أشهر المحاولات:

ترجمة ألكسندر روس عام 1688م إذ نقل عمل المستشرق الفرنسي (أندرودي راير) من الفرنسية إلى الإنجليزية ، وعدَّ عمله هذا أول نسخة إنجليزية مترجمة للقرآن الكريم. وتوالت الترجمات الإنجليزية التي استند الكثير منها على ترجمة لاتينية قام بها الأب (لا دوفيك ماراكس) عام 1668م وكان كاهناً وتعلم العربية على يد أحد الأتراك!وفي القرن الثامن عشر ظهر المستشرق (جورج سيل) الذي ترجم القرآن الكريم إلى الإنجليزية عام 1734م وتعد ترجمته هذه أشهر الترجمات باللغة الإنجليزية للقرآن الكريم على الإطلاق، كما يعد صاحبها شيخ المترجمين الإنجليز في هذه المرحلة.

ثم وجدت محاولات عديدة جُلُّها اعتمدت على ترجمة (سيل) منها :

* ترجمة (رودويل) في عام 1861م.

* ترجمة (بالمر) في عام 1880م.

* ترجمة (بل) في عام 1939م.

* ترجمة (داود) في عام 1976م.

* ترجمة (البروفسور أوبري) نشرت عام 1955م.[256]

[256]- انظر: http://www.tafsir.net/vb/tafsir7801 تاريخ الدخول: 2011/09/10.

المبحث الثاني: نظريات ترجمة معاني القرآن الكريم:

إن من أصعب المحاولات التي تبذل في ميدان الترجمة عموما هي محاولات لترجمة معاني القرآن الكريم. فترجمة معنى آية واحدة من النص القرآني المعجز والمحكم والبليغ إلى أيّة لغة أخرى تواجه صعوبات جمة، إذ يهتزّ المعنى الجميل الرائع ويفقد التركيب البلاغي للآية الكريمة رونقه ودقته ويفرغ اللفظ من وقعه الجميل المؤثر.[257] لقد أراد علماء اللغة والقرآن أن يصلوا إلى نظرية مانعة جامعة لترجمة القرآن الكريم، وزخرت كتب منظري الترجمة بنظرياتهم حول هذا الموضوع وفي كافة اللغات، ومن بينها العربية، لكنهم لم يصلوا إلى إجماع حول نظرية محددة بعينها فلعلنا لا نجافي الحقيقة إن قلنا أنّ ما من أحد من المنظرين في مجالي علم اللغة والترجمة إلا ويجزم أن الترجمة بمفهومها البسيط تتكون من ثلاث مراحل هي: القراءة واستخلاص الأفكار (المعنى) ومن ثم وضع النص في اللغة الهدف. لكن السؤال الذي يطرح نفسه: ما هي الأدوات التي يمكن للقارئ من خلالها أن يقرأ النص قراءة كافية فعالة تمكنه من الحصول على المعنى المراد؟ وللإجابة على مثل هذا السؤال قام العديد من علماء اللغة والترجمة باستنباط نظرياتهم وطرقهم الخاصة التي تمكن المترجم من فهم معنى النص قبل القيام بترجمته بيد أن أهم تيارين يشغلان الساحة حالياً هما الترجمة الحرفية (La Traduction Littérale) والنظرية التفسيرية أو ما أصبح يُعرف اليوم بترجمة المعنى (La Traduction du Sens) .

1. مفهوم الترجمة:

لغةً : إنّ كلمة " الترجمة " وردت لأربعة معانٍ في اللغة العربية[258] ، وهي:

أولها : تبليغ الكلام لمن لم يبلغه. ومنه قول الشاعر:

إِنَّ الثَمَانِينَ وَبَلَغْتُهَا قَدْ أَحْوَجَتْ سَمْعِي إِلَى تُرْجُمَانِ

[257]- الفقير التمسماني، محمد بن حمادي : تاريخ حركة ترجمة معاني القرآن الكريم من قِبل المستشرقين ودوافعها وخطرها. http://www.tafsir.net/vb/showthread.php?t=7801 accédé le 04/09/2011

[258]- كامل موسى، موسى و دحروج، علي : كيف نفهم القرآن. بيروت: دار بيروت، المحروسة للطباعة والنشر، 1992م ، ص ص 102، 103.

ثانيها : تفسير الكلام بلغته التي جاء بها. ومنه قولهم في ابن عباس - رضي الله عنه- :إنه تُرجمان القرآن.

ثالثها : تفسير الكلام بلغة غير لغته. وجاء في" القاموس المحيط " : « إن الترجمان هو المفسر للكلام»[259] ، وجاء في" الصحاح " : « وقد تَرجم آلامه : إذا فسر آلامه بلسان آخر».[260]

رابعها : نقل الكلام من لغة إلى أخرى. وجاء في" لسان العرب " :« الترجمان بالضم والفتح : هو الذي يترجم الكلام أي ينقله من لغة إلى أخرى». [261] وفي" تاج العروس " :« وقيل : نقله من لغة إلى لغة أخرى». [262]

وقال الدكتور محمد حسين الذهبي(1915م-1977م):« الترجمة تطلق في اللغة على معنيين، الأول: نقل الكلام من لغة إلى أخرى بدون بيان لمعنى الأصل المُترجَم، وذلك كوضع رديف مكان رديف من لغة واحدة، والثاني: تفسير الكلام وبيان معناه بلغة أخرى». [263] وفي" المصباح المنير":« يقال : تَرجم الكلام : إذا بينه وأوضحه، ويقال: ترجم كلامه : إذا فسره بلسان غيره، وترجم كلام غيره، وعنه : نقله من لغة إلى أخرى، ومنه التُرجمان». [264]

<u>اصطلاحًا</u> : أما الترجمة اصطلاحا فقد اختلف العلماء والباحثون فيها، فقال الشيخ عبد العظيم الزرقاني(ت.1948م):«هي التعبير عن معنى كلام في لغةٍ بكلام آخر في لغةٍ أخرى، مع الوفاء بجميع معانيه ومقاصده». [265] وقال الدكتور صفاء خلوصي(1917م-1997):« الترجمة فن جميل يُعنى بنقل ألفاظ ومعان وأساليب من لغة إلى أخرى بحيث أنَّ المتكلم باللغة المنقول إليها يتبين النصوص بوضوح، ويشعر

[259]- الفيروز آبادي : مرجع سابق ، ص 84.
[260]- الجوهري : مرجع سابق ، ص192.
[261]- ابن منظور : مرجع سابق ، ج**2** ، ص 26.
[262]- الزبيدي، أبو الفيض محمد بن محمد بن الحسين : تاج العروس من جواهر القاموس. بيروت: دار العلم للملايين، 1988م، ج8، ص211.
[263]- الذهبي، محمد حسن : التفسير والمفسرون. بيروت: دار الأرقم، د.ت، ج1، ص17.
[264]- الفيومي : مرجع سابق ، ج1، ص 38.
[265]- الزرقاني، محمد عبد العظيم : مناهل العرفان في علوم القرآن. د.ت، ج2 ، ص7.

بها بقوة، كما يتبينها ويشعر بها المتكلم باللغة الأصلية».[266] ويطالب معظم علماء الترجمة بالاهتمام بالمعنى وليس بالمفردات اللغوية، ذلك أنه إذا لم تقم الترجمة بالوظيفة الإيصالية، أي إذا لم يكن لها معنى لدى المتلقي، فإنها في هذه الحالة لا تكون قد بررت وجودها. وبالإضافة إلى ما تنقله التراجم من معنى، فيجب أن تنقل أيضا روح وأسلوب النص الأصلي . ذلك أن المعنى الحرفي يقتل الترجمة، ولكن روح المعنى يمنحها الحياة.

2. نظريات الترجمة:

إن ترجمة معاني القرآن– على ما سبق من المفاهيم– تنقسم إلى قسمين : ترجمة حرفية وترجمة تفسيرية، وقيل: ترجمة لفظية وترجمة معنوية.[267]. ويطرح أنصار النظريتين، أي الحرفية والتفسيرية، تساؤلات جوهرية: هل يمكن للمترجم التصرف في النص ؟ وهل بمقدوره إضافة أبعاد لم يتطرق إليها كاتبه بغرض إقناع قارئ ترجمته ؟

في خطوة أولى يتفق أتباع النظريتين، من حيث المبدأ، على ضرورة إحترام شكل النص وأفكار كاتبه ما أمكن ذلك. لأن المترجم : " مسؤول، قبل كل شيء، أمام الكاتب الذي ينقل في عمله رسالة يحملها شكل معين وتعابير محددة "[268]

1.2 النظرية الحرفية:

هي نقل الكلام من لغة إلى أخرى، مع رعاية التوافق في الترتيب والنظم والحفاظ على جميع معاني الأصل المترجم، فهي تشبه وضع المرادف مكان مرادفه. كما أنّها: الترجمة كلمة بكلمة التي تصلح في

[266]- خلوصي صفاء : مرجع سابق ، ص14.
[267]- الزرقاني : مرجع سابق ، ج2 ، ص7.
[268] - Herbulot, Florence : Le Traducteur Déchiré, in Etudes Traductologiques, Lettres Modernes. Minard, Paris, 1990, p 271.

بعض الأحيان، وهي الترجمة المثلى التي تعتبر نقلاً حرفياً وهي " استثناء " كما يقول **لادميرال**(ولد سنة 1942).[269] بعبارة أخرى: هي الانتقال من لغة إلى لغة أخرى للحصول على نص مقبول من الناحيتين التركيبية والدلالية بحيث لا يهتمّ المترجم إلا بالعبارات اللسانية. [270]. وينبغي التفريق، هنا، بين الترجمة الحرفية وترجمة كلمة فكلمة(La Traduction mot, à mot). إذ تقوم هذه الأخيرة على الشكل اللغوي والبحث عن المقابلات في اللغة الهدف دون مراعاة لسياق النص ثم صياغة الجملة المترجمة وفقاً لتركيبتها في اللغة المصدر. أما الترجمة الحرفية فهي، وإن كانت تبحث كذلك عن مقابل المفردات في اللغة الهدف دون مراعاة للسياق، إلا أنها تسعى، قدر المستطاع، أن تكون التركيبة اللغوية للغة المصدر مماثلة لنظيرتها في اللغة الهدف. يوضح بيتر نيورمارك (Newmark)(1916–2011)هذه الاختلافات المنهجية بين الترجمتين حيث يقول عن ترجمة كلمة بكلمة : "توضع مفردات اللغة الهدف تحت مفردات اللغة المصدر مباشرة مع المحافظة على التركيبة اللغوية للغة المصدر. تُترجم كل كلمة بمفردها وتُعطى أكثر المعاني شيوعاً دون مراعاة للسياق. وتُترجم المفردات الثقافية فيها حرفيا".أمّا عن الترجمة الحرفية، فيقول: " تتحول التراكيب اللغوية للغة المصدر إلى أقرب تراكيب لغوية ممكنة تقابلها في اللغة الهدف، لكن تُترجم الكلمات كل على حدة دون مراعاة للسياق[271].

« Les tenants du courant littéraliste misent beaucoup sur la forme et accorde pratiquement toute l'importance à la lettre. Ils soulignent que la langue est loin d'être un simple transporteur de messages, car forme et contenu sont intimement liés, voir même indissociables, et que c'est la forme, la langue, qui oriente et façonne la manière de percevoir le vécu de n'importe quelle société »[272].

[269] - Ladmiral, J.R : Traduire : théorèmes pour la traduction. Paris : Gallimard, 1994, p19.
[270] - Vinay, P. & Darbelnet, J : Stylistique comparée du français et de l'anglais, méthode de traduction. Nouvelle édition. Paris: Didier , 1972, p48.
[271] - Newmark, P: A textbook of Translation. London: Prentice Hall International English Language Teaching, 1988, pp. 45, 46.
[272]- Mamri, Ferhat : Le Concept de Littéralité dans la traduction du Coran : Le cas de trois traductions, thèse de doctorat d'Etat soutenue au département de traduction, Université de Constantine, 2006, p 99.

يركّز دعاة التيّار الحرفي في الترجمة على الشكل ويولون أهميّة كبيرة إلى الحرف. ويرون بأنّ اللغة ليست مجرّد وعاء لنقل الرسائل، لأنّ المعنى والمبنى تربطهما علاقة وطيدة لا يمكن فصلها. كما أنّ اللغة هي التي توجّه وتشكّل طريقة تصور التجربة المعيشة لأيّ مجتمع.

ولهذا ينتقد دعاة هذا التيار أنصار ترجمة المعنى على وجه الخصوص باعتبار أنهم يعتمدون على تحليل النص بدل التقيد بأفكار كاتبه ونقلها للقراء دون مساس. كما يأخذون عليهم إغفالهم بل حتى تجاهلهم للصعوبات التي يمكن أن تطرحها اللغة. يلخص بيتر نيومارك هذين المأخذين بقوله :" يعتقد الكثير من المنظرين أن الترجمة ما هي إلا عملية شرح وتأويل وإعادة صياغة لأفكار. وأن دور اللغة لديهم لجد ثانوي. إذ ينظرون للغة كوعاء حامل للمعنى مما يعنى إمكانية ترجمة كل شيء وأن الصعاب التي يمكن أن تطرحها هذه اللغة غير موجودة. أولئك هم أتباع المدرسة السلسكوفتشية للمترجمين الفوريين والتحريريين بباريس"[273]

تكون الترجمة حرفية أو كلمة بكلمة بمفهوم **فيني و داربلني** (Vinay1910-1999 Darbelnet1904-1990) عندما ينقل معنى النص الأصلي بصياغة صحيحة في قوالب وتراكيب اللغة المتلقية دون الخروج عن حدود الإجبارات اللغوية. فعندما يكون لكل عناصر النص الأصلي مقابل في اللغة المنقول إليها نتحصل على نص كامل وفريد ولا يتغير بالترجمة العكسية. ولذا يقول المنظران إن هذا الأسلوب يمثل؛ مبدئياً، حلاًّ فريداً وإرجاعيًّا ومكتفياً بذاته.[274] وهذا ما يبيّنه المثال الآتي:

ذهب / مع / صديق / ه / إلى / الملعب Il est parti au stade avec son ami

stade / au / son / ami / avec / Il est parti

نلاحظ هنا أنّ الصيغة لا تتعدى حدود اللغة وأن الترجمة أنتجت نصاً مقبولاً حاملاً لنفس المعنى، ويطابق تماما النص الأول في الترجمة العكسية. غير أنّ حالات التطابق هذه تبقى نادرة بين اللغات حسب **فيني**

[273] - Newmark, P : op-cit. p 72.
[274] -Voir : Vinay, P. & Darbelnet, J : op-cit. p48.

وداربلني، باستثناء تلك التي تتفرع من أصل واحد أو تلك التي عاشت فترات من الاحتكاك الناتج عن الازدواجية.[275] وعلى هذا ينصحان المترجم بالتقيد بالحرفية كلما سمحت الفرصة بذلك وعدم تركها إلا إذا كانت غير ملائمة لأسباب بنيوية أو ميتالسانية، وكانت الرسالة غير مكافئة لأنّها:

أ- تعطي معنى آخر.

ب- ليس لها معنى على الإطلاق.

ج- مستحيلة لأسباب بنيوية.

د- ليس لها مدلول في ميتالسانية اللغة المنقول إليها.

هـ- تدلّ على شيء ولكنّها تختلف عن الرسالة الأصلية من حيث مستوى اللغة.[276]

وتجدر الإشارة إلى أنّ بعض المنظرين ومن بينهم **كاتفورد (John Catford) (1917-2009)** يفرّقون بين الترجمة الحرفية والترجمة كلمة بكلمة. فلقد قسّم هذا الأخير الترجمة إلى ثلاثة أنواع:

- الترجمة كلمة بكلمة. - الترجمة الحرفية. - الترجمة الحرّة.[277]

وأتى **(شارل تابر)(Charles Taber)** و**(يوجين نيدا)(Eugene Nida) (1914-2011)**[278] بطرح مشابه فيما يخص الترجمة الحرفية التي يسمّيانها بِـ " التطابق الشكلي " La traduction à correspondance « formelle » ويوضحان بأنّه إذا اتفق أن تشابه النصان الأصلي والمترجَم فعلى المُترجِم استغلال الفرصة ونقل المحتوى دون تغييره. بيد أنّ تغيير الشكل

يفرض نفسه؛ حسبهما، إذا أفرزت الترجمة الحرفية مايلي:

أ -قولاً بدون معنى. وضربا في هذا الصدد مثالاً من الإنجيل:

« Au vent du jour […] ne veut pas dire grand-chose : l'équivalent en français serait

[275] -Vinay, P. & Darbelnet, J : op-cit. p48
[276] -Loc-cit.
[277] -Voir : Redouane, J. : La traductologie : science et philosophie de la traduction. Alger : OPU, 1985, p79.
[278] -Voir : Taber, C.R. & Nida, E.A. : La traduction : théorie et méthode. Alliance Biblique Universelle, 1971, p26.

«vers le soir», car c'est à ce moment que dans les pays du Proche-Orient la brise apporte la fraîcheur».[279]

ب -قولاً خاطئاً. ومثاله ما ذكر **ج.ن.حجار**:

أعطى السائل ألف درهم [...] Il donne à l'interrogateur milles dirhams.

والصواب: ...Il donna au mendiant.[280]

ج- بنية سطحية مثقلة (surchargée) أو ركيكة (maladroite) مثل:

ما كان معه من المال Ce qui était avec lui en fait de bien

والصواب هو: Le bien qu'il possédait.[281]

ومن البديهي أنّ الحرفية المطلقة تنتج أخطاء وانحرافات للمعنى، لأنّ المنامطة، أي الترجمة الحرفية التي لا تحوّل شيئاً، نادرة ووليدة الصدفة؛ على حدّ قول **يمينة هلال**، التي ترى أنّ ازدواجية اللغة لا تعكس سوى بعض التطابقات في الشكل والمعجم تتبلور في مقاطع متفاوتة الطول. وتوضح بأنّها تربط ورود هذه المقاطع بالصدفة مقارنة مع هذا الطابع التحويلي الذي تتميّز به عملية الترجمة بصفة عامّة. وفي الحقيق لا يكاد يخلو أيّ نص من فرصة تتيح القيام بمنامطة مقبولة لا تخلّ بالمعنى ولا تخرج عن الأحكام البنيوية للُّغة المنقول إليها.[282]

ويرى **ج.ر.لادميرال** إمكانية الترجمة الحرفية في بعض الحالات التي يصفها بـ " التفاؤلية " لأنّ الترجمة فيها تقترب من المنامطة غير أنّ هذه الترجمة المثالية تبقى في رأيه، استثنائية.[283]

تنتقد نظرية المعنى أتباع الترجمة الحرفية وتصفهم بأنهم:

[279] -Taber, C.R. & Nida, E.A. : op-cit, p11.

[280]- حجار، ج.ن : دراسة في أصول الترجمة. بيروت: دار المشرق، 2002م، ص380.

[281]- المرجع نفسه ، ص358.

[282]Voir : Hellal, Yamina : La théorie de la traduction, approche thématique et pluridisciplinaire. Alger : OPU, 1986, pp86-91.

[283]Voir : Ladmiral, J.R : op-cit, p20.

" حبيسو الأبعاد الظاهرية للنص، يتحاشون الصعاب والمعضلات خشية الخوض فيها ومحاولة إيجاد الحلول الناجعة لها "[284].

نستخلص ممّا سبق أنّ الترجمة الحرفية تخبر عن كيفية اشتغال اللغات وعن خلفيات النصوص. لذا ينصح جلّ المنظرين بنقل المقاطع التي تتطابق فيها اللغات، وعدم التخلي عن الترجمة الحرفية طالما أدّت الوظيفة التبليغية. أمّا إذا انحرفت عنها لأسباب بنيوية أو ميتالسانية فيجب تفادي الوقوع في الحرفية المطلقة واللجوء إلى أسلوبٍ من أساليب الترجمة الملتوية.

2.2. النظرية التفسيرية:

أما النظرية التفسيرية، أو نظرية المعنى، فهي بلا جدال الأكثر شيوعاً في المجالات النظرية للدراسات الترجمية وفي الممارسة العملية كذلك. إذ فتحت مجالاً جديداً وآفاق أكثر رحابة لمفهوم التقيد بما ورد في النص الأصلي. يقول الذهبي: « وهي شرح الكلام وتوضيحه وبيان معناه بلغة أخرى دون رعاية لترتيب الأصل ونظمه، ومن غير الحفاظ على جميع المعاني المرادة منه».[285]

ترى هذه النظرية أن المترجم شخص متنازع بين مسؤوليتين: رغبته في الترجمة بصدق وأمانة ودون حذف أو إضافة من ناحية وضرورة إقناع قارئ ترجمته من ناحية أخرى مما يحتّم عليه، أحياناً، إضافة بعض المعطيات في مسعى لإقناع هذا القارئ دون أن تكون هذه الإضافات مضمنة في النص الأصلي. ووفقاً للنظرية التفسيرية، فإن عملية استخلاص المعنى تتم في ثلاث مراحل:

أولاً : عملية فهم النص: هنا يضع المترجم كافة قدراته المعرفية، لغوية كانت أم غير لغوية، لفهم النص الأصلي. من القدرات المعرفية التي يلجأ إليها المترجم: التاريخ، العلوم، علم اللغة، علم الاجتماع، الأمثال، الأقوال المأثورة وما إلى ذلك من معارف مساعدة.

[284]- Herbulot, Florence : op-cit. p 279.

[285]- الذهبي : مرجع سابق ، ج**1** ، ص17**.**

ثانياً : تقود عملية فهم النص الأصلي إلى مرحلة وسيطة تُمثل المرحلة النهائية للفهم والمرحلة الأولى لإعادة صياغة ما فُهم باللغة الهدف. يُطلق على هذه الخطوة: مرحلة تأطير النص.

ثالثاً : تأتي، أخيراً، مرحلة الصياغة التي تستدعى، كذلك، استنفار المترجم لجميع معارفه، لغوية كانت أم غير لغوية، لإيجاد المقابلات اللازمة في اللغة الهدف.

ترى النظرية التفسيرية، إذاً، أن التقيد بالنص الأصلي إنما يعنى التقيد بالمعنى، بالشيء الذي يود الكاتب قوله. لأن الترجمة:

" لا تعنى إيجاد مقابل لكلمات لغة في لغة أخرى، إنما تسعى لإيجاد المعنى الذي ترمز إليه تلك الكلمات "[286]

أما عند إعادة صياغة المعنى، فعلى المترجم :

أولاً : الأخذ بالوسائل التعبيرية المتاحة في اللغة الهدف.

ثانياً : وضع القارئ في دائرة اهتمامه. إذ ينبغي عليه التساؤل : هل سيكـــون بمقدور هذا القارئ الفهم أم لا ؟ . وإذا كانت الإجابة بنعم، فهل سيفهم بنفس القدر الذي يفهم به متلقي الرسالة ممن يتحدثون لغة النص الأصلي كلغة أم؟.

إن المقابل الترجمي (L'équivalence en Traduction)، بالنسبة للنظرية التفسيرية، لهو بالضرورة المقابل من حيث المعنى. وهو مقابل ديناميكي متحرك يُسْتخلص من خلال الإطار الذي تمت فيه الترجمة، لأن المعنى نفسه متحرك يتغير بتغير الظروف الموضوعية والتاريخية. إذ عندما يذكر أبو الطيب المتنبي " القنبلة " في شعره، إنما يريد بها الكوكبة من أحد عشر فارساً وهو تعريف يختلف اختلافاً جذرياً عن معنى "القنبلة" في عالم اليوم. تنظر النظرية التفسيرية إلى المعنى، إذاً، كخليط من المعادلات الظرفية (Contextuelles) ويأخذ في اعتباره البعد التاريخي مما يزيد من معدلاته ، ذلك لأنه، ووفقاً

[286]- Delisle, Jean : Formement du sens, la paille des mots. in Etudes traductologiques, Ottawa,1980, p66.

لتغير الحقبة الزمنية، تتبدل المواعين اللغوية، المعطيات الثقافية والوسط الاجتماعي الذي يستهدفه المترجم وهو ما يُعرف بالصيغ المتحركة (dynamiques) . هنالك، أيضاً، صيغ ثابتة (Transcodages) . وهي صيغ صالحة في أية حالة تواصل حقيقي ولأي نص مهما كان نوعه كأسماء الأعلام، الأرقام، صيغ إلقاء التحية، الاعتراض، الصيغ الجاهزة وما إلى ذلك.

ووفقاً للنظرية التفسيرية، فإن عوامل كثيرة تدخل في عملية الترجمة من أهمها النظرة الذاتية للمترجم. ما يهم هو الترجمة بذكاء ووفقاً لعدة معايير ليس من بينها المحافظة على سلامة شكل النص الأصلي كما يرغب دعاة الترجمة الحرفية. وترى نظرية المعنى أنه إذا ابتعد المترجم عن الشكل الأصلي للنص، فإنما يفعل ذلك لسببين اثنين: أولهما الاقتراب من المعنى المراد ، وثانيهما احترام المواعين التعبيرية في اللغة الهدف.

ويرى أحد أعمدة هذه النظرية التفسيرية، موريس بيرنيي، أنه :

"حين يَخْلُص اللغوي، بتفحصه للعناصر اللغوية للنص، أن الترجمة غير مطابقة، يستنتج المترجم الذي يعمل على استخلاص المعنى أنها جد مطابقة. بمعنى أن عدم التطابق اللغوي قد يكون تطابقاً من حيث المعنى وأن المترجم المدرك لأبعاد مهمته، لابدَّ أن يسعى جاهداً لاستنباط المعنى غير عابئ بكومة الكلمات ".[287]

وتصف دنيكا سلسكوفيت (Danica Seleskovitch)(1921-2001)، وهي أم النظرية التفسيرية، وقد شاركها في تأطيرها والتنظير لها زملاؤها وطلابها في المدرسة العليا للمترجمين الفوريين والتحريريين بجامعة السوربون، تصف المعنى بالكيمياء والشكل بالفيزياء، حيث تقول :" اللغة بمثابة الكيمياء فيما يتعلق بالمعنى، فيزياء فيما يختص بالشكل. كيمياء ، لأنه وانطلاقاً من عناصر لغوية محددة، يمكن استنباط كم

[287]- Pergnier, Maurice : L'équivalence en traduction, Meta, 32 (4), 1987, pp 392-402.

هائل من المعاني الجديدة دون أن تفقد العناصر اللغوية هويتها الشكلية تماماً كما هو الحال مع العناصر التي تدخل في التجربة الكيميائية ".[288]

وترى هذه النظرية وجود تناغم بين المعنى والشكل اللغوي لاسيما عندما لا يتوفر المقابل الترجمي في اللغة الهدف. حينها يلجأ المترجم لإعطاء بعض المقابلات التي قد تكون مثيرة للجدل وقد لا توجد في القواميس أصلاً مثل: (العلوج/ خارطة الطريق ...إلخ). هنا يعمد المترجم لابتداع مقابل ترجمي متأثر بالشكل اللغوي ونابع من الإطار الظرفي المعين. بيد أنه لا ينبغي خلط مثل هذه المقابلات الترجمية المثيرة للجدل على اعتبار أنها استخدامات توليدية، أي استخدامات جديدة لمفردات قديمة (néologisme) ، أو حتى على اعتبار أنها تحديث أسلوبي(Innovation stylistique)، ذلك لأن المترجم يجد نفسه مضطراً لإيجاد سياق كلامي عندما يكون المصطلح المراد ترجمته:

أ) لا يمكن ترجمته ترجمة حرفية بحتة.

ب) لا يوجد في القواميس الجيدة ثنائية اللغة.

مثال ذلك: ترجمة التقارب السياسي بين الولايات المتحدة الأمريكية والصين، في منتصف السبعينيات، " بديبلوماسية الكرة الطائرة ". إذ اعتمد المترجمون الفعل اللغوي ، لأن الانفراج السياسي بين البلدين إنما بدأ بفعل ألا وهو إقامة مباراة في الكرة الطائرة.

إضافة للانتقادات التي ساقها خصومها من أتباع الترجمة الحرفية كما رأينا آنفاً، فإن هذه النظرية لم تعط – وهي إحدى المآخذ التي يأخذها عليها أتباع المذاهب الترجمية الأخرى – تعريفاً علمياً دقيقاً للمعنى المراد نقله .

إذ من حقنا التساؤل في هذا المجال : هل يلتزم المترجم بذكر كل المعاني المحتملة في سياق ترجمته؟ أم هل تراه يكتفي بإحداها واضعاً البقية في حاشية النص المترجم؟. ثم هل تعتبر الحاشية جزءاً

[288]- Seleskovitch, Danica : Langage, langues et mémoire. Lettres Modernes, Paris, 1975, pp 49,50.

من الترجمة؟. أو لا يخاطر المترجم، عندما يورد الكثير من المعاني ويستخدم الحواشي، بالخروج من الترجمة والولوج في فرع آخر من فروع المعرفة ألا وهو تحليل النص (analyse textuelle) ؟. وإذا فعل ذلك، ألا يثبت فعلياً مآخذ الترجمة الحرفية على الترجمة التفسيرية بأنها تفسر ولا تترجم ؟. ولئن دأب أتباع نظرية المعنى على انتقاد أنصار الترجمة الحرفية بسبب اهتمامهم بالعناصر اللغوية والتراكيب الأسلوبية، فإننا لا نوافقهم الرأي تماماً. ونرى أن العناصر اللغوية قد تمكن المترجم من الالتفات لكثير من المعاني التي لم تك تخطر له على بال.

يتضح لنا مما سبق أن الترجمة الحرفية ترفض تفسير النص، بينما لا تعير نظرية المعنى بنيته اللغوية وتركيبته الأسلوبية اهتماما يُذكر. ولعل إسناد نظرية المعنى مهمة تفسير النص لشخص المترجم فقط الذي يقرر ما هي المعاني التي يتوجب نقلها للقارئ وتلك التي ينبغي تجاهلها، هو ما دفع بالكثير من المنظرين في مجال الترجمة، وعلى رأسهم موريس بيرنيى، للمناداة بضرورة إشراك كل المذاهب الترجمية من أجل استنطاق العمل الأدبي وإجلاء خفاياه. إذ من المؤكد أنه ليس بوسع تيار ترجمي بعينه الإدعاء بمقدرته، منفرداً، إعطاء الأنموذج المكتمل والمنهجية المثلى للعملية الترجمية.

1.2.2 النظرية التفسيرية في ترجمة القرآن:

في سبيل الخروج من مأزق الترجمة الدينامية أو التأويلية وما يمكن أن تجرَّه على النص الأصلي من ويلات التحريف والتشويه، اقترح مترجمو القرآن اعتماد الترجمة التفسيرية منهجًا في ترجمة القرآن. فالترجمة التفسيرية كما يراها العلماء تعني: شرح الكلام وبيان معناه بلغة أخرى، فالمفسر في هذه الحالة إنّما يتكلم بأسلوب المبيّن للكلام على حسب فهمه، وكأنّه يقول للنَّاس:هذا مفهوم الآية لديَّ. أو بعبارة

أخرى، يمكننا أن نقول بأن الترجمة التفسيرية هي: ترجمة لفهم شخص، ولا تتضمن وجوه التأويل المحتملة لمعاني القرآن، وإنما تتضمن ما أدركه المفسر أو المترجم منها.[289]

وقد لاقى منهج الترجمة التفسيرية استحسان جمهور العلماء لأسباب عدة، أهمها: أنه يرفع التوهم أن تكون الترجمة هي القرآن نفسه. إضافة إلى أن منهج التفسير يستطيع أن يحلّ إشكالية نقل المفاهيم الخاصة في القرآن والتي تعجز الترجمة الحرفية عن أدائها، وفي هذا الصدد يقول النسفي:« لا حاجة إلى نزول القرآن بجميع الأَلسنة، لأنّ الترجمة التفسيرية تنوب عن ذلك».[290]

لا شك أن القرآن الكريم يشتمل على كثير من الألفاظ والتراكيب التي لا يمكن فهمها من خلال ظاهر معناها، الأمر الذي يؤكد استحالة الاعتماد الكلي في ترجمة القرآن على المنهج الحرفي وحده. ولعل سبب ذلك يعود إلى ترابط النظم القرآني بالمعنى ، وترابط معانيه الأصلية بالمعاني التابعة لها أو الثانوية، ذلك لأن القرآن في استخدامه للألفاظ والتراكيب يلجأ في بعض الأحيان إلى المعنى الظاهر في اللفظ، وأحياناً إلى المعنى التابع والثانوي المستفاد من خصائص التركيب البياني العربي. فمثلا : لا يشير القرآن صراحة إلى العملية الجنسية ترفعًا عن الابتذال والإسفاف، وإنما يكتفي باستخدام بعض الكنايات المختلفة للتعبير عنها، مثل: المُلاَمَسَة، والتَماس، والرَّفَث، والتَّغْشِيَة. ومن هنا فإن ترجمة هذه الكنايات بمعناها الأصلي قد لا يكشف عن المراد الحقيقي الذي قصده القرآن الكريم.

ففي الآية الكريمة ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقۡرَبُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنتُمۡ سُكَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَعۡلَمُواْ مَا تَقُولُونَ وَلَا جُنُبًا إِلَّا عَابِرِي سَبِيلٍ حَتَّىٰ تَغۡتَسِلُواْۚ وَإِن كُنتُم مَّرۡضَىٰٓ أَوۡ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوۡ جَآءَ أَحَدٞ مِّنكُم مِّنَ ٱلۡغَآئِطِ أَوۡ لَـٰمَسۡتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَلَمۡ تَجِدُواْ مَآءٗ فَتَيَمَّمُواْ صَعِيدٗا طَيِّبٗا فَٱمۡسَحُواْ بِوُجُوهِكُمۡ وَأَيۡدِيكُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَفُوّٗا غَفُورٗا﴾ (النساء: 43)،

[289]- اللاوندي، سعيد: إشكالية ترجمة معاني القرآن الكريم. ط1. القاهرة: مركز الحضارة العربية، 2001م، ص 40.
[290]- النسفي، أبو البركات عبد الله بن أحمد : مدارك التنزيل وحقائق التأويل. 1981م، ج 1، ص 54.

اختلف المفسرون في تفسير " لاَمَسْتُمْ "، فقال ابن عباس: هو الجماع. [291] وذهب آخرون إلى أن معنى(لامس) يفيد معناه الحقيقي وهو: مَسستُم بشرتهن ببشرتكم، وبه اختار الشافعي أن اللَّمس ينقض الوضوء.[292]

وقد ترجم المترجمون (اللمس) في هذه الآية إلى:

- Si vous **avez touché** à des femmes.[293]
- **Ayant touché** à une femme.[294]
- Si vous **avez touché** les femmes.[295]

بمعنى (لامس)، على الرغم من أنَّ وزن (لامس) يفيد معنى المشاركة بين طرفين، مثله مثل (التَّماس) في قوله- تعالى- : ﴿فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ مِن قَبْلِ أَن يَتَمَآسَّا ۖ﴾ (المجادلة:4)، وهو ما لا نجده في الفعل(لمس).

من هنا فإنه لا يمكن أن تستقيم معرفة معاني النص القرآني دون تكامل المعاني الأصلية والثانوية أو التابعة، فلو أراد مترجم أن يترجم قوله- تعالى- :﴿ وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ ٱلْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا ﴾ (الإسراء:29) ترجمة حرفية، وذلك من خلال ترجمة المعاني الظاهرة والأصلية، لأتى بكلام مستنكر ومثير للغرابة والضحك ، يفيد: النهي عن ربط اليد في العنق وعن مدها غاية المد، ولا يُعقل أنَّ القرآن الكريم قصد هذا المعنى المتهافت، لأنه لا يوجد عاقل يفعل ذلك بنفسه. أما إذا نظر المترجم إلى المعاني التابعة والثانوية المتضمنة في التشبيه البليغ الوارد في الآية الكريمة لتوصل

[291]- الصابوني، محمد علي : صفوة التفاسير. ط4. بيروت: دار القرآن الكريم، 1402 هـ- 1981م ، ج 1، ص 277.

[292]- الألوسي، شهاب الدين محمود بن عبد الله : روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني. بيروت- لبنان: دار إحياء التراث العربي، 1985م، ج 5، ص 43.

[293] - Hamidallah, Mouhammad : LE NOBLE CORAN et la traduction en langue française de ses sens. Version révisée par Mouhammad Ahmad LO, Ahmad Mouhammad al-Amine al-CHINQUITI et Fodé Soriba CAMARA. Royaume d'Arabie Saoudite : Complexe Roi FAHD pour l'impression du NOBLE CORAN, 1421de l'Hégire, p 86.

[294] - Berque, Jacques : op-cit. p 102.

[295] - Chouraqui, André : Le Coran : L'Appel en Ligne. Paris : éd Robert Laffont, 1990, Sourate4. http://nachouraqui.tripod.com/id16.htm accédé le 11/09/2011

إلى معنى النهي عن التبذير والإسراف. ونظرًا لاستحالة نقل المعاني الثانوية نقلاً حرفيًا واختلاف خواص اللُّغة العربية عن خواص اللُّغات الأخرى، فقد أجمع علماء المسلمين على رفض وإدانة الترجمة الحرفية، والتي تعني – في عرفهم–: نقل ألفاظ من لغة إلى نظائرها من اللغة بحيث يكون النظم موافقا للترتيب القرآني،[296] ويعلل الذهبي مذهب جمهور علماء المسلمين في تحريم الترجمة الحرفية للقرآن الكريم باستحالة النقل التام للأصل في اللفظ والأسلوب والمعنى، لذلك فهو يؤكد بأن ترجمات القرآن الكريم ليست أكثر من مجرد تفاسير، تقوم بشرح الكلام وبيان معناه بلغة أخرى.[297]

وتتعدّد الترجمات تبعا لتعدّد التفاسير لذلك ساوى بعض العلماء ومنظّرو ترجمة القرآن الكريم بين الترجمة والتفسير. « فظهور التفاسير الكثيرة عبر الحقب الزمنية لتاريخ الإسلام لم يكن إلا وليد تعدد واختلاف نظرة المفسرين الشخصية والذاتية التي عكست اتجاهاتهم الفردية في فهم آيات القرآن الكريم. ولعل في ذلك ما يمنع أن تكون الترجمة بديلاً مطلقًا للأصل، لأنها لا بدّ أن تتأثّر بالخصائص الذاتية للمترجم، فالمترجم لا يمكن أبدًا أن يكون وسيطًا محايدًا. وبما أن عملية استنباط معنى النص المصدر هي الأساس في عملية الترجمة، يصبح المترجم المسؤول الأول والأخير عن تحديد المعنى؛ لأن النص المصدر لا يتم اكتشاف معناه إلا من خلال المترجم وحده. فالمترجم عندما يتصدى لعملية الترجمة إنما ينظر إلى النص من منظوره الشخصي، الأمر الذي لا بدّ وأن يصبغ الترجمة بأثره وفهمه الخاص بناء على مجموع الخبرات والمعارف والثقافات التي تراكمت في ذهنه أثناء عملية الترجمة»[298].

ويرى راباسا (Rabassa) أنّ المُترجم حين يواجه عددًا من الخيارات اللفظية والتركيبية والأسلوبية، فإنه في ذلك الحين يُحكِّم ذوقه الشخصي، ويُقرِّر ما يتلاءم مع ذوقه.[299] أما جنتزلر

[296]- القطان : مرجع سابق ، ص 325.
[297]- الذهبي : مرجع سابق ، ص 24.
[298] - حاج إبراهيم، مجدي: مرجع سابق، ص 308.
[299] - Rabassa, Gregory : No Two Snowflakes are alike, ins: The Craft of Translation,Bigunet, John & Schulte, Reiner (ed.). Chicagi: The University of Chicago Press,1989, p 6.

(Gentzler) فيقرِّر أنّ الأصل رغم كونه واحدًا فقط ،لا يمكن أن تكون له ترجمة واحدة فحسب، ومن الطبيعي أن نجد للأصل ترجمات متعددة ومتباينة في الأسلوب والاتجاه باختلاف القائمين عليها.[300]

ومما يؤكد رسوخ منهج الترجمة التفسيرية للقرآن الكريم؛ أن بعض مترجمي القرآن يؤكدون ويصرحون بأن ترجماتهم لا تخرج عن مفهوم التفسير، فالمترجم أربيغ (Irving) وهو مترجم مسلم أمريكي، يؤكد بأن ما يحاول تقديمه للقُرَّاء من خلال ترجمته لآيات القرآن ليس ترجمة بل تفسيرًا متواضعًا لمن يرغب في الاطلاع على مضمون القرآن الكريم باللغة الإنجليزية.[301] ويمكن أن نلمس العلاقة الوطيدة التي تجمع الترجمة بالتفسير عند مقارنة الترجمات الفرنسية المختلفة للقرآن الكريم، فنجد على سبيل المثال في قوله- تعالى- :﴿وَٱلْمُطَلَّقَٰتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَٰثَةَ قُرُوٓءٍ ۚ ﴾ (البقرة:228) ، أن المترجمين اختلفوا في ترجمة كلمة (القُرُوء)[302]، ونضرب مثالاً آخر لاختلاف رؤية المترجمين للمعاني في ترجمة الآية الكريمة: ﴿صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾ (الفاتحة:7).

3. مشكلات الترجمة التفسيرية للقرآن الكريم:

يرى منظّرو ترجمة القرآن الكريم أنّ الترجمة التفسيرية هي الأنسب تفاديا للوقوع في الصعوبات والمزالق التي تنشأ عن الترجمة الحرفية. ولكن هناك مشكلات تواجه الترجمة التفسيرية.

«إنَّ المتتبع لتاريخ حكم ترجمة القرآن الكريم وتطوره يرى أنَّ العلماء المسلمين الذين ذهبوا إلى تحريم ترجمة القرآن الكريم إنما كانوا يقصدون ترجمته بوصفه النقل التام للشكل والمعنى لغرض توليد نص

[300] - Gentzler, Edwin : Contemporary Translation Theories. Clevedon : Multilingual Matters, 1993, p 13.

[301] – Irving, Thomas B : The Koran : Noble Quran - Translation and Commentary. Iowa : GoodwordsBook,
1988, p XLI.

[302]- القُرُوء جمع قُرْء، وهو في العربية يحمل ثلاثة معانٍ، وهي: الحَيْضَ أو الطُّهْرَ أو كلاهما، (فمن العرب من يسمي الحيض قُرْءًا، ومنهم من يسمي الطهر قُرْءًا، ومنهم من يجمع بينهما) .

جديد مماثل وبديل للأصل. والغريب في الأمر أنهم ربطوا علة التحريم بالترجمة الحرفية، بحجة أنها تسعى إلى تقليد النص المصدر وإنتاج نص مطابق له تتحقق فيه جميع خصائصه. ويتضح بجلاء اللبس في هذا الاستدلال؛ لأن صورة الترجمة الحرفية المشوشة والمستنكرة لا يمكن بأي حال من الأحوال أن تولد نصًّا يرقى لمستوى البديل المماثل. فالترجمة الحرفية التي لا تتم إلا على حساب التأثير، لا يمكن أن تحظى بقبول قُرَّاء اللغة الهدف؛ لما يشوبها من غرابة الأسلوب وتهافت الترابط بسبب تأثُّرها الشديد بلغة المصدر»[303].

« واللاَّفت للانتباه أنَّ العلماء المسلمين الذين يَرَوْنَ تحريم ترجمة القرآن يُقرُّون بوجود جوانب في القرآن الكريم يمكن ترجمتها حرفيًّا، وذلك عندما قسَّموا معاني النص البليغ إلى معاني أصلية وأخرى ثانوية، فالمعاني الأصلية هي التي يستوي في فهمها كل من عرف مدلولات الألفاظ المفردة، وعرف وجوه تراكيبها معرفة إجمالية، أما المعاني الثانوية فيُراد منها خواص النَّظم التي يرتفع بها شأن الكلام وبها كان القرآن معجزًا».[304]« وعلى صعيد آخر، يظهر لنا أن علماءنا الأوائل عندما تحدَّثوا عن الترجمة الحرفية إنما كانوا يقصدون ما يُعرف اليوم بمفهوم (الترجمة كلمة بكلمة)، وهي التي تُعنى بتحويل جميع كلمات اللُّغة المصدر بترتيبها وقواعدها إلى اللُّغة الهدف. وهي تختلف اختلافًا جذريًّا عن الترجمة الحرفية بالمفهوم الحديث، إذ تعني الترجمة الحرفية: ترجمة المعاني الأساسية لجميع مفردات النص الأصلي كما لو كانت خارج سياقها ، مع مراعاة الأبنية النحوية للُّغة الهدف، وهذا يعني أن الترجمة الحرفية ليست بتلك الصورة البَّشعة التي يتصورها كثير من الناس، لأنَّ شعارها الأمانة في نقل دلالات النص الأصلي بأسلوب يتناسب مع أسلوب اللُّغة الهدف. لذلك فإنَّ **نيومارك** يؤكد على أنّ الترجمة الحرفية أن تكون

[303] - حاج إبراهيم، مجدي: مرجع سابق ، ص ص 309،310.
[304]- حاج إبراهيم، مجدي: مرجع سابق ، ص315.

إجراء الترجمة الأساسي في كل من الترجمة المعنويَّة والتخاطبيَّة وذلك في أن الترجمة تبدأ من هناك، لكنه يعود ويقرُّ بأن الترجمة الحرفية تصبح صعبة وبشكل متزايد فوق مستوى الكلمة».[305]

ويؤكد **مونان** أنّ الترجمة غير مستحيلة وغير ممكنة على الدوام، بل هي ممكنة بمقدار معيّن وفي حدود معينة. [306] أما لافيفر (Lafever) فيرى أنّ الترجمة ليست تبديلاً للنصّ الأصلي بمقتضى قوانين ثابتة محدَّدة، وإنما إعادة صياغة للنصّ المصدر واستغلاله لصالح القراء الجدد.[307]

ويؤكد ستاينر(Steiner) بأن الرفض التام لشرعية الترجمة بحكم أنّها لا يمكن دومًا أن تتحقق على وجه الكمال أمر مبالغ فيه.[308]

لقد تسبب منهج الترجمة التفسيرية المطلقة لترجمة القرآن الكريم في خلط المفاهيم، حتى أصبحت الترجمة وكأنها هي التفسير، وأصبح التفسير وكأنه هو الترجمة. فعلى الرغم من الترابط الوطيد بين الترجمة والتفسير إلا أنه لا يجوز الخلط بينهما بدون حد فاصل، فمتى كانت ترجمة معاني القرآن هي نفسها ترجمة " تفسير ابن كثير" أو ترجمة " في ظلال القرآن" ؟!.

إنَّ زونج (Zhong) يرى أن الحد الفاصل بين المترجم والمفسر أنّ المترجم لا يكون مفسّرًا إلا في ظروف معينة فقط، فهو ليس مفسّرًا على الدوام، وإنما يكون مفسّرًا في حالة إخفاقه في إدراك حقيقة مقاصد النص المصدر؛ فيضطر إلى اللُّجوء إلى الحلول اللُّغوية مثل: الترجمة المباشرة أو التحويرية أو التوضيح في الهامش.[309]

4. شروط الترجمة:

أجمع الباحثون والمهتمون بالترجمة على أنه يجب توفر أربعة شروط لتحقيق الترجمة مطلقًا. [310]

[305]- نيومارك، بيتر : الجامع في الترجمة. ترجمة : حسن غزالة. مالطا: إيلجا، 1992م ، ص91.
[306]- مونان، جورج : المسائل النظرية في الترجمة. ترجمة: لطيف زيتونة. بغداد: دار الشؤون الثقافية العامة، 1992م ، ص363.
[307] - Lafever, André : Translation, Rewriting, and the Manipulation of Literary Fame. London: Routledge, 1992, p VII.
[308] - Steiner, George : After Babel. Oxford: Oxford University, 1992, p251.
[309] -Zhong, Yong : Death of the Translator and Birth of the Interpreter. Babel, V44, 1988, p344.
[310]- موسى كامل و علي دحروج : مرجع سابق ، ص 104،105.

وهي كما يلي:

1- معرفة المترجِم لأوضاع اللُّغتين : لغة المُترجَم والمُترجَم إليها.

2- معرفته لخصائص اللُّغتين وأساليبها.

3- وفاء الترجمة بجميع معاني الأصل ومقاصده على وجهٍ مُرضٍ.

4- أن تكون صيغة الترجمة مستقلة عن الأصل.

أمّا بالنسبة لترجمة القرآن الكريم ينبغي توفر شرطين أساسيين عند الترجمة وهما الترسّخ في اللغة العربية ومعاني المفردات الواردة في القرآن والحديث خصوصا، وتوظيفاتها في اللسان العربي التداولي بشتى الأساليب وعلى عدة أوجه الاستعارات وتوسعاتها. والشرط الثاني هو الترسّخ في اللغة المترجم إليها النص القرآني أو الحديثي على نفس المستوى الذي أمكن في اللغة الأصلية للنص، بالإضافة إلى هذا ينبغي توفر الحضور العقلي من حيث تحديد الوجوب أو الاستحالة أو الجواز في حق الله تعالى حكما عقليا بحسب متعلقه المناسب من المعلوم وأقسامه، وخاصة عند تفسير الآيات التي تدل على ذات الله تعالى وصفاته وأفعاله.

خاتمة:

إنَّ المتتبع لتاريخ حركة ترجمة القرآن الكريم وتطوره يرى مدى أهميّة البحث في أسلوب القرآن الكريم وترجمته وتحقُّق الإعجاز في لفظه ومعناه، ونظمه البديع فلا يظهر فيه التعارض ولا الاختلاف.

كما أنّ المتتبع لحكم ترجمة القرآن الكريم يعلم أنَّ العلماء المسلمين الذين ذهبوا إلى تحريم ترجمة القرآن الكريم إنما كانوا يقصدون ترجمته بوصفه النقل التام للشكل والمعنى لغرض توليد نص جديد مماثل وبديل للأصل. وإلاّ كان هذا التحريم فيه صدٌّ لقسط وافر من تعاليم الإسلام وأحكامه وعدم إثراء التراث الإنساني.

وهذا يجرّنا إلى القول بأنّ الحكم على نوعية ترجمة القرآن الكريم يحتاج إلى مراعاة مدى توافقها مع الأصل وتحقيق الغاية المرجُوّة منها.

يظهر لنا من خلال هذا الفصل أنّ المنظّرين الأوائل عندما تحدَّثوا عن الترجمة الحرفية إنما كانوا يقصدون ما يُعرف اليوم بمفهوم (الترجمة كلمة بكلمة)، وهي التي تُعنى بتحويل جميع كلمات اللُّغة المصدر بترتيبها وقواعدها إلى اللُّغة الهدف. وهي تختلف اختلافًا جذريًّا عن الترجمة الحرفية بالمفهوم الحديث، إذ تعني الترجمة الحرفية: ترجمة المعاني الأساسية لجميع مفردات النص الأصلي كما لو كانت خارج سياقها ، مع مراعاة الأبنية النحوية للُّغة الهدف، وهذا يعني أن الترجمة الحرفية ليست بتلك الصورة البَّشعة التي يتصورها كثير من الناس، لأنَّ شعارها الأمانة في نقل دلالات النص الأصلي بأسلوب يتناسب مع أسلوب اللُّغة الهدف.

وذكرنا أيضا أنّ مترجمي القرآن اقترحوا اعتماد الترجمة التفسيرية منهجًا في ترجمة القرآن. فالترجمة التفسيرية كما يراها العلماء المسلمون تعني: شرح الكلام وبيان معناه بلغة أخرى، فالمفسر في هذه الحالة إنّما يتكلم بأسلوب المبيّن للكلام على حسب فهمه، وكأنّه يقول للنَّاس:هذا مفهوم الآية لديَّ. أو

بعبارة أخرى، يمكننا أن نقول بأن الترجمة التفسيرية هي: ترجمة لفهم شخص، ولا تتضمن وجوه التأويل المحتملة لمعاني القرآن، وإنما تتضمن ما أدركه المفسر أو المترجم منها.

وفي ختام هذا الفصل يمكن القول:

- إن التعرّف على خصائص اللغة العربية، ثم التعرّف على خصائص النظم القرآني على وجه الخصوص، هو السبيل لإدراك سبب المشكلات التي تقف في وجه الترجمة التفسيرية، فهذه المشكلات تنشأ من ذات القرآن الكريم، لا من أمر خارج عنه.
- عجز الترجمة التفسيرية عن الوفاء بجميع المعاني القرآنية، لا ينبغي أن يقودنا إلى القول بحرمتها.
- اللغة العربية تمتاز بخصائص في ألفاظها وتراكيبها، لا توجد في اللغات الأجنبية.
- الترجمة التفسيرية أمر ضروري للوفاء بعالمية القرآن، وإنسانيته.
- من نافلة القول أن نقول إن الترجمة التفسيرية ليست قرآناً، ولا تتعلق بها أحكام القرآن الكريم.
- ينبغي على المسلمين من المتقنين للغات الأجنبية أن يقوموا بواجب الترجمة التفسيرية للقرآن الكريم، للرد على الهجمات التشكيكية التي يمارسها أعداء القرآن الكريم، ببثّ مفاهيم مغلوطة في ترجماتهم بشكل متعمّد.

الفصل الثالث:

دراسة تحليلية مقارنة لترجمة أسلوب التقديم والتأخير في القرآن: الربع الأوّل

1. مقدمة

2. المبحث الأول: تعريف بالمدونة والترجمات الثلاث ومنهج البحث

3. المبحث الثاني: مقارنة وتحليل الترجمات الثلاث

4. خاتمة

مقدمة:

يُعدُّ تحليل ومقارنة ترجمات معاني القرآن الكريم الذائعة الصِّيت والواسعة الانتشار ؛ مع التنبيه على مضامينها ومحتوياتها من أفضل السبل وأجدى الطرق الكفيلة بتحسين صورة الإسلام وبيان حقائق القرآن ومعانيه الصحيحة. ولمَّا كانت ترجمتا المستشرِقَيْن الفرنسيين جاك بيرك وأندري شوراكي، وترجمة حميد الله لمعاني القرآن الكريم من أبرز المحاولات المعاصرة التي لقيت صدىً واسعًا وتَوْفِية إعلامية هائلة جعلتها تتربع كرسي الصدارة في الترجمة القرآنية، فإنّ المقارنة بينها وإبداء ملاحظات عليها يتطلب الإحاطة بمنهج المترجم في التعامل مع المصطلحات والألفاظ القرآنية بكل ما تتضمنه من إشارات وظلال، ثم استعراض الطريقة المتبعة في نقل الآيات القرآنية بما تحمله من معانٍ وإيحاءات وروعة بيان وتركيب.

يتناول هذا الفصل التطبيقي موضوع التقديم والتأخير في الربع الأوّل من القرآن الكريم. حيث قمنا بتقسيمه إلى مبحثين. خصّصنا المبحث الأوّل للتعريف بالمدوّنة المتمثّلة في الربع الأوّل من القرآن الكريم والترجمات الثلاث وهي: ترجمة محمد حميد الله، وجاك بيرك، وأندري شوراكي. ثم نتحدّث عن المنهج المتبّع في هذا البحث وهو المنهج التحليلي المقارن.

أمّا المبحث الثاني نورد فيه في البداية جدولا يحتوي على الآية التي اشتملت على تقديم أو تأخير في ألفاظها بمقابل الترجمات الثلاث، ثم نتبع ذلك بتحليل الترجمات والمقارنة بينها معتمدين على أقوال المفسّرين أمثال: الإمام الزمخشري، والرازي، وكذلك الطبري، والطوسي، والسيوطي وعلماء البلاغة القرآنية مثل: الإمام الزركشي، والأنباري، والإمام الجرجاني. ويكون كذلك دأبنا إلى نهاية الفصل متّبعين في ذلك ترتيب الآيات في المصحف الشريف. ونظرا لكون العديد من الآيات تتشابه في السبب البلاغي لتقديم ألفاظها أو تأخيرها كتخصيص المفعول به مثلا وتقديمه على فعله ، فقد اكتفيت بذكر أية واحدة كمثال على ذلك.

المبحث الأول: تعريف بالمدونة ومنهج البحث

1. مدونة البحث:

للإجابة عن التساؤلات المذكورة في هذا البحث اخترنا دراسة ترجمة أسلوب التقديم والتأخير في ثلاث ترجمات للقرآن الكريم لها صدىً كبيراً في الأوساط الإعلامية والأكاديمية ، وهي : ترجمة حميد الله ، وترجمة جاك بيرك ، وترجمة أندري شوراكي. واختيارنا لها لا يعني أنّها أجود ترجمات القرآن العظيم إلى اللغة الفرنسية، لأنّنا لم نطّلع إلاَّ على البعض منها، لكن اعتمادنا على هذه الترجمات مجتمعة مدونة لهذا البحث يرجع لأسباب عديدة أهمها أنّ المترجمين الثلاثة نشؤوا في بيئات مختلفة هي ملتقى لثقافات ولغات عدّة، وهو أمر من شأنه أن يكون عاملاً مساعداً في تكوين شخصية المترجم، وتخطّيه بعض الصعوبات والعوائق التي يمكن أن تواجهه أثناء عملية الترجمة.

1.1. القرآن الكريم:

1.1.1. تعريف القرآن الكريم:

لغةً: مصدر قَرَأْتُ قِرَاءَةً وقُرْآنًا، ثم نُقل من معناه المصدري وصار علما على الكتاب العزيز؛ مشتق من قَرَأَ بمعنى تَلاَ أو من قَرَى بمعنى جَمَعَ .

وشرعًا هو: «كلام الله تعالى المعجز المنزَّل على سيدنا محمد– صلى الله عليه وسلم– بواسطة جبريل بلسان عربي مبين المتعبد بتلاوته والمنقول بالتواتر... ».[311]

ومن أسمائه الفرقان والكتاب والذكر والتنزيل، وقد غلب عليه اسما: القرآن والكتاب، وفي ذلك إشارة إلى

[311]– يوسفي، مختاربك : أصول المعرفة الإسلامية : القرآن الكريم. http://mokhtarislamiso.maktoobblog.com/1383128 accédé le : 10/07 /2011

شدة العناية بحفظه في موضعين لا في موضع واحد ، أي في الصدور والسطور جميعًا.

أنزل الله تعالى كتابه القرآن ليكون الكتاب المهيمن ، والرسالة الخاتمة ، والشريعة الباقية ، مما يتطلب رعايته عن عبث العابثين ، وتحريف الغالين ، وانتحال المبطلين ،وقد اتفق له ذلك منذ اللحظة الأولى لنزوله وحتى يومنا هذا ، وإلى أن يرث الله الأرض ومن عليها ، لا زيادة فيه ولا نقصًا ، وقد ورد إلينا متواترًا بنقل الكافة [312] ؛ التي لا تقع تحت عد ولا حصر عن مثلها حفظا وكتابة ، ولم يختلف في عصر من العصور في سورة ، ولا آية ، ولا في كلمة ،بل كثير من هؤلاء النقلة لا يحسن العربية لكنه يقرأ القرآن كما أُنزل.

2.1.1. سور الربع الأوّل:

سورة الفاتحة :

سبب التسمية:

تسمّى الفاتحة لافتِتاح الكتاب العزيز بها، وتسمّى أمّ الكتاب لأنهَا جمعت مقاصده الأساسيّة، وتسمّى أَيضا السّبع المثاني ،والشّافية ، والوافية ، والكافية ،والأساس ، والحمد.

سورة مكية من سور المثاني، عدد آياتها سبعة مع البسملة، هي السورة الأولى في ترتيب المصحف الشريف[313].

سورة البقرة :

سبب التسمية :

سُميت السورة الكريمة "سورة البقرة " إحياء لذكرى تلك المعجزة الباهرة التي ظهرت في زمن موسى الكليم، حيث قُتِلَ شخص من بني إسرائيل ولم يعرفوا قاتله، فعرضوا الأمر على موسى لعله يعرف القاتل

[312]- الجمع الكبير من الناس الذين يستحيل تواطؤهم على الكذب .

[313]-انظر : http://montada.aya.sy/showthread.php?t=64412 تاريخ الدخول: 2011/90/10.

فأوحى الله إليه أن يأمرهم بذبح بقرة، وأن يضربوا الميت بجزء منها فيحيا بإذن الله ويخبرهم عن القاتل وتكون برهانا على قدرة الله جل وعلا في إحياء الخلق بعد الموت.

هي سورة مدنية من السور الطوال، عدد آياتها 286 آية، السورة الثانية من حيث الترتيب في المصحف وهي أول سورة نزلت بالمدينة تبدأ بحروف مقطعة " الم " ، ذكر فيها لفظ الجلالة أكثر من 100 مرة ، بها أطول آية في القرآن وهي آية الدين رقم 282 .

سورة آل عمران :

سبب التسمية:

سُميت السورة بـــ " آل عمران " لورود ذكر قصة تلك الأسرة الفاضلة " آل عمران "والد مريم آم عيسى، وما تجلى فيها من مظاهر القدرة الإلهية بولادة مريم البتول وابنها عيسى عليهما السلام .

هي سورة مدنية من سور الطول عدد آياتها 200 آية، هي السورة الثالثة من حيث الترتيب في المصحف نزلت بعد سورة " الأنفال "تبدأ السورة بحروف مقطعة " الم".

سورة النِّسَاء :

سبب التسمية :

سُميت سورة النساء لكثرة ما ورد فيها من الأحكام التي تتعلق بهن بدرجة لم توجد في غيرها من السور. ولذلك أُطلِقَ عليها " سورة النساء الكبرى " مقابلة سورة النساء الصغرى التي عرفت في القرآن بسورة الطلاق .

سورة مكية من سور الطول عدد آياتها 176 آية، هي السورة الرابعة من حيث الترتيب في المصحف ، نزلت بعد سورة الممتحنة ، تبدأ السورة بأحد أساليب النداء " ياأيها الناس " ، تحدثت السورة عن أحكام المواريث ، تختم السورة أيضا بأحد أحكام المواريث.

سورة الْمَائِدَة :

سبب التسمية :

سُميت" بسورة المائدة" وهي أحد معجزات سيدنا عيسى إلى قومه، عندما طلبوا منه أن ينزل الله عليهم مائدة من السماء يأكلوا منها وتطمئن قلوبهم .

سورة مدنية من السور الطول، عدد آياتها 120 آية، هي السورة الخامسة في ترتيب المصحف، نزلت بعد سورة الفتح، تبدأ السورة بأحد أساليب النداء " يا أيها الذين آمنوا".

سورة الأَنْعَام :

سبب التسمية :

سُميت بـــ " سورة الأنعام " لورود ذكر الأنعام فيها " وَجعلوا لله مما ذرأ من الحرث والأنعام نصيبا "، ولأن أكثر أحكامها الموضحة لجهالات المشركين تقربا بها إلى أصنامهم مذكورة فيها، ومن خصائصها ما روى عن ابن عباس أنه قال " نزلت سورة الأنعام بمكة ليلا جملة واحدة حولها سبعون ألف ملك يجأرون بالتسبيح" .

سورة مكية ماعدا الآيات " 1،151،141،114،93،91،23،20 52،153 " فمدنية . من السور الطول، عدد آياتها165 آية، هي السورة السادسة في ترتيب المصحف، نزلت بعد سورة الحجر تبدأ السورة بأحد أساليب الثناء وهو الحمد لله.[314]

2.1. تعريف بالترجمات الثلاث:

1.2.1. ترجمة حميد الله:

هو الدكتور محمد حميد الله بن حاجي أبـو محمد خليل الله بن محمد صبغة الله ، ولد يوم الأربعاء في

[314]- انظر : http://montada.aya.sy/showthread.php?t=64412 تاريخ الدخول: 2011/90/10.

16 محرم عام 1326هـ الموافق 19 فبراير 1908م في حي فيلخانه بمدينة حيدرآباد الدكن بالهند .[315] وكان ينتمي إلى سلالة النوائط[316] التي كانت تقطن الساحل الجنوبي من الهند تمارس التجارة والملاحة ، ولها باع طويل في الدعوة والإرشاد والتأليف والتحقيق . كان جده من الأب القاضي محمد صبغة الله بدرالدولة (1211هـ/1792م - 1280هـ/1863م) عالماً متمكناً على حذو أجداده مثل شمس العلماء القاضي عبد الله (ت 1346هـ) حيث كان يعتبر أول كاتب في النثر الأردي في جنوب الهند[317]. وله 14 مؤلفاً

باللغة الأردية و 23 كتاباً باللغة الفارسية بالإضافة إلى 29 كتاباً باللغة العربية في التفسير والفقه، ومنها كتاب «فوائد بدرية» في موضوع السيرة وهو معروف ومتداول لدى العلماء [318]. وكان والده أبو محمد خليل (1363- 1374هـ) مدير المالية في حكومة نظام الملك بحيدر آباد الدكن في عهد القاضي بدر الدولة.

دراسته:

بدأ دراسته على يد والده، ثم التحق بكلية دار العلوم بحيدر آباد الدكن، وتخرج فيها بعد نيل شهادة «مولوى كامل»، وحفظ القرآن الكريم في سن مبكر[319]، وقطع منذ ولادته جميع مراحل التعليم بدار العلوم الكلية النظامية والجامعة العثمانية، وحصل على الماجستير والبكالوريا في الحقوق، و شهادة دي فِل (جامعة بون الألمانية) ودِي لت (جامعة سوربون الفرنسية)[320] ، وذلك لغاية عام 1936م وكان يومئذ ابن

---

[315]- عالم قاسمي، محمد سعود : «د.محمد حميد الله اور اسلامي علوم كي تحقيق (د.محمد حميد الله وخدماته في البحوث العلمية الإسلامية)». مجلة تحقيقات إسلامي، علي جراه. الهند، يناير- مارس 2003م، ص 96.

[316]- ذكر ياقوت الحموي في "معجم البلدان" بأنه تعرف هذه القبيلة بالنوايت أو النوايط وهي تسلك مسلك الشافعي .

انظر : عالم قاسمي : مرجع سابق ، ص 23.

[317]- فاروقى، لطف الرحمن : «د.محمد حميد الله ايك بـــى مثال محقق (د.محمد حميد الله باحثاً نادراً)». مجلة دعوة. إسلام آباد. العدد الخاص بالدكتور محمد حميد الله، ع 10، مارس، 2003م، ج9، ص 45.

[318]- عالم قاسمي : مرجع سابق ، ص 96.

[319]- الغزالي، محمد : «جريدة أوصاف اليومية». 5 أكتوبر،2003م ، ص 5.

[320]- شيخ، محمد رشيد : «د.محمد حميد الله». فيصل الآباد، باكستان: مطابع الميزان، 2003م، ص ص 103،104.

ثمان وعشرين فقط. ثم استهل حياته العملية بالتدريس، وعليه فقد قضى فيه مسيرة حياته الممتدة على 94 عاما (فبراير 1908م – ديسمبر 2002م) أي زهاء ستين سنة على الأقل (1936–1996م) مشتغلا بنشاطات علمية ودعوية، تعليمية وتصنيفية ليلَ نهارَ. فبالرغم من نحافة جسمه مضى وقد أقام منارات شامخة في مجالات العلم والتحقيق المختلفة ترفع عمله وتبرز رسمه على مدى الأجيال القادمة. وينظر إلى عائلته كعائلة شريفة، ولكنه يقول عن نفسه إنه ينحدر روحياً من الدوحة النبوية.

كان الدكتور محمد حميد الله الحيدرآبادي الهندي باحثًا إسلاميًا متعمقًا ومتوسّعا في دراسة التاريخ الإسلامي والقانون الإسلامي. وقد أمضى معظم حياته العلمية في باريس عاصمة فرنسا، وأثرى المكتبة الإسلامية بمؤلفاته الفريدة في الموضوعات التي تعرَّض لها والأسلوب الذي عالجها به. وقال بعض من تحدثوا عنه أنه ألف نحو 350 كتاباً؛ ولكن قال بعضهم :إن مؤلفاته تربو على 165 مؤلفًا، كما أنه دبج أكثر من 937 مقالاً في مختلف اللغات العالمية. عكف الدكتور محمد حميد الله – رحمه الله – طوال سبعين عامًا على التأليف والكتابة، مدافعًا عن قضايا الإسلام، ومُبْرِزًا النفائس العلميةَ والكنوزَ الفكريةَ، التي ظلت مختفية عن الأنظار عبر قرون طويلة. كما حقق عددًا من المؤلفات الثمينة للعلماء القدامى، وعرضها على أبناء العصر سهلة سائغة ليستفيدوا منها دونما عناء.

مؤلفاته الشهيرة:

ومن مؤلفاته الشهيرة ما يلي:

- القرآن الكريم وترجمة معانيه؛ بالفرنسية، صدرت له أكثر من عشرين طبعة.
- نبيّ الإسلام – صلى الله عليه وسلم – وحياته وأعماله؛ بالفرنسية في جزئين، صدرت له طبعات، آخرها طبعة 1989م.
- التعريف بالإسلام؛ بالفرنسية، صدرت له طبعات، ونقل إلى 23 لغة عالمية.

- ست رسائل دبلوماسية لنبي الإسلام – صلى الله عليه وسلم– ؛ بالفرنسية، صدرت بباريس عام 1986م.
- لماذا نصوم؟ ؛ بالفرنسية، صدر عام 1983م و 1988م.
- فهرس ترجمات معاني القرآن الكريم، ألَّفه مستفيدًا من مائة وعشرين لغة، صدر بإستانبول بتركيا.
- تصحيح ترجمة بوسكاي لصحيح البخاري؛ بالفرنسية، صدر بباريس.
- مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة؛ بالعربية، صدر ببيروت.

كما شارك في إعداد دائرة المعارف الإسلامية باللغة الأردية عام 1965م وذلك بتحرير 32 مادة، وقد صدرت في جامعة بنجاب بباكستان، وشارك في موسوعة الأطلس الكبير للأديان بالفرنسية عام 1988م بتحرير مادة «الإسلام» بالإضافة إلى مشاركته في تحرير مادة «الإسلام» أيضًا في كتاب «الدليل الديني لفرنسا» بالفرنسية، ط: هاشيت، بباريس عام 1961م.[321]

توفي الدكتور حميد الله في 13 شوال عام 1423هـ الموافق 17 ديسمبر 2002م في مدينة جاكسلفانيا بالولايات المتحدة الأمريكية، تغمده الله برحمته وأسكنه فسيح جناته.[322]

[321]– محمد رشيد شيخ : مرجع سابق ، ص 274.

[322]– مجلة «فكر ونظر». إسلام آباد، باكستان: معهد الدراسات الإسلامية بالجامعة الإسلامية. العدد الخاص بالدكتور محمد حميد الله، أبريل– سبتمبر، 2003م، ج 40-41، ص ص 13،14.

2.2.1. ترجمة جاك بيرك:

النشأة والتكوين:

جاك بيرك: (الجزائر 1910م– فرنسا 1995م)، عالم اجتماع ومستشرق فرنسي، أستاذ التاريخ الاجتماعي للإسلام المعاصر بـ: « Collège de France » من سنة 1956م إلى غاية 1981م، وعضو مجمع اللغة العربية بالقاهرة منذ سنة 1989.[323]

أهمّ مؤلفاته:

- **Dépossession du monde**, Seuil, 1964.
- **L'Egypte, impérialisme et révolution**, Gallimard, 1967.
- **L'Orient second**, Gallimard, 1970.
- **Langages arabes du présent**, Gallimard, 1974.
- **L'intérieur du Maghreb** : XV-XIX siècle, Gallimard, 1978.
- **Structures sociales du Haut Atlas**, PUF , 1978.
- **Le Maghreb entre deux guerres**, Seuil, 1979 (1962 pour la première édition).
- **L'Islam au défi**, Gallimard, 1980.
- **Mémoires des deux rives**, Seuil, 1989.
- **Le Coran, traduction**, Sindbad, 1991.
- **Relire le Coran**, Albin Michel, 1993.
- **Musiques sur le fleuve**, Albin Michel, 1996.
- **Les Arbres** suivi de **Andalousies**, Sindbad /Actes Sud, 1997 (1973 et 1981 pour les premières éditions).
- **Ulémas, fondateurs insurgés du Maghreb XVII siècle**, Sindbad, 1998.
- **L'Islam au temps du monde**, Sindbad, 2002.
- **Quel islam**, Sindbad, 2003.[324]

[323] - Kaouah , Abdelmadjid . Jacques Berque, Le passeur. Algérie News, 29 avril 2008 .

ترجمته للقرآن الكريم:

صدرت ترجمة بيرك لمعاني القرآن الكريم سنة 1990م وقد صـــدرت في هذه السنة ترجمتان فرنسيتان أخريان وهما لكل من أندريه شوراكي ورينيه خوام، وقد اشتهرت ترجمة بيرك أكثر من غيرها لأسباب وعوامل معينة أهمّها ما يلي:[325]

أولا: لقد أمضى بيرك في إعداد الترجمة أكثر من عشر سنوات متواصلة مما قد يفهم منه أن الرجل قد وفَّى المشروع حقه من الوقت، وأنه كان متريثا ومدققا وعلى غير عجلة من أمره، وهو ما يعطي للعمل أهميته وقيمته. ولعل ما يعزز هذا العامل تصريح بيرك بأنه أعاد قراءة الترجمة وتنقيحها ثلاث مرات ، كما أنـــه استأنس بمعظم التفاسير القرآنية المشهورة التي وضع أمام القارئ لائحة بعناوينها.

ثانيا: يعد جاك بيرك من أبرز المستعربين المعاصرين، وإجادته للُّغة العربية وقواعدها – بالرغم مما يعتريها من نواقص جيدة بالمقارنة مع مستويات إتقانها من طرف زملائه من المستشرقين – ، ولعل هذا ما أَهَّله لأن يكون عضوا بمجمع اللغة العربية بالقاهرة، حيث رأى فيه أعضاء المجمع الرجل المستعرب القادر على مناقشة مختلف القضايا اللغوية ودراستها. ولا شك أن مَن كان هذا حاله يعد أقدر من غيره على التجاوب والتعامل مع النصوص القرآنية فهما وترجمة وتعليقا.

ثالثا: عُرِف جاك بيرك لدى المهتمين والمتتبعين باعتداله وموضوعيته وعدم تهجمه على الإسلام بصفة مباشرة، فهو يعد نفسه (أخا العرب) ، وبالرغم من أن حقيقة الأمر تدل على أن مواقف الرجل من الإسلام لا تخلو من انتقاد وتهجم واستهتار أحيانا ببعض القضايا والمبادئ والأسس الإسلامية [326] إلا أن

---

[324] - http://www.islam-fraternet.com/maj-0598/berq.htm accédé le : 05/09/2008.

[325]– عزوزي، حسن بن إدريس : ملاحظات على ترجمة معاني القرآن الكريم للمستشرق الفرنسي جاك بيرك ، الملاحظات التفصيلية على مضامين الترجمة ، سادسا: التصرف في ترتيب أجزاء الآية القرآنية الواحدة. رابط الموقع:
http://www.qurancomplex.org/Display.asp?section=8&l=arb&f=wrong_trn2004&trans=2
accédé le : 02/01/2011

[326]- كما عبر عن ذلك في مقدمة ترجمته لمعاني القرآن.

موقع بيرك ضمن المنظومة الاستشراقية المعاصرة يعد متميزا بالمقارنة مع غيره من زملائه الذين يباشرون التهجم وتشويه الحقائق بصورة تصدم المشاعر وتقوض البداهات والمسلَّمات التي نؤمـــن بها.

رابعا: لعل من أبرز الأسباب والدواعي التي دفعتنا إلى اختيار عمل جاك بيرك : ما أحدثته ترجمته من صدى واسع عشية صدورها وبعد ذلك بسنوات، حيث تلقت مختلف وسائل الإعلام العربية والفرنسية خبر صدور الترجمة بكثير من الترحاب؛ نظرًا لشهرة الرجل وموقعه المتميز في منظومة الاستعراب والاستشراق، وقد ساهمت الخدمة الإعلامية المكثفة لحدث صدور ترجمة جاك بيرك في إشهارها وذيوع خبرها، وراحت كثير من صحفنا ومجلاتنا العربية تتسابق لإجراء حوار أو استجواب مع المترجِم الذي استغل الفرصة لإبداء كل مشاعـــر التقدير والاحترام تجاه القرآن الكريم متشدقا بكون ترجمتـــه تعد الأفضل والأحسن.[327]

والنسخة المعتمدة في هذا البحث هي الطبعة الثانية وقد أصدرتها دار Albin Michel سنة 1995 ضمن سلسلة Spiritualités vivantes رقم 194، وأضاف إليها المترجم حصيلة جهد دام أربع سنوات من المراجعة والتنقيح، ونوّه فيها بملاحظات كل من محمود العزب الأستاذ المحاضر بجامعة السربون وجامع الأزهر، وعبد الحميد شيران إمام ومفتي ليون، والكاتب السوري عبد السلام العجيلي.

3.2.1. ترجمة أندري شوراكي:

النشأة والتكوين:

هو ناثان أندري شوراكي Nathan André Chouraqui ولد بعين تيموشنت سنة 1917م من أبوين يهوديين. نشأ شوراكي في بيئة تعد ملتقى ثقافات عديدة (أصله اليهودي، نشأته المغاربية، تعلّمه في فرنسا، المناصب التي شغلها في الهيئات الدولية...إلخ). تحصل على شهادة الدكتوراه في القانون الدولي

[327]- حسن عزوزي : مرجع سابق.

http://www.qurancomplex.org/Display.asp?section=8&l=arb&f=wrong_trn2004&trans

العام سنة 1948م، كما تابع دراسات حاخامية في باريس. شغل شوراكي مناصب عدة كان أوّلها محاميا ثم قاضيا بمحكمة الاستئناف بالجزائر (1945م–1947م)، وكان عضوا بمحكمة المنظمة الصهيونية العالمية، وعضوا باللجنة التنفيذية للمؤتمر العالمي للأديان من أجل السلام.[328]

أهم مؤلفاته:

ترجم شوراكي: " الكتاب المقدس" و" العهد الجديد" إلى اللغة الفرنسية؛ بالإضافة إلى القرآن الكريم، وألّف كتبا عديدة ؛ نال بها جوائز أدبية كثيرة، نذكر منها:

- « Cent ans d'Histoire, l'Alliance israélite universelle et la renaissance juive contemporaine »
- « Les juifs d'Afrique du Nord »
- « Moïse »
- « L'Amour fort comme la Mort »
- « Jérusalem, ville sanctuaire »

ترجمته للقرآن الكريم: Le Coran : L'Appel

صدرت سنة 1990م عن منشورات Robert Laffont، وتندرج ضمن سلسلة ترجمات النصوص المقدسة (الكتاب المقدس والعهد الجديد) التي صدرت تباعا من 1972م إلى غاية 1990م.

وقد صدّرها بمقدمة تناول فيها مواضيع عدة منها: تاريخ ترجمة القرآن، ومكانته في حياة المسلمين، وترتيب المصحف وإعجاز القرآن، كما يعقد بعض المقارنات بين القرآن والكتب السماوية الأخرى (التوراة والإنجيل).

ونودّ هنا أن نشير إلى مسألتين مهمّتين:

[328] - http//www.andrechouraqui.com/biog/cv.htm accédé le 10/09/2010

الأولى: تتعلّق بعنوان الترجمة، والثانية: تُعنى بقضية الترابط بين سور القرآن التي أثارها شوراكي في مقدّمته.

- عنوان الترجمة (Le Coran : L'Appel) يثير الاستغراب والتساؤل عن سرّ ربط المترجم بين القرآن الكريم وبين النداء أو الدعوة. وقد برّر شوراكي هذه التسمية في مقدّمة ترجمته بأنّ القرآن رسالة شفوية (un message verbal) وأنّه لم يُكتب إلاّ بعد وفاة النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم–. ويرى أنّ معناه الأوّل هو معنى النداء، وأن الجذر " قرأ " معناه واحد في جميع اللغات السامية، في حين أنّ معنى " قرأ " في العبرية مثلاً: هو دعا، نادى، سمّى [329]؛ وهو غير معنى الفعل العربي " قرأ " الذي هو أصل اسم العلم " **القرآن**".[330]
- أمّا فيما يتعلّق بمسألة غياب الترابط بين سور القرآن، فقد قال شوراكي في مقدّمة الترجمة:

« Il (le Coran) est divisé en 114 sections (sourates) qui n'ont entre elles aucun lien logique ou chronologique ».[331]

«القرآن مقسم إلى مئة وأربعة عشر فصلا (سورة) لا يربط بينها رابط منطقي أو زمني».

وقوله هذا إنّما ينمّ عن قراءة سطحية للقرآن، ونظرة غير متمعنة؛ فقد بيّن المفسرون والذين ألّفوا في علوم القرآن أنّ سور القرآن بل حتّى أجزاءه وآياته مترابطة فيما بينها يكمّل بعضها بعضا ويبيّنه؛ ومن شأن هذه النظرة أن تؤثر سلبا في نوعية الترجمة.

[329]– العزب، محمود : إشكاليات ترجمة معاني القرآن الكريم. ط1. مصر: نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، 2006م ، ص 52.

[330]– القطان : ، مرجع سابق ، ص ص15،14.

[331] - Voir : http://coranix.org/200rem/resume_coran_roumila.htm. accédé le 10/09/2010.

2. المنهج المتّبع في الدراسة:

من أجل دراسة الإشكالية المطروحة في هذا البحث اتّبعنا المنهج الوصفي أساسا، إذ يسمح لنا باستيعاب جوانب أسلوب التقديم والتأخير وبيان خصائصه باعتباره ظاهرة لغوية. كما اعتمدنا على التحليل والمقارنة بوصفها أدوات منهجية تمكّن من الوقوف على دلالات التقديم والتأخير في القرآن الكريم من جهة، وعلى أساليب المترجمين في التعامل مع هذه الظاهرة من جهة أخرى. ويقودنا الحديث عن النص المترجم وعلاقته بالنص الأصلي إلى الحديث عن منهج تحليل الترجمة الذي يقوم على تقييم الترجمة بالنظر إلى النص الأصلي، لأنّه لا يمكن إهمال النص الأصلي أثناء دراسة الترجمات والاكتفاء بنقد النص في اللغة الهدف؛ تقول ك.رايس K.REISS:

« Jamais la critique d'une traduction ne doit s'appuyer de manière unilatérale et exclusive sur la version en langue-cible »[332].

«لا ينبغي لنقد الترجمة أن يعتمد اعتمادا أحاديا حصريا على النص المترجم إلى اللغة الهدف».

وذلك لأنّ:

« Si l'analyse et l'évaluation d'une version en langue –cible peut constituer un premier pas, ce premier pas doit impérativement être suivi d'un second : la comparaison avec le texte général »[333].

إذا كان تحليل الترجمة في اللغة الهدف ونقدها يمكن أن يشكّل الخطوة الأولى، فإنّ هذه الخطوة يجب أن تكون متبوعة بخطوة ثانية ألا وهي: مقارنة الترجمة بالنص الأصلي.

وأنسب طريقة على ما يبدو لنا أنّ على الباحث الذي يدرس ترجمة ما أن يتعامل معها بوصفها منتوجا (produit) وأن يقارن الترجمة بالنص الأصلي، وهو ما يعرف بالأنموذج المقارن

[332] - REISS, Katharina. la critique des traductions, ses possibilités et ses limites. traduit de l'Allemand par C.Boquet, coll. Traductologie. France : Artois Presses Université, 2002, p24.

[333] -Loc-cit.

(le modèle comparatif) الذي يقول فيه شيسترمان وويليامز A. Chestrman & J. Williams :

« The research task here is to discover the nature of similarity relation, with respect to given linguistic features ».[334]

تكمن مهمّة البحث في هذه الحال في استكشاف طبيعة علاقة التشابه بين النص الأصلي والنص المترجم، وفق جوانب لسانية معيّنة.

[334] - WILLIAMS, Jenny & CHESTERMAN, Andew. The Map : A Beginner's Guide to Doing Research in Translation Studies. Manchester: St Jerom Publishing, 2002, p51.

المبحث الثاني: تحليل ومقارنة الترجمات الثلاث:

- سورة الفاتحة الآية 2:

ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢		
حميد الله	جاك بيرك	شوراكي
Louange à Allah, Seigneur de l'univers[335]	**Louange à Dieu**, Seigneur des univers[336]	**La désirance d'Allah**, Rabb des univers,[337]

قال تعالى :﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ (الفاتحة:2).

وقال أيضا:﴿ فَلِلَّهِ ٱلْحَمْدُ رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَرَبِّ ٱلْأَرْضِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ (الجاثية:36)

- **Louange à Allah**, Seigneur des cieux et Seigneur de la terre: Seigneur de l'univers[338]
- **A Dieu la louange**, Seigneur des cieux, Seigneur de la terre, Seigneur des univers[339]
- **Désirance d'Allah**, le Rabb des ciels, le Rabb de la terre, le Rabb des univers[340]

في الآية الأولى (الحَمْدُ) مبتدأ و(لِلَّهِ) خبر، ولا يخفى أن تقديم المبتدأ على الخبر في هذه الآية قد جاء على الأصل، فهو خطاب للمؤمنين وتعليم لهم. أما في الآية الثانية فقد قدّم الجارو المجرور : (فَلِلَّهِ)– وهو الخبر– على (الحَمْدُ) المبتدأ ، والسبب المظنون في ذلك أنّ قوله تعال (فَلِلَّهِ الحَمْدُ) ورد على تقدير الجواب بعد إرغام المكذّب وقهره، ووقوع الأمر مطابقا لأخبار الرسل– عليهم السلام– وظهور ما كذّب الجاحدون به.

[335] - Hamidallah, Mouhammad. Le Noble Coran et la traduction en langue française de ses sens. op-cit. p 1.
[336]- Berque, Jacques. Le Coran, Essai de Traduction. op-cit. p 23.
[337]-Chouraqui, André. Le Coran : L'Appel En Ligne. op-cit. Sourate 1 http://nachouraqui.tripod.com/id16.htm accédé le 01/09/2011
[338]- Hamidallah : op-cit. p 502.
[339]- Jacque Berque : op-cit. p 534.
[340]- Chouraqui : op-cit. Sourate 45.

قال- تعالى- :﴿وَبَدَا لَهُمۡ سَيِّـَٔاتُ مَا عَمِلُواْ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسۡتَهۡزِءُونَ ﴿٣٣﴾ وَقِيلَ ٱلۡيَوۡمَ نَنسَىٰكُمۡ كَمَا نَسِيتُمۡ لِقَآءَ يَوۡمِكُمۡ هَٰذَا وَمَأۡوَىٰكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴿٣٤﴾ ذَٰلِكُم بِأَنَّكُمُ ٱتَّخَذۡتُمۡ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ هُزُوٗا وَغَرَّتۡكُمُ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَاۚ فَٱلۡيَوۡمَ لَا يُخۡرَجُونَ مِنۡهَا وَلَا هُمۡ يُسۡتَعۡتَبُونَ﴾ (الجاثية:33 -35)، وإنّما يكون ذلك في ساعة العرض عليه – سبحانه وتعالى- في يوم القيامة ووضوح الأمر يومئذٍ وزوال الشكوك ، فكأنه سيقال للمكذبين برسالات الأنبياء: لِمَن الحمدُ ، ومَن أهله ؟ فيرد الجواب : (فَلِلَّهِ الحَمْدُ). وفي تقديم الخبر على المبتدإ أيضا: تقريع للكفار والجاحدين وتعنيف لهم، يدل على ذلك قوله –تعالى- بعدئذٍ : (رب السماوات ورب الأرض رب العالمين)، ولعل في تكرار لفظ (الرَّبّ) مضافا ثلاث مرات ما يشهد لهذا المعنى من قصد تقريع الجاحدين[341].

نلاحظ من خلال الترجمات الثلاث اعتناؤها بتقديم المبتدإ على الخبر تمامًا كما جاء في الآية الكريمة:

- Louange à Allah.
- Louange à Dieu.
- La désirance d'Allah.

أمّا في الآية الثانية التي تقدم فيها الخبر (فَلِلَّهِ) على المبتدإ (الحَمْدُ)، نرى أنّ جاك بيرك اعتنى بهذا التقديم مراعاة للمعنى المقصود منه فقال:

- A Dieu la louange.

بينما نلاحظ من خلال ترجمتي كل من حميد الله و شوراكي عدم اعتنائهما بهذا التقديم حيث قدّما المبتدأ أوّلا :

- Louange à Allah.
- Désirance d'Allah.

[341]- الزركشي، بدر الدين محمد بن عبد الله : البرهان في علوم القرآن. تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم . ط1. القاهرة، 1958م ،ج3 ، ص284 .

- سورة الفاتحة الآية 5:

إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝		
حميد الله	جاك بيرك	شوراكي
C'est Toi(Seul) que nous adorons, et c'est Toi(Seul) dont nous implorons secours.[342]	**C'est Toi que nous adorons, Toi de qui le secours implorons.**[343]	**Toi, Toi, nous te servons, nous te sollicitons.**[344]

في هذه الآية الكريمة تقدّم المفعول به – الضمير– على الفعلين (نَعبُد) و(نَستَعِين) وهو: " إيَّا " عند جمهور النحاة[345]، دون " الكاف " اللاحقة التي اعتبروها حرف خطاب لا محل له من الإعراب [346]، وهو بمجموعه: المفعول به عند الكوفيين ، لأنّه اسم لديهم بصيغته الكلية.[347]

وتقديمه في الآية على الفعلين لغرض التخصيص، والمعنى: نخصُّك بالعبادة ونخصُّك بالاستعانة، لا نعبد أحداً إلاَّ إيَّاك، ولا نستعين أحداً إلاَّ إيَّاك.

ولو جرى تقديم الفعل على المفعول به وجيء بالمفعول ضميرًا متصلاً على جاري العادة بعد الفعل فقيل : " نَعْبُدَكَ " ، لما أفاد ذلك نفي عبادتهم لغيره[348]، ولذلك لم يقدم المفعول به في قوله تعالى:﴿ ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ﴾ (الفاتحة: 6) لئلا يفيد اختصاص الهداية بنا دون غيرنا، والمقصود الكلي للجملة كلها إنّما هو: نسألك الهداية لنا، لا قصر الهداية علينا.[349] وهذا من مظاهر الإعجاز في القرآن ، الذي جاءت فيه كل

[342] - Hamidallah : op-cit. p1.
[343] - Jacque Berque : op-cit. p23.
[344] - Chouraqui : op-cit. Sourate 1.

[345] – سيبويه : مرجع سابق ، ج1، ص279.
[346] – ابن يعيش النحوي : مرجع سابق ، ج3، ص98.
[347] – الزمخشري : مرجع سابق ، ج1، ص62.
[348] – الرازي، فخر الدين : التفسير الكبير. ط4. طهران ، 1413هـ ، ج1، ص247.
[349] – السامرائي، فاضل : معاني النحو. الموصل، 1987م ، ج2 ، ص509.

كلمة في موضعها كاللَّبنة في البناء ، بما يوحي بأن غيرها لا يصلح فيه ولو تقارب المعنى ، بحيث تتآلف الكلمات في القرآن الكريم « في اتساق حسن ، وتأليف بديع ، فتجيء الحقيقة محدودة واضحة صحيحة في ثوب أدبيّ جميل يوحي بالعظمة والتأمل ، ويضمن لهذه الحقيقة خلودها على مر الزمن» [350]، وتقديم المفعول به في الآية التي نحن بصددها لم يخلُ من مراعاة فاصلة الآية المنتهية قبلها بحرف النون ، فلو قيل: "نَعْبُدُكَ و نَسْتَعِينُكَ" لفات هذا المطلب الجميل ولذهبت – كما قال بعض البلاغيين– تلك الطلاوة ، وزال ذلك الحسن.

وإذا سأل سائل : لِمَ عَدَلَ – تعالى– من الغيبة إلى الخطاب في قوله : " إياك نعبد وإياك نستعين " ؟

أجيب: بأنّ ذلك لقصد الالتفات وهو: العدول من الغيبة إلى الخطاب ، أو من الخطاب إلى الغيبة ، أو من الغيبة إلى التكلم.[351]

نلاحظ من خلال ترجمَتَيْ كل من حميد الله وجاك بيرك استعمالها للعبارة (c'est…que) التي تفيد تخصيص الله – عزّ وجلّ– بالعبادة وطلب الإعانة منه، حيث وُفِّق المترجمان في نقل المعاني المقصودة من تقديم المفعول به على الفعل. أمّا بالنسبة لشوراكي فقد اكتفى باستعمال الضمير (Toi) ، إذ لا يعّد ذلك مكافئا مناسبا في المعنى مقارنة باستعمال العبارة « c'est…que ».

[350] – الزمخشري : مرجع سابق ، ج1، ص 62.

[351] – المكان نفسه.

- سورة البقرة الآية 3:

ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡغَيۡبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ **وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ** ۝٣		
حميد الله	جاك بيرك	شوراكي
Qui croient à l'invisible et accomplissent comme il faut la Salat **et dépensent (dans l'obéissance à Allah), de ce que Nous leur avons attribué.**[352]	Ils croient au mystère, accomplissent la prière, **font dépense sur Notre attribution**[353]	ceux qui adhèrent au mystère, élèvent la prière **et prodiguent ce dont nous les pourvoyons.**[354]

تقديم الجار والمجرور على الفعل المسند:

في هذه الآية تقديم الجار والمجرور (مِمَّا) مع جملة صلة الموصول التي تتبعها على فعل الإنفاق ، وقد وردت هذه الآية في سياق ذكر المتّقين فكان للتقديم الذي أشرنا إليه فوائد عظيمة منها :

الإرشاد إلى عدم الإسراف في إنفاق الأموال بقرينة (مِنْ) التبعيضية[355] ؛ كما أن في تقديم التركيب الفعلي (رَزَقْنَاهُمْ) بعد حرف الجر على التركيب الفعلي (يُنْفِقُونَ) إفادة اختصاص بعض المال الحلال بالتصدق به والإنفاق منه[356]. كذلك في إسناد الرزق إلى ضمير الباري – عز وجل– الإعلام بأنهم ينفقون الحلال الذي يستأهل أن يُضاف إلى الله بوصفه رزقاً منه [357]، فضلاً عمّا في الإسناد المذكور من التعظيم والتحريض على الإنفاق.[358] أما رعاية فاصلة النون فواضحة.

نلاحظ من خلال الترجمات الثلاث عدم العناية بأمر تقديم الجار والمجرور مع جملة صلة الموصول (مِمَّا رَزَقْنَاهُم) على الفعل المسند (يُنْفِقُون)، إذ تمّت ترجمة الفعل أوّلا:

- Dépensent.

[352] - Hamidallah : op-cit. p3.
[353] - Jacque Berque : op-cit. p26.
[354] - Chouraqui : op-cit. Sourate 2.

[355] – الزمخشري : مرجع سابق ، ج1، ص 132.
[356] – الرازي : مرجع سابق ، ج1، ص 31.
[357] – الزمخشري : مرجع سابق ، ج1، ص 132.
[358] – العمادي، أبو السعود محمد بن محمد : إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم. القاهرة، د .ت ، ج1، ص 25 .

- font dépense.
- prodiguent.

وهنا ضاعت من خلال الترجمة المعاني المقصودة من تقديم الجار والمجرور على الفعل المسند.

- سورة البقرة الآية 4:

وَٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبۡلِكَ **وَبِٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ يُوقِنُونَ** ۝٤		
حميد الله	جاك بيرك	شوراكي
« Ceux qui croit à ce qui t'a été descendu (révéler) et à ce qui a été descendu avant toi **et qui croit fermement à la vie future »**[359]	Ils croient à la descente sur toi opérée, à celle avant toi opérée ; **ils ont certitude, eux, de la vie dernière.**[360]	Ils adhèrent à ce qui est descendu vers toi, et descendu avant toi, **dans la certitude de l'Autre monde.**[361]

في هذه الآية؛ في مقام الكلام على المتقين الذين ذكرهم الله – تعالى– في مفتتح سورة البقرة بقوله:

﴿الٓمٓ ۝١ ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ هُدٗى لِّلۡمُتَّقِينَ ۝٢ ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡغَيۡبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ۝٣ وَٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبۡلِكَ وَبِٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ يُوقِنُونَ﴾ (البقرة:1–4)

جرى تقديم الجار والمجرور (بِالآخِرَةِ) على المبتدإ (هُمْ) ليفيد أنّ المؤمنين المتقين هم أهل اليقين المختصون به ، وأنّ إيقانهم ذاك محصور على حقيقة الآخرة لا يتعدّاها إلى خلاف حقيقتها ، وكأنّ غيرهم ليس من أصحاب اليقين ، وهذا تعريض بأهل الكتاب ، قال الزمخشري : « وفي تقديم الآخرة وبناء (يُوقِنُونَ) على (هُمْ) تعريضٌ بأهل الكتاب ، وبما كانوا عليه من إثبات أمر الآخرة على خلاف حقيقته ، وأنَّ قولهم ليس صادراً عن إيقان ، وأنّ اليقين ما عليه مَنْ آمَنَ بما أُنزل إليك وما أُنزل من قبلك».[362]

[359]- Hamidallah : op-cit. p2.
[360]- Jacque Berque : op-cit. p26.
[361]- Chouraqui : op-cit. Sourate2.

[362] – الزمخشري : مرجع سابق ، ج1، ص137.

نلاحظ من خلال ترجمتي كلّ من حميد الله وجاك بيرك تقديم الفعل (يُوقِنُونَ) على الجار والمجرور(بِالآخِرَةِ) والضمير المسند إليه (هُمْ): (croit/ ont certitude) على التوالي، ثم نجد حميد الله يضع اسم الموصول (qui) مقابلا للضمير (هُمْ)، بينما يضع جاك بيرك مقابلا له الضمير الشخصي(eux). أمّا شوراكي فقد جعل مقابل الفعل (يُوقِنُونَ) الاسم (certitude) ولم يذكر مقابلا للمسند إليه (هُمْ).

ونرى من خلال الترجمات عدم الاهتمام بأمر الجار والمجرور (بِالآخِرَةِ) الذي ورد متأخرًا في الترجمات الثلاث.

- سورة البقرة الآية 10:

فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضًا ۖ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمُۢ بِمَا كَانُواْ يَكۡذِبُونَ ﴿١٠﴾		
حميد الله	جاك بيرك	شوراكي
« **Il y a dans leur cœurs une maladie (de doute et d'hypocrisie)**, et Allah fait croître leur maladie. Ils auront un châtiment douloureux, A cause de ce qu'ils mentaient ».[363]	**Ils y avait une maladie dans leur cœur** : Dieu les grandit en maladie ; il leur revient un châtiment douloureux, à la mesure de leur mensonge ![364]	**À la maladie de leur cœur**, Allah ajoute une maladie, le supplice terrible qu'ils nient.[365]

وقد وقع في قوله- تعالى- :﴿ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضًا ۖ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمُۢ بِمَا كَانُواْ يَكۡذِبُونَ﴾ (البقرة:10) تقديم للخبر على المبتدإ كذلك ، ففي سياق الكلام على المنافقين في عهد الرسول- صلى الله عليه وسلم- الذين كانوا يبطنون الكفر والبغض له وللمؤمنين خلافا لِمَا يظهرون من الإيمان،

[363]- Hamidallah : op-cit. p3.
[364]- Jacque Berque : op-cit. p27.
[365]-Chouraqui : op-cit. Sourate2.

جاءت هذه الآية مسبوقة بقوله- سبحانه وتعالى- في وصف أولئك :﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ ۝ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴾ (البقرة:8-9) وتلاها قوله- تعالى- :﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُواْ فِى ٱلْأَرْضِ قَالُوٓاْ إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ۝ أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلْمُفْسِدُونَ وَلَٰكِن لَّا يَشْعُرُونَ ﴾ (البقرة:11-12) قبل أن تستمر الآيات في وصفهم حتى الآية العشرين من السورة، ولمّا كان المنافق يومئذٍ الشّاك المتحير[366] في أمر الإسلام ، وفي ما جاء به الرسول- صلى الله عليه وسلم- من عند الله ، والمُضْمِر خلاف ما يُبْطِن[367]، فقدت وصفت الفئة كلها في سياق الآيات المذكورة بما في قلوبهم من الخداع وعدم الإيمان ، وجرى في أثناء ذلك تقديم (فِي قُلُوبِهِم) خبراً على المبتدإ (مَرَضٌ) لأنّه الأولى بالاهتمام في تشكيل صورة الوصف ، والمرض الذي ذكره الله- عز وجل- في اعتقاد قلوبهم هو شكهم في أمر الرسول- صلى الله عليه وسلم- وما جاء به وتحيُّرهم فيه ، فهم كما وصفهم الله- عز وجل- مذبذبون بين ذلك.[368]

نلاحظ من خلال ترجمتي كلّ من جاك بيرك و شوراكي عدم العناية بتقديم الخبر(فِي قُلُوبِهِم) على المبتدإ (مَرَضٌ)، إذ جاء هذا الخبر متأخّرًا (dans leur cœur/ de leur cœur) ، في حين وُفِّق حُميد الله في العناية بأمر الخبر المتقدّم في الآية الكريمة، فبدأ به أوّلاً (Il ya dans leur cœur).

[366]- الطبري، أبوجعفر محمد بن جرير : جامع البيان عن تأويل آي القرآن. تحقيق عبد الله بن عبد المحسن التركي، بالتعاون مع مركز البحوث والدراسات العربية والاسلامية. ط1. القاهرة: دار هجر،2001م ،ج1، ص ص 120، 121.

[367] - ابن منظور : لسان العرب ، مرجع سابق ، مادة : نفق ، ج10، ص159 .

[368] - الطبري : مرجع سابق ، ج1، ص 121 .

- سورة البقرة الآية 30:

وَإِذۡ قَالَ رَبُّكَ لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ **فِي ٱلۡأَرۡضِ خَلِيفَةٗ**		
حميد الله	جاك بيرك	شوراكي
« Lorsque Ton Seigneur confia aux anges: « **Je vais établir sur la terre un vicaire « Khalifa** ».[369]	Lors ton Seigneur dit aux anges : « **Je vais instituer un lieutenant sur la terre** ».[370]	Quand ton Rabb a dit aux Messagers: « Me voici, **je mettrai sur terre un calife** »,[371]

تقديم المفعول المعتنىَ به على نظيره الصالح للتقديم :

تقديم المفعول الثاني على الأول :

من أمثلة ذلك قوله– تعالى– في سورة البقرة :﴿ وَإِذۡ قَالَ رَبُّكَ لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلۡأَرۡضِ خَلِيفَةٗ قَالُوٓاْ أَتَجۡعَلُ فِيهَا مَن يُفۡسِدُ فِيهَا وَيَسۡفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحۡنُ نُسَبِّحُ بِحَمۡدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَۖ قَالَ إِنِّيٓ أَعۡلَمُ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ﴾ (البقرة:30) ، ففيه تقديم للجار والمجرور(فِي الأَرْضِ) وهو في موضع المفعول الثاني،على (خَلِيفَةً) المفعول الأول، لأنّ اسم الفاعل (جَاعِلٌ) المفيد للصيرورة يتعدى كفعله الثلاثي إلى مفعولين [372]، والخَلِيفَة : مَنْ يَخْلِفُ غيرَه في الحكم ، وآدم– عليه السلام– كان خليفة الله في الأرض [373]؛ ولعل السبب في تقديم المفعول الثاني على الأول في هذه الآية هو العناية به ، وذلك أنّ الله– عز وجل– أخبر الملائكة بأنه سيجعل آدم– عليه السلام– وذرّيته خلائفه في الأرض ؛ فقالوا:﴿ أَتَجۡعَلُ فِيهَا ﴾ (البقرة:30) وذلك على وجه الاستخبار منهم والاستعلام عن وجه المصلحة والحكمة، لا على وجه الإنكار، كأنّهم قالوا : إن كان

[369]- Hamidallah : op-cit. p6.
[370]- Jacque Berque : op-cit. p29.
[371]- Chouraqui : op-cit. Sourate2.

[372] – الزمخشري : مرجع سابق ، ج1، ص271 .

[373] – الطوسي، أبو جعفر محمد بن حسن بن علي : التبيان في تفسير القرآن. تحقيق أحمد حبيب قصير العاملي. النجف الأشرف، د.ت ،ج1، ص 133.

هذا كما ظننّا فعرّفنا وجه الحكمة فيه.[374] وما كان استخبار الملائكة بسبب فكرة جعل الخليفة بحدّ ذاته ، بل بجعله في الأرض ، لأنّهم كانوا يعلمون بإلهام من الله أنّ ذريته يفسدون في الأرض ويسفكون الدماء، فلذلك –كما قيل– قدّم ذكر الأرض على الخليفة.[375]

نلاحظ من خلال ترجمة جاك بيرك عدم العناية بأمر المفعول الثاني(فِي الأَرْضِ) الذي جاء متقدّمًا في الآية الكريمة على المفعول الأوّل (خَلِيفَة)، فأورد في ترجمته (خَلِيفَة) أوّلاً:

(un lieutenant sur la terre)، بينما وُفّق حميد الله و شوراكي في الاعتناء بالمفعول الثاني (فِي الأَرْضِ) فذكراه أوّلاً: (« khalifa » sur la terre un vicaire), (sur terre un calife) .

- سورة البقرة الآية 48:

وَٱتَّقُواْ يَوۡمٗا لَّا تَجۡزِي نَفۡسٌ عَن نَّفۡسٖ شَيۡـٔٗا وَلَا يُقۡبَلُ مِنۡهَا شَفَٰعَةٞ وَلَا يُؤۡخَذُ مِنۡهَا عَدۡلٞ **وَلَا هُمۡ يُنصَرُونَ** ﴿٤٨﴾		
حميد الله	جاك بيرك	شوراكي
« Et redoutez le jour où nulle âme ne suffira en quoi que ce soit à une autre ; où l'on n'acceptera d'elle aucune intercession ; et où on ne recevra d'elle aucune compensation. **Et ils ne seront point secourus** ».[376]	Prémunissez-vous contre le Jour où nulle âme ne paiera rançon pour aucune autre, où nulle intercession ne sera acceptée d'elle, nulle compensation reçue, **non plus qu'ils ne trouveront, eux, de secourant.**[377]	Frémissez du jour où personne ne subrogera personne, où nulle intercession ne sera reçue, nulle compensation admise, **nul n'étant secouru**.[378]

في هذه الآية الكريمة تمّ تقديم المسند إليه في قوله: "وَلاَ هُمْ يُنْصَرُون" لزيادة التأكيد المفيد أنَّ انتفاء نصرهم محقق، فضلاً عما استُفيد من نفي الفعل، وإسناده للمجهول.[379]

[374] – الطوسي: مرجع سابق ، ج1، ص 133.
[375] – العمادي : مرجع سابق ، ج1، ص 65 .

[376]- Hamidallah : op-cit. p7.
[377]- Jacque Berque : op-cit. p31.
[378]- Chouraqui : op-cit. Sourate2.

يبدو من خلال الترجمات الثلاث اعتناؤها بتقديم المسند إليه (هم)، فنجد أنّ كلاّ من حميد الله وجاك بيرك استخدما ضميرا شخصيا فاعلا (« ils » un pronom personnel sujet) في مقابل ضمير الرفع المنفصل (هم).

أمّا بالنسبة لشوراكي نرى اعتماده على صيغة النفي (nul) إضافة إلى صيغة اسم الفاعل في المبني للمجهول (le mode participe « présent » à la voix passive).

فتحقّقت بذلك المعاني المقصودة من تقديم المسند إليه في الآية الكريمة.

- سورة البقرة الآية 49:

وَإِذۡ نَجَّيۡنَٰكُم مِّنۡ ءَالِ فِرۡعَوۡنَ يَسُومُونَكُمۡ سُوٓءَ ٱلۡعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبۡنَآءَكُمۡ وَيَسۡتَحۡيُونَ نِسَآءَكُمۡۚ وَفِي ذَٰلِكُم بَلَآءٞ مِّن رَّبِّكُمۡ عَظِيمٞ ﴿٤٩﴾		
حميد الله	جاك بيرك	شوراكي
« Et (rappelez-vous), lorsque Nous vous avons délivrés des gens de Pharaon, qui vous infligeaient le pire châtiment : en égorgeant vos fils et épargnant vos femmes. **C'était là une grande épreuve de la part de votre Seigneur** ».[380]	Lors, Je vous sauvai du people de Pharaon qui vous imposait les pires tourments : il égorgeait vos fils, épargnant vos femmes : **en quoi il y avait rude épreuve venue à vous de votre Seigneur.**[381]	Quand nous vous avons délivrés de la gent de Pharaon, ils vous infligeaient les maux du supplice. Ils faisaient égorger vos fils, laissant survivre vos femmes: **c'était l'épreuve grandiose de votre Rabb.**[382]

تقديم الجار والمجرور على الصفة:

[379]– انظر : شيخون، محمود السيد : أسرار التقديم والتأخير في لغة القرآن الكريم. ط1. القاهرة: مكتبة الكليات الأزهرية ، 1983م، ص4 .

[380]- Hamidallah : op-cit. p8.

[381]- Jacque Berque : op-cit. p31.

[382]- Chouraqui : op-cit. Sourate2.

نلاحظ من خلال الترجمات الثلاث أنّ صفة البلاء "عظيم" تقدّمت، بينما تأخّرت في الآية القرآنية، وقد أفاد تقديم الجار والمجرور(مِنْ رَبِّكُمْ) في الآية إلى أنّ هذا البلاء من ربّهم ولن يكشفه إلاّ هو فتتعلّق القلوب به، ولذا قُدم للاهتمام ليس بصفة البلاء وإنّما لمصدر البلاء، وقد اختفى ذلك المعنى من الترجمات الثلاث: (une grande épreuve/ rude épreuve/ l'épreuve grandiose) على التوالي، فصار الاهتمام لصفة البلاء وليس للمنسوب إليه (مِنْ رَبِّكُم).

- سورة البقرة الآية 87:

وَءَاتَيْنَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَيَّدْنَٰهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ ۗ أَفَكُلَّمَا جَآءَكُمْ رَسُولٌۢ بِمَا لَا تَهْوَىٰٓ أَنفُسُكُمُ ٱسْتَكْبَرْتُمْ **فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ** ﴿٨٧﴾		
حميد الله	جاك بيرك	شوراكي
Et Nous avons donné des preuves à Jésus fils de Marie, et Nous l'avons renforcé du Saint-Esprit. Est-ce qu'à chaque fois, qu'un Messager vous apportait des vérités contraires à vos souhaits vous vous enfliez d'orgueil ? **Vous traitiez les uns d'imposteurs et vous tuiez les autres** ».[383]	Nous avons muni de preuves Jésus fils de Marie et l'avons conforté de l'Esprit de sainteté. Mais, n'est-ce pas, chaque fois qu'un envoyé est venu contrarier vos passions, **votre orgueil démentit les uns et mit à mort les autres**.[384]	Nous avons donné à 'Issa, fils de Mariyam, les preuves, le soutenant par le souffle sacré. Or chaque fois qu'un Envoyé vous a apporté ce que vos êtres ne désiraient pas, vous vous êtes enflés, **traitant certains d'entre eux de menteurs, et, certains, en les tuant**.[385]

ومن تقديم المفعول به على الفعل أيضاً قوله- تعالى- في سورة البقرة:﴿فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ﴾ (البقرة: 87) ، فقد قدّم (فَرِيقاً) المفعول به في الموضعين للاهتمام به، لأن السياق في الكلام على الأنبياء وإرسالهم فرقاً متتابعين، قال- تعالى- :﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَقَفَّيْنَا مِنۢ بَعْدِهِۦ بِٱلرُّسُلِ ۖ وَءَاتَيْنَا

[383]- Hamidallah : op-cit. p13.
[384]- Jacque Berque : op-cit. p37.
[385]- Chouraqui : op-cit. Sourate2.

عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَيَّدْنَٰهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ ۗ أَفَكُلَّمَا جَآءَكُمْ رَسُولٌۢ بِمَا لَا تَهْوَىٰٓ أَنفُسُكُمُ ٱسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ﴾ (البقرة:87) ، وهذا خطاب لبني إسرائيل الذين كانوا كلما جاءهم رسول من عند الله استكبروا عليه، تجبرًا وبَغْيًا فكذبوا بعضًا من الرسل وقتلوا بعضًا. [386] وممَّا يتصل بدلالتها الكلية هنا؛ السؤال عن: سبب المجيء بفعل القتل (تَقْتُلُون) مضارعًا بعد أن كان فعل التكذيب ماضيًا فيقال: (وفَرِيقًا قَتَلْتُمْ)؟ والجواب: أنّ المراد بذلك الحال الماضية، فلما كان قتل الأنبياء أمرًا فظيعًا ، كان المظنون إرادة استحضاره في النفوس، وتصويره في القلوب، وكأنّه ملتبس به في ساعة التبكيت ومشروع فيه[387]، ولأنّ مشركي مكة كانوا يَرُومُون قتل رسول الله- صلى الله عليه وسلم- ، فكان الإتيان بفعل القتل في الآية مستقْبَلاً تنبيهاً على أنّ فعلهم سيكون كعادة أولئك في قتل أنبيائهم.[388] وما أمر مراعاة الفاصلة بخافٍ عنَّا في هذه الآية أيضاً.[389]

يبدو لنا من خلال ترجمة حميد الله اعتناؤه بتقديم المفعول به (فَرِيقًا) على الفعل (كَذَّبْتُمْ)، فجاءت ترجمته (vous traitiez les uns d'imposateurs)؛ ولكنّه لم يعتني بتقديم المفعول به (فَرِيقًا) في الجملة الثانية (وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ)، فجاءت ترجمته (et vous tuiez les autres).

أمّا بالنسبة لترجمة جاك بيرك فلم نلاحظ تقديم المفعول به (فَرِيقًا)، إذ جاء متأخرًا في الجملتين.

وبالنسبة لشوراكي فقد وُفِّق في تقديم المفعول به في كلتا الجملتين، حيث جعل مقابلاً له في الجملة الأولى (certains d'entre eux) وفي الجملة الثانية (certains) .

386 – الطبري : مرجع سابق ، ج1، ص406.

387 – الزمخشري : مرجع سابق ، ج1، ص295.

388 – المكان نفسه.

389 – الأنباري كمال الدين أبو البركات، عبد الرحمن بن محمد : البيان في غريب إعراب القرآن. تحقيق طه عبد الحميد طه، مراجعة مصطفى السقا. القاهرة، 1969م، ج1، ص 106.

- سورة البقرة الآية 94:

قُلۡ **إِن كَانَتۡ لَكُمُ ٱلدَّارُ ٱلۡأٓخِرَةُ** عِندَ ٱللَّهِ خَالِصَةً مِّن دُونِ ٱلنَّاسِ فَتَمَنَّوُاْ ٱلۡمَوۡتَ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ﴿٩٤﴾		
حميد الله	جاك بيرك	شوراكي
Dis: « **Si l'Ultime demeure auprès d'Allah est pour vous** seuls, à l'exclusion des autres gens, souhaitez donc la mort (immédiate) si vous êtes véridiques! »[390]	Dis : « **S'il est vrai que la demeure dernière auprès de Dieu vous soit réservée** à l'exclusion d'autrui, soupirez après la mort, pour autant que vous soyez véridiques »[391]	Dis: « **Selon vous, l'Autre Demeure, chez Allah, est hors de l'atteinte des hommes**. Souhaitez donc la mort, si vous êtes sincères. »[392]

من أمثلة ذلك قوله - تعالى- في سورة البقرة:﴿قُلۡ إِن كَانَتۡ لَكُمُ ٱلدَّارُ ٱلۡأٓخِرَةُ عِندَ ٱللَّهِ خَالِصَةً مِّن دُونِ ٱلنَّاسِ فَتَمَنَّوُاْ ٱلۡمَوۡتَ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ﴾ (البقرة:94) ، فقد قدّم الجار والمجرور (لَكُمُ) وهو خبر (كان) – الفعل الناقص– على (الدَّارُ الآخِرَةُ) الواقعة في السياق اسما لِـ (كان) ، وقد وردت هذه الآية ردًّا على اليهود الذين ادَّعوا أنّ الجنة لهم دون غيرهم من الناس[393]، قال– تعالى–:﴿وَقَالُواْ لَن يَدۡخُلَ ٱلۡجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوۡ نَصَٰرَىٰۗ تِلۡكَ أَمَانِيُّهُمۡۗ قُلۡ هَاتُواْ بُرۡهَٰنَكُمۡ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ﴾ (البقرة:111) ، فأراد سبحانه أن يقيم الحجة عليهم ويكشف بطلان ما ادّعوه ، بطلبه منهم أن يتمنوا الموت ، لأن من أيقن أنه من أهل الجنة سارع إلى الوصول إليها والتخلص من الدار الدنيا ، قال الفخر الرازي (ت606ه): « وبيان هذه الملازمة أنّ نعم الدنيا قليلة حقيرة بالقياس إلى نعم الآخرة ، ثمّ إنّ نِعم الدنيا على قلتها كانت

[390] - Hamidallah : op-cit. p15.
[391]- Jacque Berque : op-cit. p38.
[392]- Chouraqui : op-cit. Sourate2.

[393] – انظر: الطبري : مرجع سابق ، ج1، ص 424.

منغصة عليهم بسبب ظهور محمد- صلى الله عليه وسلم- ومنازعته معهم بالجدال والقتال ، ومن كان في النعم القليلة المنغصة ثم؛ إن تيقن أنه بعد الموت لا بدّ وأن ينتقل إلى تلك النعم العظيمة فإنه لا بدّ وأن يكون راغبا في الموت ، لأنّ تلك النعم العظيمة مطلوبة ولا سبيل إليها إلاّ بالموت ، وما يتوقف عليه المطلوب وجب أن يكون مطلوبا».[394]

والسبب في تقديم خبر الفعل الناقص في الآية على اسمه هو أنّ اليهود- كما ذكرنا- كانوا يعتقدون أنّ الجنة لهم دون غيرهم ، فقدّم الخبر في خطابهم للعناية بهم في معرض إقامته- عز وجل- الحجة عليهم ولذلك قال- سبحانه وتعالى- بعد ذلك:﴿ وَلَن يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًۢا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْۗ وَٱللَّهُ عَلِيمُۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ﴾ (البقرة:95) ، نافياً تمنيهم الموت بـ(لَنْ) القاطعة الباتَّة.[395]

يبدو من خلال ترجمتي كُلّ من حميد الله وجاك بيرك استعمالهما لجملة الشرط التي تبدأ بالأداة (si)، ولكنّهما لم يعتنيا بتقديم الجار والمجرور(لَكُمُ) ، حيث قاما بتقديم اسم كان (الدَّارُ الآخِرَةُ) في ترجمة معنى الآية الكريمة:

(si l'Ultime demeure/ s'il est vrai que la demeure dernière) على التوالي.

أمّا بالنسبة لترجمة شوراكي فقد غاب عنها أسلوب الشرط، ولكن يبدو من خلال ترجمته اعتناؤه بالجار والمجرور (لَكُمُ) حيث ورد متقدّمًا على اسم كان (الدَّارُ الآخِرَةُ) فجاء كالأتي: (...selon vous).

[394] – الرازي : مرجع سابق ، ج3، ص 189.

[395] – سلطاني، محمد علي : الأدوات النحوية ومعانيها في القرآن الكريم. ط1. الكويت، 1979م، ص60.

- سورة البقرة الآية 124:

وَإِذِ ٱبۡتَلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٖ فَأَتَمَّهُنَّۖ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامٗاۖ قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِيۖ قَالَ لَا يَنَالُ عَهۡدِي ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٢٤﴾		
حميد الله	جاك بيرك	شوراكي
« (Et rappelle-toi,) **quand ton Seigneur eut éprouvé Abraham par certains commandements**, et qu'il les eut accomplis, le Seigneur lui dit : « **Je vais faire de toi un exemple à suivre pour les gens** ». – « Et parmi ma descendance » ? demande-t-il. –« Mon engagement, dit Allah, ne s'applique pas aux injustes ».[396]	**Lors Abraham, son Seigneur l'éprouva par des paroles**, auxquelles Abraham satisfit totalement. « Moi, dit Dieu, **Je t'institue en modèle pour les hommes**. -Et qui d'autre parmi ma descendance ? , demanda Abraham. –Mon pacte, dit Dieu, ne s'étend pas aux injustes ».[397]	**Quand son Rabb éprouve Ibrâhim par des paroles** et qu'il les accomplit, Il dit: « **Je t'institue Imâm des humains**. » Ibrâhim dit: « Et ma postérité ? » Il dit: « Ma promesse ne concerne pas les fraudeurs. »[398]

قال– تعالى– في سورة البقرة:﴿ وَإِذِ ٱبۡتَلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٖ فَأَتَمَّهُنَّۖ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامٗاۖ قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِيۖ قَالَ لَا يَنَالُ عَهۡدِي ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ (البقرة:124)، والابْتِلاَء: الاختبار، يقال: " أَبْلَيْتُ فُلاَنًا ابْتَلَيْتُهُ ابْتِلاَءً " [399]، وكان ابتلاء الله إبراهيم– عليه السلام– اختباره بما تدل عليه الكلمات من العبادات ، وكان بامتثال ذلك قد أتمّ ما يلزمه.[400] وفي تقديم اسم إبراهيم– عليه السلام– ما يدل على تشريف قدره وقُرب منزلته من الله – تعالى– ، وقد ذكر النحويون أن المفعول به واجب التقديم في هذا الموضع لأنّ

[396]- Hamidallah : op-cit. p19.
[397]- Jacque Berque : op-cit. p42.
[398]- Chouraqui : op-cit. Sourate2.

[399] – سلطاني، محمد علي : مرجع سابق ، ج 1، ص 524.

[400] – الأسد آبادي، القاضي عبد الجبار بن أحمد : تنزيه القرآن عن المطاعن. القاهرة ، 1329هـ ، ص31 .

تأخيره يوجب إضماراً قبل الذكر ، فلو قيل: " وإذ ابْتَلَى ربُّهُ إبراهيمَ " لعاد الضمير المتصل بالفاعل على المفعول ، وهو متأخر لفظاً ورتبة ، وهذا غير جائز.[401]

نلاحظ من خلال ترجمة حميد الله عدم العناية بتقديم المفعول به (إِبْرَاهِيم) حيث جاء متأخرًا، فقال: (ton Seigneur eut éprouvé Abraham) ، وهذا ما جعل المترجم يعتمد على ضمير المخاطب (ton) بدل ضمير الغائب(son)، وذلك مراعاة لعدم التغيير في المعنى، فلو قال: (quand son Seigneur eut éprouvé Abraham) لم يتّضح على من يعود ضمير الملكية (son) في الآية الكريمة. كما نلاحظ ذلك في ترجمة شوراكي (quand son Rabb) حيث لم يعتني بأمر المفعول به المقدّم (إبراهيم).

في حين نرى أنّ جاك بيرك وُفّق في العناية بتقديم المفعول به (إبراهيم)، فقال: (Lors Abraham) واعتمد على الضمير(son) الذي يعود على (إبراهيم).

كما نلاحظ أيضا من خلال الترجمات الثلاث عدم عنايتها بتقديم الجار والمجرور (لِلنَّاسِ) على المفعول به (إِمَامًا)، حيث ورد متأخرًا في جميعها.

المعنى بعد الترجمة في الفرنسية صار : " وإذ ربك ابتلى إبراهيم بكلمات فأتمّهن، قال إني جاعلك إماما للناس. قال ومن ذريتي، قال: عهدي لا يناله الظالمون. لقد أدى تقديم الفاعل (رَبُّهُ) على مفعوله (إِبْرَاهِيمَ) في الترجمة إلى تغيير المعنى ، حيث قُدم (إِبْراهِيمَ) لبيان قصته والإعلام بخبره وما كان منه؛ فهو محور الحديث ، ولهذا بُدِئ به في الذكر ، كما أن تقديم (لِلنَّاسِ) على (إِمَامًا) لإثبات فضله على كل أهل زمانه، بينما فُقد هذا المعنى في الترجمة، فلم يظهر منه إلا أنه سوف يكون إماما للناس.

[401] – الزجاج، أبو إسحاق إبراهيم بن سهل النحوي : إعراب القرآن. تحقيق إبراهيم الأبياري،القاهرة ، 1963م، ج 2، ص 676 .

- سورة البقرة الآية 136:

قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ وَمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِيَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمۡ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّنۡهُمۡ **وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ** ﴿١٣٦﴾		
حميد الله	جاك بيرك	شوراكي
Dites : « Nous croyons en Allah et en ce qu'on nous a révélé, et en ce qu'on a fait descendre vers Abraham et Ismaël et Isaac et Jacob et les tribus, et en ce qui a été donné à Moise et Jésus, et en ce qui a été donné aux prophètes, venant de leur Seigneur : nous ne faisons aucune distinction entre eux. **Et à Lui nous sommes soumis** »[402]	Dites : « Nous croyons en Dieu et en ce qui est descend sur nous, en ce qui est descend sur Abraham, Ismaël, Isaac, Jacob, les Lignages, en ce qui fut donné à Moise, à Jésus, fut donné aux prophètes de la part de leur Seigneur. De tous ceux-là nous ne séparons pan un seul, puisque **c'est à Lui que nous nous soumettons** ».[403]	Dites: « Nous adhérerons à Allah, à ce qui est descendu vers nous, et descendu sur Ibrâhim, Ismâ'îl, Is'hâq, Ya'qûb et les tribus, donné à Mûssa et à 'Issa, donné aux Nabis de leur Rabb. Nous n'écartons aucun d'entre eux, **nous sommes pacifiés en Lui**.[404]

تقديم الجار والمجرور على الخبر المسند :

منه قوله –تعالى– في سورة البقرة:﴿ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ ﴾ (البقرة: 136) ، وهذا خطاب من الله – تعالى– موجّه للمسلمين عامّة بالانقياد لأوامره ولزوم طاعته[405]، فقد جعل سبحانه وتعالى إسلامهم لأجله لا لأجل أهوائهم[406]، فقال – تعالى– :﴿ قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ وَمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِيَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمۡ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّنۡهُمۡ وَنَحۡنُ لَهُۥ

[402]- Hamidallah : op-cit. p21.
[403]- Jacque Berque : op-cit. p44.
[404]- Chouraqui : op-cit. Sourate2.

[405] – الطبري : مرجع سابق ، ج 1، ص 567.
[406] – الرازي : مرجع سابق ، ج 1، ص 567.

مُسْلِمُونَ﴾ (البقرة:136) ؛ قدّم الجار والمجرور (لَهُ) على خبر المبتدإ (مُسْلِمُونَ) لاختصاصهم بالإسلام ، والمراد : نحن مسلمون له لا لغيره.

يبدو من خلال ترجمتي كلّ من حميد الله وشوراكي عنايتهما بتقديم الجار والمجرور (لَهُ) على الخبر المسند (مُسْلِمُون)، فقال: (Et à lui) ، لكن نرى أنّ جاك بيرك قد وفّق في اختيار صيغة التخصيص المناسبة(c'est…que) فقال: (c'est à lui que) حيث عبّرت بدقّة تامّة عن سرّ تقديم الجار والمجرور وهو التخصيص.

أمّا بالنسبة لترجمة شوراكي فنرى عدم العناية بأمر التقديم، حيث جاء الجار والمجرور في نهاية ترجمته لمعنى الآية الكريمة، فقال: (nous sommes pacifiés en Lui).

- سورة البقرة الآية 172:

يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَـٰتِ مَا رَزَقْنَـٰكُمْ وَٱشْكُرُواْ لِلَّهِ **إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ** ﴿١٧٢﴾		
حميد الله	جاك بيرك	شوراكي
Ô les croyants ! Mangez des (nourritures) licites que Nous vous avons attribuées. Et remerciez Allah, **si c'est Lui que vous adorez.**[407]	Vous qui croyez, mangez des choses bonnes que Nous vous attribuons. Soyez-Lui reconnaissants, **pour autant que vous soyez de Ses adorateurs**[408]	Ohé, ceux qui adhèrent, nourrissez-vous des biens dont nous vous pourvoyons. Remerciez Allah, **si vous le servez.**[409]

وقد جرى في قوله– تعالى– في سورة البقرة:﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَـٰتِ مَا رَزَقْنَـٰكُمْ وَٱشْكُرُواْ لِلَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾ (البقرة:172) تقديم الضمير نفسه مفعولا به على فعل العبادة،

[407]- Hamidallah : op-cit. p26.
[408]- Jacque Berque : op-cit. p48.
[409]- Chouraqui : op-cit. Sourate2.

لاختصاصه – سبحانه– بالعبادة ، إذ العبادة لا تكون إلاَّ له.[410]

نلاحظ من خلال ترجمتي كلّ من حميد الله وشوراكي أنّهما وفّقا في نقل دلالة تقديم المفعول به (إِيَّاهُ)على الفعل (تَعْبُدُون)، فاختار حُميد الله صيغة التخصيص (c'est…que) فقال: (si c'est lui que) وهي الصيغة المناسبة في الفرنسية للاهتمام بأمر المتقدّم مقارنة بالصيغة التي اعتمدها شوراكي فقال: (si vous le servez).

أمّا بالنسبة لترجمة جاك بيرك نرى عدم اهتمامه بأمر الجار والمجرور، حيث صار المعنى بعد الترجمة (إن كنتم من عباده).

- سورة البقرة الآية 179:

وَلَكُمۡ فِي ٱلۡقِصَاصِ حَيَوٰةٞ يَٰٓأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ﴿١٧٩﴾		
حميد الله	جاك بيرك	شوراكي
C'est dans le talion que vous aurez la préservation de la vie, Ô vous doués d'intelligence, ainsi atteindrez-vous la piété.[411]	**Dans l'exercice du talion, vous pouvez gagner une vie**, ô dotés de moelles ! Peut-être allez-vous vous prémunir…[412]	**Pour vous, le talion sauvegarde la vie,** ô vous, dotés d'un cœur. Peut-être frémirez-vous.[413]

ومن أمثلة تقديم الخبر على المبتدإ قوله– تعالى– في سورة البقرة أيضا:﴿وَلَكُمۡ فِي ٱلۡقِصَاصِ حَيَوٰةٞ يَٰٓأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ﴾ (البقرة:179)، فقد قدّم فيه الخبر– شبه الجملة– (فِي القِصَاصِ) على المبتدإ (حَيَاةٌ)[414] بالتسويغ المذكور عند النحاة ، وقد وردت هذه الآية في بيان أحكام القصاص التي شرعها الله

[410] – الطوسي : مرجع سابق ، ج 2، ص 82.

[411]- Hamidallah : op-cit. p27.

[412]- Jacque Berque : op-cit. p49.

[413]-Chouraqui : op-cit. Sourate2.

[414] – النحّاس، أبو جعفر أحمد بن محمد بن إسماعيل : إعراب القرآن. تحقيق زهير غازي زاهد. بغداد ، 1977م ،ج 1، ص 232 .

-سبحانه وتعالى- للمؤمنين بقوله:﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡقِصَاصُ فِي ٱلۡقَتۡلَىۖ ٱلۡحُرُّ بِٱلۡحُرِّ وَٱلۡعَبۡدُ بِٱلۡعَبۡدِ وَٱلۡأُنثَىٰ بِٱلۡأُنثَىٰۚ فَمَنۡ عُفِيَ لَهُۥ مِنۡ أَخِيهِ شَيۡءٞ فَٱتِّبَاعُۢ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَأَدَآءٌ إِلَيۡهِ بِإِحۡسَٰنٖۗ ذَٰلِكَ تَخۡفِيفٞ مِّن رَّبِّكُمۡ وَرَحۡمَةٞۗ فَمَنِ ٱعۡتَدَىٰ بَعۡدَ ذَٰلِكَ فَلَهُۥ عَذَابٌ أَلِيمٞ﴾ (البقرة:178) .أما السبب الأسلوبي للتقديم فهو العناية بالمؤمنين على الخصوص وبيان أن المراد حياتهم فقط لتخصيصهم بالمعنى مع وجوده في من سواهم.[415] قال ابن قيم الجوزية (ت751 هـ): « وتأمل ما تحت هذه الألفاظ من البلاغة والفصاحة ، فصدَّر الآية بقوله:(وَلَكُمْ) المؤذن بأن منفعة القصاص مختصة بكم فشرعه إنما كان رحمة بكم وإحسانا إليكم ، ثم عقبه بقوله: (فِي القِصَاصِ) إيذانًا بأن الحياة الحاصلة إنما هي في العدل ، وهو أن يُفْعَلَ به كما فَعَلَ بالمقتول.[416] والقِصَاص في اللغة: المُمَاثَلة[417]، وحقيقته راجعة إلى الإتباع.

نرى من خلال الترجمات الثلاث اعتناءها بتقديم الخبر شبه الجملة – جار ومجرور- (في القصاص) على المبتدإ (حياة) فوردت على النحو الأتي:

- C'est **dans le talion** que vous aurez la préservation de **la vie.**
- **Dans l'exercice du talion**, vous pouvez gagner **une vie.**
- **(**Pour vous**), le talion** sauvegarde **la vie.**

اعتمد حميد الله على صيغة التخصيص (c'est…que) من أجل اضفاء قيمة بلاغية على اللفظ المقدّم في الأية الكريمة وتخصيصه في المعنى، أمّا بالنسبة لجاك بيرك فقد استخدم شبه جملة جار ومجرور يتصدّرها حرف الجرّ (dans). لكن شوراكي اكتفى باستخدام اللفظ مفردا (le talion) وجعله فاعلا للجملة.

[415] – السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر : معترك الأقران في إعجاز القرآن. ضبطه وصححه وكتب فهارسه: أحمد شمس الدين. ط1. بيروت ، 1988م، ج 1، ص229 .

[416] – ابن قيّم الجوزية ، أبو عبد الله محمد بن أبي بكر : التفسير القيّم. جمع محمد أويس النداوي ، تحقيق محمد حامد الفقي. بيروت ، 1978م ، ص144 .

[417] – الزبيدي : تاج العروس ، مرجع سابق ، مادة : قصص. ج 4، ص 422 .

وما نلاحظه أيضا في ترجمة شوراكي اعتناؤه بالجار والمجرور(ولكم) حيث قال (Pour vous) وهذا ما لم نجده في ترجمتي كل من حميد الله وجاك بيرك.

- سورة آل عمران الآية 120:

إِن تَمۡسَسۡكُمۡ حَسَنَةٞ تَسُؤۡهُمۡ وَإِن تُصِبۡكُمۡ سَيِّئَةٞ يَفۡرَحُواْ بِهَاۖ وَإِن تَصۡبِرُواْ وَتَتَّقُواْ لَا يَضُرُّكُمۡ كَيۡدُهُمۡ شَيۡـًٔاۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعۡمَلُونَ مُحِيطٞ ﴿١٢٠﴾		
حميد الله	جاك بيرك	شوراكي
Qu'un bien vous touche, ils s'en affligent. Qu'un mal vous atteigne, ils s'en réjouissent. Mais si vous êtes endurants et pieux, leur manigance ne vous causera aucun mal. **Allah connait parfaitement tout ce qu'ils font.**[418]	Si de Bonheur vous advient, il leur fait mal. Si c'est du mal, ils s'en réjouissent. Mais si vous êtes patients et vous prémunissez, leur intrigue ne vous nuira en rien. **Tout ce qu'ils peuvent faire, Dieu l'encercle**.[419]	Que l'excellence vous touche, elle les lèse, que le malheur vous échoie, ils s'en réjouissent. Si vous persévérez et frémissez, leurs stratagèmes ne vous nuiront en rien. **Allah, en ce qu'ils font, les cerne**.[420]

ومنه قوله– تعالى– في سورة آل عمران:﴿ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعۡمَلُونَ مُحِيطٞ ﴾ (آل عمران:120)، قدّم الجار والمجرور وهما: (بِمَا) وجملة صلتها (يَعۡمَلُونَ) على خبر " إِنَّ " (مُحِيطٞ) لكون السياق في ذكر أعمال الكافرين والمنافقين في حياتهم الدنيا، ونهي المؤمنين عن تولّيهم، قال – تعالى–:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ بِطَانَةٗ مِّن دُونِكُمۡ لَا يَأۡلُونَكُمۡ خَبَالٗا وَدُّواْ مَا عَنِتُّمۡ قَدۡ بَدَتِ ٱلۡبَغۡضَآءُ مِنۡ أَفۡوَٰهِهِمۡ وَمَا تُخۡفِي صُدُورُهُمۡ أَكۡبَرُۚ قَدۡ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلۡأٓيَٰتِۖ إِن كُنتُمۡ تَعۡقِلُونَ ﴿١١٨﴾ هَٰٓأَنتُمۡ أُوْلَآءِ تُحِبُّونَهُمۡ وَلَا يُحِبُّونَكُمۡ وَتُؤۡمِنُونَ

[418]- Hamidallah : op-cit. p65.
[419]- Jacque Berque : op-cit. p84.
[420]- Chouraqui : op-cit. Sourate3.

بِٱلۡكِتَٰبِ كُلِّهِۦ وَإِذَا لَقُوكُمۡ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوۡاْ عَضُّواْ عَلَيۡكُمُ ٱلۡأَنَامِلَ مِنَ ٱلۡغَيۡظِۚ قُلۡ مُوتُواْ بِغَيۡظِكُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿١١٩﴾ إِن تَمۡسَسۡكُمۡ حَسَنَةٞ تَسُؤۡهُمۡ وَإِن تُصِبۡكُمۡ سَيِّئَةٞ يَفۡرَحُواْ بِهَاۖ وَإِن تَصۡبِرُواْ وَتَتَّقُواْ لَا يَضُرُّكُمۡ كَيۡدُهُمۡ شَيۡـًٔاۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعۡمَلُونَ مُحِيطٞ﴾ (آل عمران: 118-119-120). ونحن نلمح في تقديم الجار والمجرور ومتعلَّقه على الخبر فائدة: أنّ جميع أعمال المنافقين معلومة عند الله – تعالى- وهو يُجازي أصحابها عليها، وليس المراد بيان كونه – تعالى- عالماً فقط ، فلو كان المراد كذلك لكان التعبير عنه ممكنا بلا تقديم كما لا يخفى.[421]

يبدو من خلال ترجمتي كلّ من جاك بيرك وشوراكي أنّهما اعتنيا بتقديم الجار والمجرور(بِمَا) وجملة صلتها(يَعْمَلُونَ) على خبر" إنّ " (مُحيط) فكانت ترجمتهما على التوالي:

(tout ce qu'ils peuvent faire/ en ce qu'ils font).

أمّا حميد الله فقد ترجم خبر' إنّ ' أوّلاً ثم أتبعه بالجار والمجرور وصلته، فقال:

(connait parfaitement tout ce qu'ils font) حيث غابت عن ترجمته المعاني المقصودة من التقديم والتأخير.

- سورة آل عمران الآية 122:

إِذۡ هَمَّت طَّآئِفَتَانِ مِنكُمۡ أَن تَفۡشَلَا وَٱللَّهُ وَلِيُّهُمَاۗ **وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ** ﴿١٢٢﴾		
حميد الله	جاك بيرك	شوراكي
Quand deux de vos groupes songèrent à fléchir ! Alors qu'Allah est leur allié à tous deux ! Car, **c'est en Allah que les croyants doivent placer leur confiance.**[422]	Lors deux partis d'entre vous furent tentés de mollir, bien que Dieu fût leur protecteur à tous deux **et qu'à Dieu n'ont qu'à s'en remettre les croyants**…[423]	Quand deux de vos troupes pensaient fléchir, Allah était leur allié, **Allah, l'appui de tous les adhérents**.[424]

[421] – الزبيدي : مرجع سابق ، ج 8، ص ص 215،216 .

[422]- Hamidallah : op-cit. p66.

[423]- Jacque Berque : op-cit. p84.

ومن ذلك أيضاً قوله – تعالى– في سورة آل عمران:﴿ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ﴾ (آل عمران: 122)، فقد تقدّم الجار والمجرور (عَلَى اللَهِ) على الفعل المضارع المسبوق بلام الأمر (فَلْيَتَوَكَّل) ، حيث وردت هذه الآية في سياق معركة أحد ، وما أصاب المسلمين فيها من أذى ؛ وقد أفاد تقديم الجار والمجرور (عَلَى اللَهِ) تخصيص التوكل على الله وحده دون غيره ، وتفويض الأمور إليه ، والدلالة على أنّ من كان به ضعف أو وهن من المؤمنين فليتوكل عليه ، وليستعن به ، يُعِنْهُ على أمره.[425] وقد نبّه التقديم على الوصف الذي يقتضي ذلك وهو الإيمان، لأنّ من آمن بالله خير أن لا يكون اتّكاله إلاَّ عليه.[426]

نلاحظ من خلال الترجمات الثلاث عنايتها بتقديم الجار والمجرور(عَلَى اللَهِ) على الفعل المضارع(فَلْيَتَوَكَّل). وقد اعتمد حميد الله على صيغة التخصيص المناسبة التي تنقل المعنى بدقة وهي (c'est…que)، فقال: (c'est en Allah que).

أمّا جاك بيرك فقد اعتمد على الصيغة (et que…) متبوعة بالجار والمجرور(à Dieu) ، ثم تأتي ترجمة شوراكي في المقام الثالث حيث اكتفى بترجمة الجار والمجرور (Allah) منفردًا في بداية الجملة.

[424]- Chouraqui : op-cit. Sourate3.

[425] – الطبري : مرجع سابق ، ج4، ص 74.

[426] – أبو حيان الأندلسي : مرجع سابق ، ج3، ص 47.

- سورة آل عمران الآية 140:

إِن يَمۡسَسۡكُمۡ قَرۡحٞ **فَقَدۡ مَسَّ ٱلۡقَوۡمَ قَرۡحٞ مِّثۡلُهُۥۚ** وَتِلۡكَ ٱلۡأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيۡنَ ٱلنَّاسِ وَلِيَعۡلَمَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَيَتَّخِذَ مِنكُمۡ شُهَدَآءَۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٤٠﴾		
حميد الله	جاك بيرك	شوراكي
Si une blessure vous atteint, **pareille blessure atteint aussi l'ennemi**. Ainsi faisons-Nous alterner les jours (bons et mauvais) parmi les gens, afin qu'Allah reconnaisse ceux qui ont cru, et qu'Il choisisse parmi vous des martyrs – et Allah n'aime pas les injustes,[427]	Une blessure vous afflige, **blessure pareille affligea l'autre peuple** : de telles journées, nous en faisons alterner entre les hommes : c'est façon pour Dieu de reconnaître les croyants et de se donner parmi vous des martyrs… -Dieu n'aime pas les iniques [428]	Si une plaie vous touche, **une plaie semblable a déjà touché le peuple**. Ces jours, nous les faisons alterner parmi les humains, pour qu'Allah reconnaisse ceux qui adhèrent et suscite parmi vous des témoins. Allah n'aime pas les fraudeurs.[429]

ومن تقديم المفعول به على الفاعل أيضاً قوله – تعالى– في سورة آل عمران:﴿ إِن يَمۡسَسۡكُمۡ قَرۡحٞ فَقَدۡ مَسَّ ٱلۡقَوۡمَ قَرۡحٞ مِّثۡلُهُۥۚ وَتِلۡكَ ٱلۡأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيۡنَ ٱلنَّاسِ وَلِيَعۡلَمَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَيَتَّخِذَ مِنكُمۡ شُهَدَآءَۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ (آل عمران :140)، والمفعول المقدّم على فاعله هو (القَوْمَ)، وتقديمه هنا هو الوجه، لأنّ الآية المذكورة قد نزلت في يوم أُحُد حيث أصاب المسلمين فيه أذىً شديد وقُتل منهم من قُتل؛ فأنزل الله هذه الآيات يواسيهم بها ويخفف عنهم الحزن الذي أصابهم ، ويذكّرهم بما أصاب المشركين من القتل والجراح في اليوم نفسه.[430] وإنّما قُدّم ذكر العدو لأنّه هو الذي يعني المسلمين في معرض الحالة كلها

[427]- Hamidallah : op-cit. p67.
[428]- Jacque Berque : op-cit. p85.
[429]-Chouraqui : op-cit. Sourate3.

[430] – الزمخشري : مرجع سابق ، ج1، ص ص 465، 466.

وفي سياق الآية المذكورة، وليس المهم فيها ذكر القَرْحِ، وإنّما المهمُّ مَنْ أصاب، كي يكون تقديم المفعول به مواساة للمسلمين في حالتهم تلك ، وتخفيفا من كربهم، وهم يرون أعداءهم يرزحون تحت وطأة الكرب النفسي عينه.[431]

يبدو من خلال الترجمات الثلاث عدم العناية بتقديم المفعول به (القَوْمَ) على الفاعل(قَرْحٌ) حيث جاء متأخرًا في الترجمات جميعها: (l'ennemi/ l'autre peuple/ le peuple) على التوالي، ومن هنا ضاع من خلال الترجمة المعنى المقصود من هذا التقديم والتأخير.

ولو اعتمد المترجمون على صيغة المجهول (la voix passive) بدل صيغة المتعدي(la voix active) لأمكنهم ذلك من العناية بأمر المفعول به (القَوْمَ)، فلو أردنا مثلاً اعتماد صيغة المجهول في الترجمات الثلاث لوجدنا مايلي:

- ….l'ennemi est atteint aussi par une pareille blessure.
- ….l'autre peuple fut affligé par une blessure pareille.
- ….le peuple a été déjà touché par une plaie semblable.

- سورة النساء الآية 160:

فَبِظُلْمٍ مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَٰتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ وَبِصَدِّهِمْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ كَثِيرًا ﴿١٦٠﴾		
حميد الله	جاك بيرك	شوراكي
C'est à cause des iniquités des Juifs que Nous leur avons rendu illicites les bonnes nourritures qui leur étaient licites, et aussi à cause de ce qu'ils obstruent le sentier d'Allah, (à eux-mêmes et) à beaucoup de monde, [432]	…**Donc à raison d'une iniquité imputable aux tenants du Judaïsme, Nous leur interdîmes des choses bonnes, qui leur étaient licites** ; et ce fut aussi à raison des obstacles que souvent ils élèvent sur le chemin de Dieu[433]	**La fraude de ceux qui judaïsent, en ce qui leur est permis, nous a fait leur interdire d'excellents aliments, qui leur étaient permis**. Ils s'écartent trop du sentier d'Allah,[434]

[431] – الطبري : مرجع سابق ، ج4، ص 103.

[432]- Hamidallah : op-cit. p103.
[433]- Jacque Berque : op-cit. p117.
[434]- Chouraqui : op-cit. Sourate4.

وممَّا تقدّم فيه الجار والمجرور على المسند، وهو الفعل أيضاً قوله – تعالى– في سورة النساء:﴿ فَبِظُلۡمٖ مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْ حَرَّمۡنَا عَلَيۡهِمۡ طَيِّبَٰتٍ أُحِلَّتۡ لَهُمۡ وَبِصَدِّهِمۡ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ كَثِيرٗا﴾ (النساء:160) ، والجار والمجرور المقدّمان في هذه الآية هما: (بِظُلْمٍ) ، وقد قُدِّما على فعل التحريم الماضي (حَرَّمْنَا) ، تقريعاً وتأنيباً لبني إسرائيل، بدلالة الآيات التي قبلها في معرض تعداد المظالم التي ارتكبوها، وقد أفاد تنكير(ظُلْمٍ) وتنوينه تعظيم جرائمهم ، لأنّ الله لم يُحرّم عليهم الطيبات إلاَّ بسبب جسامة ما ارتكبوه.[435]

يبدو لنا من خلال الترجمات الثلاث أنّها اعتنت بتقديم الجار والمجرور (بِظُلْمٍ) على الفعل المسند (حَرَّمْنَا)، فتحقّقت المعاني المقصودة من التقديم والتأخير في الآية الكريمة، وهي التقريع والتأنيب والتعظيم. فنجد حميد الله قد استعمل صيغة التخصيص(c'est…que) فقال:

(c'est à cause des iniquités des Juifs que) ، أمّا جاك بيرك استعمل عبارة عطف تفيد السببية (Donc à cause de) فقال: (Donc à cause d'une iniquité imputable…) ، وأمّا شوراكي فقد بدأ بالاسم مباشرة فقال: (La fraude de ceux qui judaïsent).

[435] – الزمخشري : مرجع سابق ، ج1، ص 581.

- سورة المائدة الآية 70:

لَقَدۡ أَخَذۡنَا مِيثَٰقَ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ وَأَرۡسَلۡنَآ إِلَيۡهِمۡ رُسُلٗاۖ كُلَّمَا جَآءَهُمۡ رَسُولُۢ بِمَا لَا تَهۡوَىٰٓ أَنفُسُهُمۡ **فَرِيقٗا كَذَّبُواْ وَفَرِيقٗا يَقۡتُلُونَ** ٧٠		
حميد الله	جاك بيرك	شوراكي
Certes, Nous avions déjà pris l'engagement des Enfants d'Israël, et Nous leur avions envoyé des messagers. Mais chaque fois qu'un Messager leur vient avec ce qu'ils ne désirent pas, **ils en traitent certains de menteurs et ils en tuent d'autres.**[436]	Oui, Nous avons reçu l'engagement des Fils d'Israël et Nous leur envoyâmes des envoyés. Chaque fois qu'il leur en venait pour réfréner leurs passions, **ils démentaient les uns, en tuaient d'autres** [437]	Ainsi, nous avons fait alliance avec les Fils d'Isrâ'îl, et nous leur avons envoyé des Envoyés. Chaque fois que des Envoyés venaient à eux sans les flatter, **ils accusaient les uns de mensonge et tuaient les autres.**[438]

ومن ذلك تقديم المفعول وما يفيده من الاختصاص، كقوله- تعالى-:﴿ لَقَدۡ أَخَذۡنَا مِيثَٰقَ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ وَأَرۡسَلۡنَآ إِلَيۡهِمۡ رُسُلٗاۖ كُلَّمَا جَآءَهُمۡ رَسُولُۢ بِمَا لَا تَهۡوَىٰٓ أَنفُسُهُمۡ فَرِيقٗا كَذَّبُواْ وَفَرِيقٗا يَقۡتُلُونَ﴾ (المائدة:70)؛ إذ قدّم المفعول على الفعل والفاعل، لتشويق السامع إلى ما فعلوا؛ ذلك أن التكذيب والقتل وإنْ كانا منكرين، إلا أن تكذيب الأنبياء وقتلهم أقبح، فكان التقديم لهذه الفائدة.[439]

ولمّا كان بنو إسرائيل يتصفون بهذه الصفات وغيرها، فقد ضربت عليهم الذلة والمسكنة، وحرموا النصر والتمكين في الدنيا والآخرة.

[436]- Hamidallah : op-cit. p119.
[437]- Jacque Berque : op-cit. p132.
[438]- Chouraqui : op-cit. Sourate5.

[439]- انظر : الزمخشري : مرجع سابق ، ج 2، ص 154.

نلاحظ من خلال الترجمات الثلاث عدم عنايتها بتقديم المفعول به (فَرِيقًا) في كلتا الجملتين على الفعل والفاعل (كَذَّبُوا) في الجملة الأولى، وعلى الفعل والفاعل (يَقْتُلُون) في الجملة الثانية، حيث جاء متأخرًا في الترجمات جميعها.

فإذا أردنا المحافظة على المعاني المقصودة من تقديم المفعول به في الآية الكريمة، يمكننا مثلاً استعمال صيغة التخصيص (c'est… que)، فنقول:

- ….ce sont certains d'entre eux (des messagers) qu'ils traitent de menteurs et ce sont d'autres qu'ils tuent.

- سورة الأنعام الآية 14:

قُلۡ أَغَيۡرَ ٱللَّهِ أَتَّخِذُ وَلِيّٗا فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَهُوَ يُطۡعِمُ وَلَا يُطۡعَمُۗ قُلۡ إِنِّيٓ أُمِرۡتُ أَنۡ أَكُونَ أَوَّلَ مَنۡ أَسۡلَمَۖ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ١٤		
حميد الله	جاك بيرك	شوراكي
Dis : **Devais-je prendre pour allié autre qu'Allah**, le Créateur des cieux et de la terre ? C'est Lui qui nourrit et personne ne Le nourrit. Dis : « On m'a commandé d'être le premier à me soumettre ». Et ne sois jamais du nombre des associateurs.[440]	Dis : « **Irais-je me donner comme protecteur un autre que dieu**, Créateur des cieux et de la terre à partir de rien, lui qui nourrit sans recevoir de nourriture ? » Dis : « Moi, j'ai reçu commandement d'être le premier à me soumettre ». Et garde-toi d'être des associants.[441]	Dis : « **Changerais-je d'Allah, prendrais-je un autre protecteur**, Lui, le fendeur des ciels et de la terre, Lui, le nourricier, le non-nourri ? » Dis : « Voici son ordre pour moi : que je sois le premier de la pacification, al-islâm. Ne soyez pas des associateurs ! »[442]

[440]- Hamidallah : op-cit. p129.
[441]- Jacque Berque : op-cit. p142.
[442]- Chouraqui : op-cit. Sourate6.

وقريب من الآية المذكورة آنفاً في تقديم المفعول به على الفعل بعد الاستفهام الإنكاري، ولكن بلا فاء عاطفة ، قوله – تعالى– في سورة الأنعام:﴿ قُلۡ أَغَيۡرَ ٱللَّهِ أَتَّخِذُ وَلِيّٗا فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَهُوَ يُطۡعِمُ وَلَا يُطۡعَمُۗ قُلۡ إِنِّيٓ أُمِرۡتُ أَنۡ أَكُونَ أَوَّلَ مَنۡ أَسۡلَمَۖ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ﴾ (الأنعام:14) ، فقد قدّم (غَيْرَ) المفعول الأول على الفعل (أَتَّخِذُ) المتعدّي إلى مفعولين [443]، وتفيد الهمزة في هذه الآية فضلاً عن الإنكار: إحالة كون المفعول واقعاً به الفعل المذكور أو مثله، ولتحقيق هذا الغرض الدلالي جرى تقديم (غَيْرَ) على الفعل المضارع لتلقي تأثير الهمزة مباشرة، واستنكار اتّخاذ غير الله وليًّا. [444] ولمّا كان سياق الآيات في خلق السماوات والأرض، قد أعلن– عز وجل– كونه مالكاً لما تضمّنه المكان والزمان كما قال– تعالى– :﴿ قُل لِّمَن مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ قُل لِّلَّهِۚ كَتَبَ عَلَىٰ نَفۡسِهِ ٱلرَّحۡمَةَۚ لَيَجۡمَعَنَّكُمۡ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ لَا رَيۡبَ فِيهِۚ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ فَهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ ١٢ وَلَهُۥ مَا سَكَنَ فِي ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ﴾ (الأنعام:12–13)، وكما قال بعد ذلك:﴿ قُلۡ أَغَيۡرَ ٱللَّهِ أَتَّخِذُ وَلِيّٗا فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَهُوَ يُطۡعِمُ وَلَا يُطۡعَمُۗ قُلۡ إِنِّيٓ أُمِرۡتُ أَنۡ أَكُونَ أَوَّلَ مَنۡ أَسۡلَمَۖ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ﴾

(الأنعام:14)، فقد أمر سبحانه وتعالى نبيّه بأن يقول لهم على سبيل الإنكار والتوبيخ: فمن كانت هذه صفاته هو الذي يُتَّخَذُ وليًّا، لا الآلهة التي يعبدونها [445] ، وقد عرض الإمام عبد القاهر الجرجاني لهذه القضية كلها بقوله: « تقديم الاسم المفعول يقتضي أن يكون الإنكار في طريق الإحالة والمنع من أن يكون بمثابة أن يوقع به مثلُ ذلك الفعل، فإذا قلتَ : أَزَيْداً تَضْرِبُ؟ كنتَ قد أنكرتَ أن يكون (زَيْد) بمثابة أن يُضرب أو بموضع أن يُجترأ عليه ويُستجاز ذلك منه، ومن أجل ذلك قدّم (غَيْرَ) في قوله – تعالى– :﴿ قُلۡ أَغَيۡرَ ٱللَّهِ

[443] – الزمخشري : مرجع سابق ، ج4، ص 85 .

[444] – ضيف، شوقي : البلاغة ، تطور وتاريخ. ط2. القاهرة، 1965م ، ص107 .

[445] – أبو حيان الأندلسي : مرجع سابق ، ج4، ص 85 .

أَتَّخِذُ وَلِيًّا...﴾ وكان له من الحسن والمزية والفخامة ما تعلم أنّه لا يكون لو أُخّر فقيل:" قل أأتخذ غيرَ الله وليًّا ..." وذلك لأنّه قد حصل بالتقديم معنى قولك: أيكونُ غيرُ الله بمثابة أن يُتَّخَذَ وليًّا؟ و أيرضى عاقل من نفسه أن يفعل ذلك؟ و أيكون جهلٌ أجهلَ وعمىً أعمى من ذلك؟ ، ولا يكون شيء من ذلك إذا قيل: " أأتخذُ غيرَ الله وليًّا " ، وذلك لأنه حينئذٍ يتناول الفعلَ أن يكون فقط ، ولا يزيد على ذلك».[446]

يبدو لنا من خلال الترجمات الثلاث عنايتها بالفعل (أَتَّخِذُ) بعد الاستفهام الانكاري، بدل العناية بالمفعول به المتقدّم (غَيْرَ)، فكانت الترجمات على التوالي:

(Devais-je prendre pour allié/ Irais-je me donner comme protecteur/ prendrais-je un autre protecteur)

فإذا أردنا العناية بأمر المفعول به المقدّم (غَيْرَ) يمكننا مثلاً أن نقول:

- …Y a-t-il un allié autre qu'Allah que je devais le prendre comme allié ?

[446] – الجرجاني : مرجع سابق ، ص95 .

- سورة الأنعام الآية 59:

وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلۡغَيۡبِ لَا يَعۡلَمُهَآ إِلَّا هُوَۚ وَيَعۡلَمُ مَا فِي ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِۚ وَمَا تَسۡقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعۡلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَٰتِ ٱلۡأَرۡضِ وَلَا رَطۡبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٖ ﴿٥٩﴾		
حميد الله	جاك بيرك	شوراكي
C'est Lui qui détient les clefs de l'Inconnaissable. Nul autre que Lui ne les connait. Et Il connait ce qui est dans la terre ferme, comme dans la mer. Et pas une feuille ne tombe qu'Il ne le sache. Et pas une graine dans les ténèbres de la terre, rien de frais ou de sec, qui ne soit consigné dans un livre explicite.[447]	**Il tient les clefs du mystère** ; Il est seul à les connaître ; il sait ce qui habite la terre ferme et la mer. Pas de feuille qui tombe sans qu'Il ne le sache ; ni de grains dans les ténèbres du sol, ni rien de sec ni d'humide qui ne s'inscrive au Livre explicite [448]	**À lui, les clés du mystère**: nul ne les connaît que Lui. Il sait ce qui est sur le continent et dans la mer. Aucune feuille ne tombe, qu'il ne le sache, ni de graine dans les ténèbres de la terre, ni d'humidité, ni d'aridité, sinon inscrite dans l'Écrit évident.[449]

وقد جاء في قوله– تعالى– في سورة الأنعام:﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلۡغَيۡبِ لَا يَعۡلَمُهَآ إِلَّا هُوَۚ وَيَعۡلَمُ مَا فِي ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِۚ وَمَا تَسۡقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعۡلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَٰتِ ٱلۡأَرۡضِ وَلَا رَطۡبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٖ﴾ (الأنعام:59) تقديما آخر للخبر على المبتدإ ، فقد قدّم الخبر الظرف: (عِنْدَهُ) على (مَفَاتِحُ) المبتدإ، والمِفْتَح بكسر أوله: المِفْتَاح الذي يُفْتَح به[450]، وقد جعل– سبحانه– للغيب مفاتح على طريق الاستعارة، فبالمفتاح يتوصل العالِم بها وبكيفية استعمالها إلى ما في الخزائن المحكمة الإغلاق، وكذلك الله– عزوجل– ولا مثيل له، ولكنه لمّا كان العالِم وحده بالأمور الغيبية، فهو كمن عنده مفاتح أقفال المخازن، وعنده العلم

[447]- Hamidallah : op-cit. p134.
[448]- Jacque Berque : op-cit. p147.
[449]- Chouraqui : op-cit. Sourate6.

[450] – النحاس : مرجع سابق ، ص 371 .

بفتحها، فهو وحده المتوصّل إلى ما في تلك المخازن.[451] وما تقديم الخبر في الآية لغير اختصاصه- سبحانه وتعالى- بامتلاك الأمور الغيبية وتفرّده بها، فلا يمكن لأحد الاطلاع عليها سواه، وهذا جواب لطلب مشركي قريش من الرسول- صلى الله عليه وسلم- تعجيل العقوبة عليهم، قال تعالى:﴿قُلۡ إِنِّي عَلَىٰ بَيِّنَةٖ مِّن رَّبِّي وَكَذَّبۡتُم بِهِۦۚ مَا عِندِي مَا تَسۡتَعۡجِلُونَ بِهِۦٓۚ إِنِ ٱلۡحُكۡمُ إِلَّا لِلَّهِۖ يَقُصُّ ٱلۡحَقَّۖ وَهُوَ خَيۡرُ ٱلۡفَٰصِلِينَ ٥٧ قُل لَّوۡ أَنَّ عِندِي مَا تَسۡتَعۡجِلُونَ بِهِۦ لَقُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ بَيۡنِي وَبَيۡنَكُمۡۗ وَٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِٱلظَّٰلِمِينَ﴾ (الأنعام:57-58)، وقد جاء قوله في الآية التي ابتدأنا بها ليماثل قوله- تعالى-: ﴿مَا عِندِي مَا تَسۡتَعۡجِلُونَ بِهِۦٓ﴾ و﴿قُل لَّوۡ أَنَّ عِندِي مَا تَسۡتَعۡجِلُونَ بِهِۦ﴾ في هاتين الآيتين المتقدمتين عليها في السياق، حيث في الأولى منهما تقديم الخبر الظرف (عِنْدِي) على المبتدإ أيضا ، وهو (مَا) الموصولة وصلتها. نلاحظ من خلال الترجمات الثلاث عنايتها بتقديم الخبر الظرف (عِنْدَهُ) في الآية الكريمة على المبتدإ (مَفَاتِح)، فكانت ترجمة حميد الله أقرب الترجمات في تحقيق المعاني المقصودة من تقديم الخبر، وذلك باستعماله لصيغة التخصيص المناسبة (c'est…qui) ، فقال:

- C'est Lui qui détient les clefs de l'inconnaissable.

ثم تأتي ترجمة شوراكي باستعماله لحرف الجر (à) مع الضمير الشخصي (Lui) ، فقال:

- A lui, les clés du mystère.

وأخيرًا ترجمة جاك بيرك الذي اعتمد على جملة فعلية فاعلها الضمير الشخصي (Il) فقال:

- Il tient les clefs du mystère.

[451] - الزمخشري : مرجع سابق ، ج2، ص 24 .

- سورة الأنعام الآية 73:

وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ بِٱلۡحَقِّۖ وَيَوۡمَ يَقُولُ كُن فَيَكُونُۚ **قَوۡلُهُ ٱلۡحَقُّۚ وَلَهُ ٱلۡمُلۡكُ** يَوۡمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِۚ عَـٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَـٰدَةِۚ وَهُوَ ٱلۡحَكِيمُ ٱلۡخَبِيرُ ﴿٧٣﴾		
حميد الله	جاك بيرك	شوراكي
Et c'est Lui qui a créé les cieux et la terre, en toute vérité. Et le jour où Il dit : « Sois ! » Cela est, **Sa parole est la vérité. A Lui, (seul,) la royauté,** le jour où l'on soufflera dans la Trompe. C'est Lui le Connaisseur de ce qui est voilé et de ce qui manifeste. Et c'est Lui le Sage et le Parfaitement Connaisseur.[452]	Lui qui a créé les cieux et la terre dans la Vérité. Et le jour où Il dit : « Sois », cela est. **Sa parole est Vérité. A Lui la royauté** au Jour où dans la trompe il sera soufflé. Il est Connaissant du mystère et de la présence. Il est le Sage, l'Informé.[453]	Lui, qui crée les ciels et la terre avec la vérité. Le Jour où il dit : « Sois ! », c'est ! **Son Verbe : la vérité**. Le Jour où il sera soufflé dans le cor, **à lui le Royaume.** Lui, le connaisseur du mystère, et du témoignage, Lui, le Sage, l'Informé.[454]

كما نرى في قوله– تعالى– في سورة الأنعام أيضا:﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ بِٱلۡحَقِّۖ وَيَوۡمَ يَقُولُ كُن فَيَكُونُۚ قَوۡلُهُ ٱلۡحَقُّۚ وَلَهُ ٱلۡمُلۡكُ يَوۡمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِۚ عَـٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَـٰدَةِۚ وَهُوَ ٱلۡحَكِيمُ ٱلۡخَبِيرُ﴾ (الأنعام:73) تقديمًا للخبر (قَوْلُهُ) على (الحَقُّ) المبتدأ، وتقديمًا للجار والمجرور (لَهُ) على (المُلْك)، وهذه الآية واردة في سياق الكلام على خلق السماوات والأرض، وكونه– سبحانه– المنفرد بخلقهما دون من سواه ومبيّنا لمن أشرك به جهله في عبادة الأوثان، ومحتجّا عليهم في إنكار البعث بعد الممات، والثواب والعقاب، بقدرته على إفنائه ثم إعادته إلى الحياة[455]، بالإضافة إلى قوله الحق. وقُدّم الخبر في الموضع الثاني على المبتدإ ليدلّ على اختصاصه– سبحانه وتعالى– بالملك يوم القيامة، وإن كان

[452]- Hamidallah : op-cit. p136.
[453]- Jacque Berque : op-cit. p149.
[454]- Chouraqui : op-cit. Sourate6.

[455] – الطبري : مرجع سابق ، ج 7، ص 240.

الملك له خالصًا في الدنيا والآخرة، فقد عنى- عز وجل- أنّه لا منازعَ له فيه يومئذٍ، وأنّه المنفرد به دون كل

من كان ينازعه فيه في الدنيا من الجبابرة، فأذعن جميعهم يومئذٍ له به، وعلموا أنهم كانوا من دعواهم في الدنيا في باطل.[456]

يبدو أنّ الترجمات الثلاث قد اعتنت بتقديم الخبر (قَوْلُهُ) في الآية الكريمة على المبتدإ (الحَقُّ)، فجاءت الترجمات على التوالي:

- Sa parole est la vérité.
- Sa parole est Vérité.
- Son Verbe : la vérité.

فتحقّق المعنى المقصود من التقديم في الآية الكريمة في الترجمات جميعها.

والأمر نفسه بالنسبة لتقديم الخبر جار ومجرور(لَهُ) على المبتدإ (المُلْك) في الموضع الثاني. فكانت صيغة الترجمة متشابهة في الترجمات الثلاث وهي استعمال حرف الجر (à) مع الضمير الشخصي (Lui)، ونلاحظ أنّ حميد الله قد أضاف الصفة (seul) زيادة في التخصيص، كما نرى أيضا أنّ شوراكي قد فصل بين الموضعين، وقدّم جملة (يوم ينفخ في الصور) على الجملة الاسمية (وله الملك).

[456] – الطبري : مرجع سابق ، ج 7، ص 240.

- سورة الأنعام الآية 84:

وَوَهَبۡنَا لَهُۥٓ إِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَۚ كُلّٗا هَدَيۡنَاۚ وَنُوحٗا هَدَيۡنَا مِن قَبۡلُۖ وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ دَاوُۥدَ وَسُلَيۡمَٰنَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَٰرُونَۚ وَكَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ ٨٤		
حميد الله	جاك بيرك	شوراكي
Et Nous lui avons donné Isaac et Jacob et **Nous les avons guidés tous les deux. Et Noé, Nous l'avons guidé auparavant**, et parmi la descendance (d'Abraham) (ou de Noé), David, Salomon, Job, Joseph, Moïse et Aaron. Et c'est ainsi que Nous récompensons les bienfaisants.[457]	Nous lui accordâmes Isaac et Jacob, **les guidâmes tous trois ; et Noé, Nous l'avions guidé avant lui** ; et parmi sa descendance David, Salomon, Job, Joseph, Moïse, Aaron… Ainsi récompensons-Nous les bel-agissants [458]	Nous lui avons offert Is'hâq et Ya'qûb **que nous avons guidés. Jadis, de sa descendance**, nous avons aussi guidé Dâwûd, Sulaïmân, Aïyûb, Yûsuf, Mûssa, Hârûn. Ainsi dotons-nous les excellents,[459]

أما قوله – تعالى – في سورة الأنعام :﴿ وَوَهَبۡنَا لَهُۥٓ إِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَۚ كُلّٗا هَدَيۡنَاۚ وَنُوحٗا هَدَيۡنَا مِن قَبۡلُۖ وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ دَاوُۥدَ وَسُلَيۡمَٰنَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَٰرُونَۚ وَكَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾ (الأنعام:84)، فقد ضمّ حالتين من تقديم المفعول به على فعله وهما: (كُلاًّ) و(نُوحاً) على (هَدَيْنَا) المكرر[460]، وليس هذا التقديم من أجل تخصيص هؤلاء الأنبياء بالهداية، وحصرها فيهم، فهم ليسوا المهتدين فقط، وإنّما من أجل مدحهم والثناء عليهم[461] بذلك، ويشهد لهذا سياق الآيات السابقة ، فقد قال – تعالى– فيها:﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ يَلۡبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلۡمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلۡأَمۡنُ وَهُم مُّهۡتَدُونَ﴾ (الأنعام:82) ، ولا

[457]- Hamidallah : op-cit. p138.
[458]- Jacque Berque : op-cit. p150.
[459]- Chouraqui : op-cit. Sourate6.
[460]– العكبري، أبوالبقاء عبد الله بن الحسين : التبيان في إعراب القرآن. تحقيق محمد علي البجاوي. القاهرة، 1976م ، ج1، ص 505.
[461]– فاضل السامرائي : مرجع سابق ، ج 2، ص 512.

يخفى ما في هذه الآية من مدح للمؤمنين وثناء عليهم ، ثم قال:﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيْنَٰهَآ إِبْرَٰهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ ۚ نَرْفَعُ دَرَجَٰتٍ مَّن نَّشَآءُ ۗ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ﴾ (الأنعام:83) ، وهذا المعنى من قبيل ذلك أيضاً ، وإذا كان – عز وجل– قد ختم الآية التي بدأنا بالكلام عليها بقوله:﴿وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ (الأنعام:84) فقد ذكر أسماء الأنبياء والمرسلين المجتبين المهديين إلى الصراط المستقيم ، ثم ختم سياق الثناء عليهم بما هم أهل له من هدايته لهم ولكل من يشاء بقوله:﴿ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهْدِى بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۚ وَلَوْ أَشْرَكُوا۟ لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ (الأنعام: 88) لتوسعة دائرة الهداية بمشيئته– تعالى– في كل الأحوال وفي كل الأزمنة والأمكنة إلى يوم القيامة.

نلاحظ من خلال ترجمتي كلّ من حميد الله وجاك بيرك العناية بتقديم المفعول به (نُوحًا) على الفعل (هَدَيْنَا) فجاءت الترجمتان على التوالي:

- Et Noé, Nous l’avons guidé.
- et Noé, Nou l’avions guidé.

أمّا شوراكي فلم نجد في ترجمته ذكرًا لجملة (وَنُوحًا هَدَيْنَا)، عدا ترجمته للجار والمجرور (مِنْ قَبْل)، فقال: (Jadis).

- سورة الأنعام الآية 90:

أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقۡتَدِهۡۗ قُل لَّآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ أَجۡرًاۖ إِنۡ هُوَ إِلَّا ذِكۡرَىٰ لِلۡعَٰلَمِينَ ﴿٩٠﴾		
حميد الله	جاك بيرك	شوراكي
Voilà ceux qu'Allah a guidés : **suis donc leur direction**. Dis : « Je ne vous demande pas pour cela de salaire ». Ce n'est qu'un rappel à l'intention de tout l'univers.[462]	Ceux-là, Dieu les a guides, **donc à leur guidance te conforme**, Dis : « Je ne vous demande pour autant aucun salaire. Ce n'est rien de moins qu'un Rappel à l'univers » [463]	Les voilà, ceux qu'Allah a guidés: **dirige-toi selon leur guidance**. Dis: « Je ne vous demande pas, de salaire pour cela: ce n'est que pour la [464] Mémoire des univers. »

ومن تقديم الجار والمجرور على الفعل المسند قوله– تعالى– في سورة الأنعام:﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقۡتَدِهۡۗ قُل لَّآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ أَجۡرًاۖ إِنۡ هُوَ إِلَّا ذِكۡرَىٰ لِلۡعَٰلَمِينَ ﴾ (الأنعام:90)، والجار والمجرور المُقدّمان هما: (بِهُدَاهُمْ) على فعل الأمر: (اقْتَدِه)، فقد أمر الله نبيَّه محمداً– صلى الله عليه وسلم– بأن يقتدي بهدى الأنبياء، وهدايتهم هي طريقتهم في الإيمان بالله وتوحيده، وأصول دينهم، دون شرائعهم المختلفة التي بقيت في الذكر القرآني لنا هدى ما لم تُنسخ.[465] وفي تقديم لفظ (الهُدى) ما يفيد اختصاص هدى أولئك الأنبياء بالاقتداء به لا بغيره.[466] ولمّا كان الكلام– في سياق الآيات التي قبلها– على الهداية ؛ وهي الأهم، فقد جرى تقديم ذكرها إشعاراً بهذا المطلب الدلالي من الاعتناء بها.

نلاحظ من خلال الترجمات الثلاث للآية الكريمة أنّ ترجمة جاك بيرك اعتنت بتقديم الجار والمجرور(بِهُدَاهُم) على فعل الأمر (اقْتَدِه) فجاءت الترجمة كالآتي:

- à leur guidance te conforme.

462- Hamidallah : op-cit. p138.
463- Jacque Berque : op-cit. p151.
464- Chouraqui : op-cit. Sourate6.

465 – أبو حيان الأندلسي : مرجع سابق ، ج 4، ص ص 175،176.
466 – الزمخشري : مرجع سابق ، ج 2، ص 34.

حيث تحقّقت من خلالها المعاني المرجوة من التقديم والتأخير. في حين نجد أنّ كلا من حميد الله وشوراكي قدّما فعل الأمر على الجار والمجرور فجاءت الترجمتان على التوالي:

- suis donc leur direction.
- Dirige-toi selon leur guidance.

- سورة الأنعام الآية 100:

وَجَعَلُواْ لِلَّهِ شُرَكَآءَ ٱلۡجِنَّ وَخَلَقَهُمۡۖ وَخَرَقُواْ لَهُۥ بَنِينَ وَبَنَٰتَۢ بِغَيۡرِ عِلۡمٖۚ سُبۡحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يَصِفُونَ ١٠٠		
حميد الله	جاك بيرك	شوراكي
Et ils ont désigné des associés à Allah: les djinns, alors que c'est Lui qui les a créés. Et ils Lui ont inventé, dans leur ignorance, des fils et des filles, Gloire à Lui ! Il transcende tout ce qu'ils lui attribuent.[467]	**Ils donnent à Dieu comme associés les djinns**, qui pourtant sont Sa créature ; ils Lui supposent des filles et des fils, sans la moindre science. A la transcendance de Dieu ne plaise, Lui tellement au-dessus de leurs fabulations ! [468]	**Ils ont mis les Djinns pour associés d'Allah**, Lui qui les a créés ! Ils ont inventé: « À lui des fils et des filles ! », sans savoir ! Gloire à lui, au-dessus de ce qu'ils décrivent ! [469]

ومن تقديم المفعول الثاني على الأول قوله– تعالى– في سورة الأنعام:﴿ وَجَعَلُواْ لِلَّهِ شُرَكَآءَ ٱلۡجِنَّ وَخَلَقَهُمۡۖ وَخَرَقُواْ لَهُۥ بَنِينَ وَبَنَٰتَۢ بِغَيۡرِ عِلۡمٖۚ سُبۡحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يَصِفُونَ ﴾ (الأنعام:100)، حيث قدّم المفعول الثاني (شُرَكَاءَ) على المفعول الأول (الجِنَّ)، وسبب نزول هذه الآية هو أنّ الزنادقة كانوا قد قالوا: إنّ الله وإبليس أَخوان، فالله يخلق الخير وإبليس يخلق الشر.[470]

[467]- Hamidallah : op-cit. p140.
[468]- Jacque Berque : op-cit. p153.
[469]- Chouraqui : op-cit. Sourate6.
[470] – ابن قتيبة، أبو محمد عبد الله بن مسلم : تفسير غريب القرآن. تحقيق السيد أحمد صقر. بيروت، 1978م، ص157 .

ذكر المفسرون واللغويون أن المفعول الثاني في هذه الآية قُدّم على المفعول الأول ليفيد استعظام أن يُتَّخَذَ لله شريك ، ملكاً كان أو جنيًّا أو غيرهما ، ولذلك قُدّم لفظ الجلالة على الشركاء أيضاً [471]، بتقديم لفظ الجلالة – الجار والمجرور– على المفعول الأول، لأنّ الإنكار متوجه إلى الجعل لله، لا إلى مطلق الجعل. ومن ذلك تقديم المفعول الثاني على الأول في قوله– تعالى–:﴿ وَجَعَلُواْ لِلَّهِ شُرَكَآءَ ٱلْجِنَّ﴾ (الأنعام: 100)

والأصل: الجن شركاء، وقُدِّم لأنّ المقصود هنا التوبيخ على اتخاذ الشريك، سواء أكان من الجن أم من غيره، وهذا أبلغ في حصوله وأدل على المقصود. وأيضا تقديم لفظ الجلالة – الجار والمجرور – على المفعول الأول، لأنّ الإنكار متوجه إلى الجعل لله، لا إلى مطلق الجعل، للتنبيه على أنّه مطلق لا مقيد. كقوله– تعالى–:﴿ وَجَعَلُواْ لِلَّهِ شُرَكَآءَ ٱلْجِنَّ﴾ (الأنعام:100) على القول بأنّ لفظ الجلالة في موضع المفعول الثاني لِـ: (جَعَلَ) و(شُرَكَاء) مفعول أول، ويكون الجن في كلام ثانٍ مقدر كأنه قيل: فمن جعلوا شركاء ؟ قيل: الجن، وهذا يقتضي وقوع الإنكار على جعلهم (شُرَكَاء للَه) على الإطلاق، فيدخل مشركة غيرالجن، ولو أُخر فقيل: وجعلوا الجن شركاء لله، كان" الجن " مفعولا أولاً و" شركاء " ثانيًا، فتكون الشركة مقيدة غير مطلقة لأنه جرى على الجن، فيكون الإنكار توجه لجعل المشاركة للجن خاصة، وليس كذلك.

يبدو من خلال ترجمتي كلّ من حميد الله وجاك بيرك عنايتهما بتقديم المفعول به الثاني (شُرَكَاءَ) على المفعول به الأوّل (الجِنَّ)، حيث تحقّقت من خلال هاتين الترجمتين المعاني البلاغية المقصودة من التقديم والتأخير في الآية الكريمة. فوردت الترجمتان كالآتي:

- Et ils ont désigné des **associés** à (Allah): les **djinns**.
- Ils donnent (à Dieu) comme **associés** les **djinns**

أمّا بالنسبة لتقديم الجار والمجرور (لِلَّه) على المفعول به الثاني (شُرَكَاء)، نلاحظ أنّ جاك بيرك قد وفّق في تقديمه، خلافًا لحميد الله، حيث جاء الجار والمجرور في ترجمته متأخرًا عليه.

[471] – الرازي : مرجع سابق ، ج 13، ص 114.

فإذا لاحظنا ترجمة شوراكي، نجده أخّر كلاً من المفعول به الثاني (شُرَكَاء) والجار والمجرور (لِلَّه) على المفعول به الأوّل (الجِنّ)، فقال:

- Ils ont mis les **Djinns** pour **associés** (d'Allah).

فلم تتحقّق من خلال ترجمته الأسرار البلاغية للتقديم والتأخير.

- سورة الأنعام الآية 137:

وَكَذَٰلِكَ زَيَّنَ لِكَثِيرٍ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ قَتْلَ أَوْلَٰدِهِمْ شُرَكَآؤُهُمْ لِيُرْدُوهُمْ وَلِيَلْبِسُواْ عَلَيْهِمْ دِينَهُمْ ۖ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا فَعَلُوهُ ۖ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ﴿١٣٧﴾		
حميد الله	جاك بيرك	شوراكي
Et c'est ainsi que **leurs divinités ont enjolivé à beaucoup d'associateurs le meurtre de leurs enfants**, afin de les ruiner et de travestir à leur yeux leur religion. Or si Allah voulait, ils ne le feraient pas. Laisse-les donc, ainsi que ce qu'ils inventent. [472]	De même, **aux yeux de beaucoup d'associants se pare, du fait de leurs associés, le meurtre de leurs enfants** : cela pour les exterminer, et adultérer leur religion. -Si Dieu avait voulu, ils ne l'eussent pas fait. -Laisse-les à leur fabulation.[473]	Ainsi, **de nombreux associateurs exaltent le meurtre de leurs enfants sacrifiés pour leurs associés**. Ils les font périr, travestissant ainsi leur créance. Si Allah le décidait, ils ne le feraient pas : laisse-les à leurs illusions.[474]

أما في الآية:﴿ وَكَذَٰلِكَ زَيَّنَ لِكَثِيرٍ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ قَتْلَ أَوْلَٰدِهِمْ شُرَكَآؤُهُمْ ﴾ (الأنعام:137).

نرى من خلال ترجمتي كلّ من جاك بيرك وشوراكي أنّهما قد اعتنيا بالفاعل المؤخر(شُرَكَاؤُهُمْ) الذي تأخّر في الآية الكريمة قصد تشويق القارئ لمعرفة الفاعل المسؤول عن تزيين هذا الفعل الشنيع، فجاءت

[472]- Hamidallah : op-cit. p145.
[473]- Jacque Berque : op-cit. p157.
[474]- Chouraqui : op-cit. Sourate6.

الترجمتان على النحو الآتي:

- De même, aux yeux de beaucoup (d'associants) se pare, du fait de **leurs associés**, le meurtre de leurs enfants.
- Ainsi, de nombreux (associateurs) exaltent le meurtre de leurs enfants sacrifiés pour **leurs associés.**

أمّا بالنسبة لترجمة حميد الله نلاحظ أن الفاعل تقدم على المفعول فقال:

- Et c'est ainsi que **leurs divinités** ont enjolivé à beaucoup (d'associateurs) le meurtre de leurs enfants.

لتصبح الجملة: وكذلك شركاؤهم زيّنوا للعديد من المشركين قتل أولادهم. إن تقديم الفاعل في الترجمة الفرنسية قد أخلّ بقصد التشويق الذي من أجله أخر في الآية حيث يشتاق القارئ لمعرفة من فعل ذلك التزيين ليأتي الجواب في نهاية الآية رادّاً على ذلك التساؤل.

كما أنّ تقديم الفاعل في هذه الترجمة قد يحدث ارتباكا بخصوص إعادة الضمير في (أَوْلاَدِهِم) أي: على (شُرَكَاء) لا على (المُشْرِكِين)، فتحول المبني للمعلوم إلى مبني للمجهول مع جملة اعتراضية؛ إلا أن المقصود من التركيب هو: (وكذلك زين شركاء كثير من المشركين قتل أولادهم ليردوهم).

- سورة الأنعام الآية 143:

ثَمَـٰنِيَةَ أَزۡوَٰجٖۖ مِّنَ ٱلضَّأۡنِ ٱثۡنَيۡنِ وَمِنَ ٱلۡمَعۡزِ ٱثۡنَيۡنِۗ **قُلۡ ءَآلذَّكَرَيۡنِ حَرَّمَ أَمِ ٱلۡأُنثَيَيۡنِ** أَمَّا ٱشۡتَمَلَتۡ عَلَيۡهِ أَرۡحَامُ ٱلۡأُنثَيَيۡنِۖ نَبِّـُٔونِي بِعِلۡمٍ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ﴿١٤٣﴾		
حميد الله	جاك بيرك	شوراكي
(Il en a créé) huit, en couples : deux pour les ovins, deux pour les caprins…**dis : « Est-ce les deux mâles qu'Il a interdits ou les deux femelles**, ou ce qui est dans les matrices des deux femelles ? Informez-moi de toute connaissance, si vous êtes véridiques »[475]	... « huit demi-couples : en ovins, deux ; en caprins, deux » ! **Dis : « A-t-Il interdit les deux mâles ou les deux femelles**, ou tout contenu de la matrice des deux femelles ? Instruisez-moi de science sûre, pour autant que vous soyez véridiques »[476]	Parmi les huit couples, deux d'ovins; deux de caprins. **Dis: « A-t-il interdit les deux mâles, ou les deux femelles**, ou ce que renferment les matrices des deux femelles ? Inspirez-moi en science, si vous êtes sincères ! »[477]

ومن تقديم المفعول به على فعله بعد الاستفهام قوله – تعالى– في سورة الأنعام:﴿ ءَآلذَّكَرَيۡنِ حَرَّمَ أَمِ ٱلۡأُنثَيَيۡنِ ﴾ (الأنعام:143) إنكاراً وتوبيخاً[478]، فقد نسب المشركون ما حرّموه – من الذكور مرة والإناث مرة–

إلى الله– عز وجل– ، فبيّن أنّ هذا التقسيم من أنفسهم وليس منه – تعالى– [479]، ونص الآية صيغ صياغة دالة على إثبات التحريم في أحد الأشياء بحيث يتذبذب الشك بين المفاعيل المطلوب تحديد أحدها مع أنّ المراد بالآية إنكار أصل التحريم، أدّى ذلك إلى إظهار افتراء الكفار في قوله – تعالى– :﴿ نَبِّـُٔونِي بِعِلۡمٍ إِن

[475]- Hamidallah : op-cit. p147.
[476]- Jacque Berque : op-cit. pp158,159.
[477]- Chouraqui : op-cit. Sourate6.

[478] – الطوسي : التبيان في تفسير القرآن ، مرجع سابق ، ج 4، ص 320.
[479] – أبو حيان الأندلسي : مرجع سابق ، ج 4، ص 239.

كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ﴾ (الأنعام:143)، مما زاد من قوة الإنكار عليهم، وهذا الاستبدال للأدلة النظمية في التراكيب الاستفهامية كفيل بتقوية الإنكار وتحقيقه.[480]

نلاحظ من خلال ترجمة حميد الله أنّه اعتنى بتقديم المفعول به (الذَّكَرَيْنِ) على الفعل (حَرَّمَ) بعد الاستفهام تمامًا كما جاء في الآية الكريمة مراعاة للمعنى البلاغي المراد تبليغه لقارئ القرآن. فجاءت الترجمة كالأتي:

- dis : « Est-ce **les deux mâles** qu'Il (a interdits) ou les deux femelles.

أمّا بالنسبة لكل من جاك بيرك وشوراكي فنلاحظ عدم عنايتهما بتقديم المفعول به على الفعل بعد الاستفهام فوردت الترجمتان على التوالي:

- Dis : « A-t-Il (interdit) **les deux mâles** ou les deux femelles.
- Dis : « A-t-il (interdit) **les deux mâles**, ou les deux femelles.

وبتأخير المفعول به (الذَّكَرَيْنِ) ضاع المعنى البلاغي من التقديم والتأخير.

[480] – انظر : الجرجاني : مرجع سابق ، ص90 .

- سورة الأنعام الآية 151:

۞ قُلۡ تَعَالَوۡاْ أَتۡلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمۡ عَلَيۡكُمۡۖ أَلَّا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗاۖ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنٗاۖ وَلَا تَقۡتُلُوٓاْ أَوۡلَٰدَكُم مِّنۡ إِمۡلَٰقٖۖ نَّحۡنُ نَرۡزُقُكُمۡ وَإِيَّاهُمۡۖ وَلَا تَقۡرَبُواْ ٱلۡفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنۡهَا وَمَا بَطَنَۖ وَلَا تَقۡتُلُواْ ٱلنَّفۡسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلۡحَقِّۚ ذَٰلِكُمۡ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ ﴿١٥١﴾		
حميد الله	جاك بيرك	شوراكي
Dis: Venez, je vais réciter ce que votre Seigneur vous a interdit: ne Lui associez rien; et soyez bienfaisants envers vos père et mère. Ne tuez pas vos enfants pour cause de pauvreté. **Nous vous nourrissons tout comme eux**. N'approchez pas des turpitudes ouvertement, ou en cachette. Ne tuez qu'en toute justice la vie qu'Allah a faite sacrée. Voilà ce qu'(Allah) vous a recommandé de faire ; peut-être comprendrez-vous.[481]	Dis : « Venez ! que je vous énonce ce que votre Seigneur vous interdit : ne pas Lui associer qui que ce soit ; à l'égard de père et mère, se comporter bellement ; ne pas tuer vos enfants sous prétexte d'indigence : **c'est Nous qui les pourvoirons eux et vous** ; n'approchez pas de la turpitude, ou patente ou clandestine ; ne pas tuer une âme-Dieu la protège d'un interdit-si ce n'était à bon droit… -Voilà ce que Dieu vous recommande, escomptant que vous raisonniez [482]	Dis: « Montez, je vous avertirai de ce que votre Rabb vous interdit. Ne Lui associez rien. Excellez avec vos parents. Ne tuez pas vos enfants par crainte de la misère. **Nous veillerons à votre subsistance comme à la leur.** » Éloignez-vous des vices, apparents ou cachés. Ne tuez personne sans droit. Allah l'interdit. Voilà ce qu'il vous ordonne. Peut-être discernerez-vous?[483]

تقديم ضمير الغائبين على ضمير المخاطبين في موقع المفعولية :

ومنه قوله– تعالى– في سورة الأنعام:﴿ قُلۡ تَعَالَوۡاْ أَتۡلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمۡ عَلَيۡكُمۡۖ أَلَّا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗاۖ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنٗاۖ وَلَا تَقۡتُلُوٓاْ أَوۡلَٰدَكُم مِّنۡ إِمۡلَٰقٖۖ نَّحۡنُ نَرۡزُقُكُمۡ وَإِيَّاهُمۡۖ وَلَا تَقۡرَبُواْ ٱلۡفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنۡهَا وَمَا بَطَنَۖ وَلَا تَقۡتُلُواْ ٱلنَّفۡسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلۡحَقِّۚ ذَٰلِكُمۡ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ ﴾

[481]- Hamidallah : op-cit. p148.
[482]- Jacque Berque : op-cit. p160.
[483]- Chouraqui : op-cit. Sourate6.

(الأنعام:151)، وقوله– تعالى–:﴿ وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَوْلَـٰدَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَـٰقٍ ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ ۚ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْـًٔا كَبِيرًا﴾ (الإسراء:31).

- Et ne tuez pas vos enfants par crainte de pauvreté ; **c'est Nous qui attribuons leur subsistance, tout comme à vous**. Les tuer, c'est vraiment, un énorme pêché.[484]
- Ne tuez pas vos enfants par crainte de la pénurie : **à Nous de leur octroyer comme à vous subsistance.**[485]
- Ne tuez pas vos enfants par crainte du besoin. **Nous les pourvoirons comme vous-mêmes**. Si vous les tuez, c'est une grande faute.[486]

فقد تقدّم ضمير المخاطبين في الآية الأولى ، وهو المفعول به في (نَرزُقُكُمْ) على ضمير الأولاد (إِيَّاهُمْ) ، وتقدّم ضمير هؤلاء في (نَرْزُقُهُمْ) على ضمير المخاطبين (وإِيَّاكُمْ) في الآية الثانية، ويُعزى الاختلاف الشكلي في البنية السطحية بين الآيتين أنّ الكلام في الآية الأولى موجّه إلى الفقراء بدليل قوله: "من إملاق " ، والإملاق هو الافتقار[487]، فكان رزقهم أهم عندهم من رزق أولادهم ، لأنهم في حاجة إليه ، ولذلك جرى تقديم الوعد برزقهم على الوعد برزق أولادهم ، وذلك أنّ من العرب مَنْ كان يقتل أولاده من إملاقه وافتقاره ، ولمَّا كان الآباء في مثل هذه الحالة هم المكلَّفين بالسعي والإنفاق على أبنائهم ، وكان الواحد منهم محتاجاً إلى الرزق العاجل للقيام بذلك كان مناسباً أن يكون الخطاب بتقديم رزقهم لإفادة أنّهم أصحابُ العمل ، وبرزقهم يُرْزَقُ أولادهم[488]. بيد أنّ الخشية في الآية الثانية موجَّهة للأغنياء بدليل

[484] - Hamidallah : op-cit. p285.
[485] - Jacques Berque : op-cit. p297.
[486] - Couraqui : op-cit. Sourate 17.

[487] – ابن منظور : لسان العرب ، مرجع سابق ، مادة: ملق ، ج 6، ص 266.

[488] – الكردي، عز الدين محمد أمين سليمان : وجوه الاستبدال في القرآن الكريم. دار المعرفة، د.ت، ص170.

قوله– تعالى– : "خشية إملاق" كائنة من أمر مستقبل ولا يخشى الفقر إلاَّ من كان غنيًّا ، فكان من البلاغة أن يُقَدَّم وعدُ الآباء برزق أبنائهم[489]، إشعاراً لهم بالطمأنينة بأنّهم يأتون مع أرزاقهم بقدر إلهي مقدور.[490] والله– سبحانه وتعالى– قد قدّم الأهمّ في الحالين تمشّياً مع أساليب العرب في تقديم ذلك في الكلام ، قال سيبويه: « كأنّهم إنّما يُقَدِّمُون الذي بيانُهُ أهمُّ لهم ، وهم ببيانه أعنى» [491]. فضلاً عن وضعه – تعالى– كل آية في سياقها المناسب.

نلاحظ من خلال الترجمات الثلاث أنّ كلا من حميد الله وشوراكي قد اعتنيا بتقديم ضمير المخاطب (كُمْ) على ضمير الغائب (هُمْ) تبعا لما ورد في الآية الكريمة وحفاظا على المعاني المقصودة.

- Nous **vous** nourrissons tout comme **eux**.
- Nous veillerons à **votre** subsistance comme à la **leur**.

بينما لم نجد في ترجمة جاك بيرك تقديمًا لضمير المخاطب، ما ترتب عنه عدم مراعاة المعنى المراد تبليغه للقارئ.

أمّا في الآية الثانية نرى أنّ الترجمات الثلاث حافظت على المعنى المقصود في الآية الكريمة حيث تقدّم ضمير الغائب (هُمْ) على ضمير المخاطب (كُمْ).

- c’est Nous qui attribuons **leur** subsistance, tout comme à **vous**.
- à Nous de **leur** octroyer comme à **vous** subsistance.
- Nous **les** pourvoirons comme **vous**-mêmes.

[489] – الرازي : مرجع سابق ، ج 13، ص 232.

[490] – ابن الزبير الثقفي ، أحمد بن إبراهيم : ملاك التأويل القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل في توجيه المتشابه اللفظي من آي التنزيل. تحقيق سعيد الفلاح. ط1. بيروت، 1983م، ج 1، ص 479.

[491] – سيبويه : مرجع سابق ، ج 1، ص 34.

خاتمة:

بعد استعراض مواضع التقديم والتأخير في الربع الأوّل من القرآن الكريم وتحليل ترجماتها إلى اللغة الفرنسية، من المهمّ أن نشير في خاتمة هذا الفصل إلى أنّ المترجمين الثلاثة لم يتعاملوا بالكيفية ذاتها مع هذا الأسلوب. فنجدهم أحيانا يولون اللفظ المقدّم عناية واهتماما، كما في قوله تعالى: ﴿وَلَكُمۡ فِي ٱلۡقِصَاصِ حَيَوٰةٞ يَٰٓأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ﴾ (البقرة:179).

- C'est **dans le talion** que vous aurez la préservation de **la vie.**
- **Dans l'exercice du talion**, vous pouvez gagner **une vie.**
- **(**Pour vous**), le talion** sauvegarde **la vie.**

فقد تقدّم الخبر– شبه الجملة– (فِي القِصَاصِ) على المبتدإ (حَيَاةٌ)، إيذانًا بأن الحياة الحاصلة إنما هي في العدل والقصاص.

ويبدو لنا من خلال الترجمات الثلاث اعتناؤها بتقديم الخبر شبه الجملة – جار ومجرور– (في القصاص) على المبتدإ (حياة).

لكنّهم في مواضع أخرى ربّما لم يعتنوا بهذه المعاني والأسرار، كما في قوله تعالى: ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ (الفاتحة:2).

- **Louange à Allah**, Seigneur de l'univers[492]
- **Louange à Dieu**, Seigneur des univers[493]
- **La désirance d'Allah**, Rabb des univers,[494]

[492] - Hamidallah, Mouhammad : op-cit. p 1.
[493]- Berque, Jacques : op-cit. p 23.
[494]-Chouraqui, André : op-cit. Sourate 1.

وقوله تعالى: ﴿ **فَلِلَّهِ ٱلۡحَمۡدُ** رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَرَبِّ ٱلۡأَرۡضِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴾ (الجاثية:36).

- **Louange à Allah**, Seigneur des cieux et Seigneur de la terre: Seigneur de l'univers[495]
- **A Dieu la louange**, Seigneur des cieux, Seigneur de la terre, Seigneur des univers[496]
- **Désirance d'Allah**, le Rabb des ciels, le Rabb de la terre, le Rabb des univers[497]

في الآية الأولى (الحَمْدُ) مبتدأ و(لِلَّهِ) خبر، ولا يخفى أن تقديم المبتدأ على الخبر في هذه الآية قد جاء على الأصل، فهو خطاب للمؤمنين وتعليم لهم. أما في الآية الثانية فقد قدّم الجارو المجرور : (فَلِلَّهِ)– وهو الخبر– على (الحَمْدُ) المبتدأ.

لاحظنا من خلال الترجمات الثلاث اعتناءها بتقديم المبتدإ على الخبر تمامًا كما جاء في الآية الأولى، أمّا في الآية الثانية التي تقدّم فيها الخبر (فَلِلَّهِ) على المبتدإ (الحَمْدُ)، نرى أنّ جاك بيرك اعتنى بهذا التقديم مراعاة للمعنى المقصود منه.

ومن جانب أخر، رأينا أنّ كلاّ من حميد الله وجاك بيرك هما الأكثر ميلا إلى التيّار التفسيري في الترجمة، إذ غالبا ما يولون المعنى الاهتمام الأكبر، فنجدهم يبحثون عن المكافئ المناسب في نقل المعاني المقصودة من تقديم الألفاظ أو تأخيرها، كما في قوله تعالى: ﴿ **وَعَلَى ٱللَّهِ** فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ﴾ (آل عمران:122).

- **c'est** en Allah **que** les croyants doivent placer leur confiance.[498]
- et **qu'**à Dieu n'ont **qu'**à s'en remettre les croyants.[499]
- Allah, l'appui de tous les adhérents.[500]

[495]- Hamidallah : op-cit. p 502.
[496]- Jacque Berque : op-cit. p 534.
[497]- Chouraqui : op-cit. Sourate 45.
[498]- Hamidallah : op-cit. p66.
[499]- Jacque Berque : op-cit. p84.
[500]- Chouraqui : op-cit. Sourate3.

أمّا أندري شوراكي فتبيّن لنا من خلال تحليل ترجمته لهذا الأسلوب ميله إلى التيّار الحرفي في الترجمة، إذ يحاول دائما محاكاة الشكل والحفاظ على الأسلوب، كما في قوله تعالى: ﴿فَبِظُلْمٍ مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَٰتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ﴾ (النساء:160). والجار والمجرور المقدّمان في هذه الآية هما: (بِظُلْمٍ) ، وقد قُدِّما على فعل التحريم الماضي (حَرَّمْنَا) ، تقريعاً وتأنيباً لبني إسرائيل.

- **La fraude** de ceux qui judaïsent, en ce qui leur est permis, nous a fait leur **interdire** d'excellents aliments, qui leur étaient permis.[501]

إنّ لنظم القرآن وأسلوبه تأثيرا خاصا في نفس السامع لا يمكن أن ينقل بالترجمة. إذ يترتّب على الترجمة ضياع ذلك النغم و تلك اللطائف والأسرار الناشئة عن الترتيب بين الكلمات، والتي إذا اختلت بتقديم أو تأخير فسوف يختفي معها هذا التأثير.

[501]- Chouraqui : op-cit. Sourate4.

الخاتمة

جاءت هذه الدراسة لتكشف عن ملامح ظاهرة لغوية جديرة بالدرس والمناقشة ، وقد استعرض الباحث خلال هذه الدراسة جملة من القضايا أبانت روعة البيان القرآني وإعجازه ، وشجاعة العربية ، وأهمية التقديم والتأخير ، وأوضحت أنّ بنية الجملة العربية تقوم على دعامتين رئيسيتين فيهما هما : المسند إليه وهو المحكوم عليه ، والمسند وهو المحكوم به ، ويأتي غيرها في الجملة العربية من التوابع والمفاعيل مكملات لها لتؤدي وظائف نحوية وتثير قِيَماً بلاغية ، ويزداد تأثيرها في المعنى وتتضح بلاغتها في حال العدول عن الأصل من خلال أسلوب التقديم والعدول يمثل نوعاً من الخروج عن اللغة النفعية إلى اللغة الإبداعية ، ومن هنا وجَّه البلاغيون اهتماما خاصا لهذا المبحث ، ورصدوا كثيراً من التعبيرات التي توفرت فيها هذه الظاهرة ، وما يمكن أن تفيد منه الدلالة ، أو بمعنى أصحّ يمكن أن تتغير به الدلالة تغيُّراً يوجب لها المزية والفضيلة.

كما تركّز هذه الدراسة على موضوع التقديم والتأخير في الترجمة بين اللغتين الفرنسية والعربية حيث تختلف هاتان اللغتان في ترتيب الكلام في الجملة وفي الحرية النسبية في التقديم والتأخير. ممّا يسبب مصاعب للمترجمين بين اللغتين، فقد لا يكون لجملة في إحدى اللغتين نفس المعنى لجملة في اللغة الأخرى رغم تطابق ترتيب الكلمات في الجملتين، فعلى سبيل المثال، الجملة العربية "المعلم يمسح اللوح." لا تعني تماماً الجملة الفرنسية ".Le professeur efface le tableau" رغم تطابق ترتيب الكلمات في الجملتين، حيث أن الترجمة الفرنسية لا تراعي تقديم الفاعل قبل الفعل في الجملة العربية ليصبح الفاعل مبتدأ الجملة لا فاعلا للفعل.

ولقد لاحظ الباحث من خلال هذه الدراسة أنّ المنظّرين الأوائل عندما تحدَّثوا عن الترجمة الحرفية إنما كانوا يقصدون ما يُعرف اليوم بمفهوم (الترجمة كلمة بكلمة)، وهي التي تُعنى بتحويل جميع كلمات اللُّغة المصدر بترتيبها وقواعدها إلى اللُّغة الهدف. وهي تختلف اختلافًا جذريًّا عن الترجمة الحرفية بالمفهوم الحديث، إذ تعني الترجمة الحرفية: ترجمة المعاني الأساسية لجميع مفردات النص الأصلي كما

لو كانت خارج سياقها ، مع مراعاة الأبنية النحوية للُّغة الهدف، وهذا يعني أن الترجمة الحرفية ليست بتلك الصورة البَّشعة التي يتصورها كثير من الناس، لأنَّ شعارها الأمانة في نقل دلالات النص الأصلي بأسلوب يتناسب مع أسلوب اللُّغة الهدف.

وذكر صاحب هذا البحث أيضا أنّ مترجمي القرآن اقترحوا اعتماد الترجمة التفسيرية منهجًا في ترجمة القرآن. فالترجمة التفسيرية كما يراها العلماء المسلمون تعني: شرح الكلام وبيان معناه بلغة أخرى، فالمفسر في هذه الحالة إنّما يتكلم بأسلوب المبيّن للكلام على حسب فهمه، وكأنّه يقول للنَّاس:هذا مفهوم الآية لديَّ. أو بعبارة أخرى، يمكننا أن نقول بأن الترجمة التفسيرية هي: ترجمة لفهم شخص، ولا تتضمن وجوه التأويل المحتملة لمعاني القرآن، وإنما تتضمن ما أدركه المفسر أو المترجم منها.

كما ظهر له أيضا من خلال هذه الدراسة أنّها تعالج قضية التقديم والتأخير في الترجمة بين اللغتين على مستوى الجملة. وتشمل توضيحا للترتيب الطبيعي للكلمات في الجملة العربية والتقديم والتأخير فيها حسب نظرية قوة العامل. أما بالنسبة للغة الفرنسية ، فتشمل هذه الدراسة تمييزا بين التركيب المعنوي والتركيب البنائي، حيث يعامل التقديم والتأخير حسب الدرجة التي تحتلها الكلمة في الجملة الفرنسية في سلم فاعلية الاتصال. كما يجري في هذه الدراسة تمييز بين الترتيب الصحيح وغير الصحيح للكلمات في الجملة الفرنسية حسب القواعد البنائية للعبارات. وتشمل هذه الدراسة تطبيقات عملية على ترجمة القرآن الكريم في الربع الأول منه.

وجاء هذا البحث من أجل أن يغطي موضوعاً لم ينل كفايته من الدراسة من قِبل المهتمين بترجمة معاني القرآن الكريم؛ فيما يعلم الباحث، إلاَّ إشارات عابرة، ولمحات خاطفة، دون أن يؤصّل له منهج متكامل يوفيه حقّه ويبرز معالمه ويحدد ملامحه، ليكون موضوعاً مستقلاً يثري المكتبة الدراسية لترجمة معاني القرآن الكريم، ويمكن القول بأنّه توصّل من خلال هذه الدراسة إلى النتائج الآتية:

– فيما يتعلق بدلالات التقديم والتأخير في القرآن الكريم، وأساليب المترجمين في التعامل مع هذا الأسلوب، فإنّ المترجمين لم يتعاملوا بالكيفية ذاتها مع كل المواضع التي ورد فيها تقديم أو تأخير في الألفاظ، فأحياناً يجدهم يولون اهتماماً للفظ المتقدّم مراعاة للمعاني والأسرار البليغة التي يدلُّ عليها هذا التقديم. حيث لاحظ تقيّدهم بالترجمة الحرفية في بعض المواضع خصوصا بالنسبة لأندري شوراكي، أمّا حميد الله وجاك بيرك فيحاولان دائما توظيف المكافئ المناسب بالاعتماد على التقنيات والأساليب اللغوية التي تعمل على تخصيص الألفاظ التي تقدّمت أو تأخّرت في الآية القرآنية. وأحياناً أخرى تتِمُّ ترجمة معاني الآية بغضّ النظر عن ما تمَّ تقديمه أو تأخيره في هذه الآية.

– ظهر جليًّا ارتباط أسلوب التقديم والتأخير بعلوم عديدة مثل: علم النحو وعلم البلاغة التي يُبْنَى على ترتيب الألفاظ وحسن مواقعها، وفضل الكلمة إنَّما يكون بحسن موقعها، وحسن الترتيب اللفظي هو حسن الترتيب الذهني، ويترتب عليه تحسين المعنى كما ظهر ذلك جليًّا في المبحث الأول من الفصل الأول.

– كما لاحظ كاتب هذا البحث أيضاً من خلال الفصل التطبيقي أثر أسلوب التقديم والتأخير في صعوبة ترجمة معاني القرآن الكريم.

– دراسة النظم القرآني تقع في القمَّة من حيث القيمة في الدراسات البلاغية فهي تكشف عن بعض دلائل إعجازه البلاغي ، كما تُثْرِي وَعْيَنَا باللغة وبالبلاغة معاً .

– الأسلوب القرآني أجلُّ من أن يُحَكَّم بقاعدة مطردة ، فقد رأينا ما للسياق من تحديد لدلالة الاختصاص أو عدمه ، فالتركيب بذاته لا يفيد التخصيص وإنّما يستفاد من بعض مواقعه معنى التخصيص بالقرائن .

–تعتبر ظاهرة التقديم والتأخير من أهمّ الظواهر اللغوية التي أكسبت اللغة مرونتها وطواعيتها ، فهو يسمح للمتكلم أن يتحرك بحُرِّيَّة متخطِّياً الرتب المحفوظة ، والعدول عن هذه الرتب يمثِّل نوعا من الخروج عن اللغة النفعية إلى اللغة الإبداعية ، واللغة النفعية إذا دخلت في عالم الأدب اكتسبت خاصية

جديدة تفرضها عليها طبيعة الأدب ، إذ لم يعُد المراد إيصال المعنى ، وإنَّما الإيصال والإمتاع معاً ، بحيث تصبح اللغة وسيلة من وسائل الجمال .

– تراث العربية واحد ، وجهود العلماء تتكامل ولا تتفاضل ، والوعي بعبقرية هذه اللغة وإدراك أسرارها لا يمكن الوقوف عليه إلاَّ من خلال رؤية شاملة تعتدُّ بكل جُهد تناول الدرس اللغوي ، وتجاوز بالبحث فيه حدود الصحة والخطأ إلى تَلَمُّس القيم الجمالية والكشف عنها .

– نظم القرآن وأسلوبه لهما تأثير خاص في نفس السامع لا يمكن أن ينقل بالترجمة. إذ يترتّب على الترجمة ضياع ذلك النغم و تلك اللطائف والأسرار الناشئة عن الترتيب بين الكلمات، والتي إذا اختلت بتقديم أو تأخير فسوف يختفي معها هذا التأثير.

وفي هذا الإطار يندرج هذا البحث الذي حاول الباحث من خلاله استقصاء أساليب المترجمين في التعامل مع أسلوب التقديم والتأخير عند ترجمتهم للقرآن الكريم إلى اللغة الفرنسية وذلك في الربع الأول من القرآن الكريم.

حيث لاحظ من خلال دراسة ومقارنة الترجمات الثلاث ما ينتج عن ترجمة أسلوب التقديم والتأخير من ضياع للمعاني والأسرار البلاغية الناتجة عن تقديم الألفاظ أو تأخيرها في القرآن الكريم، والذي هو أحد جوانب الإعجاز القرآني، كما في قوله– تعالى– :﴿ وَفِي ذَٰلِكُم **بَلَآءٌ مِّن رَّبِّكُمۡ عَظِيمٞ**﴾ (البقرة :49)

حيث تأخّرت صفة البلاء "عظيم" في الآية القرآنية، بينما تقدّمت هذه الصفة في الترجمات الثلاث:

-C’était là une grande épreuve de la part de votre Seigneur. (Hamidallah)
-en quoi il y avait rude épreuve venue à vous de votre Seigneur. (Berque)
-c’était l’épreuve grandiose de votre Rabb. (Chouraqui)

وقد أفاد تقديم الجار والمجرور(مِنْ رَبِّكُمْ) في الآية إلى أنّ هذا البلاء من ربّهم ولن يكشفه إلاّ هو فتتعلّق القلوب به، ولذا قُدم للاهتمام ليس بصفة البلاء وإنّما لمصدر البلاء، وقد اختفى ذلك المعنى من الترجمات الثلاث، فصار الاهتمام لصفة البلاء وليس للمنسوب إليه (مِنْ رَبِّكُم).

هذا ما وصل إليه جُهد الباحث في محاولة الوقوف على أسرار التقديم والتأخير وترجمته في القرآن الكريم وبيان مدى أهميته الكبرى من خلال ما تبيَّن لنا من شدَّة ارتباطه بعِلْمَيْ النحو والبلاغة.

ويختم بتوصيات يحسبها تساهم ولو بقدر يسير في جملة البحوث والدراسات التي تعنى بترجمة القرآن الكريم وهي :

-أن تُكَوَّن لجنة من المهتمين ببلاغة القرآن لرصد هذه الظواهر اللغوية من خلال القرآن الكريم ، والبحث في أسرارها البلاغية وتقديمها بصورة موسومة قرآنيَّة تَضُمُّ بين دَفَّتَيها دراسة تطبيقية على جميع صور القرآن الكريم .

-تُعدُّ ترجمات القرآن الكريم إلى اللغات الأخرى، وسيلة من الوسائل التي يمكن استغلالها استغلالاً مفيداً إذا تمَّ تحديد الأهداف من البداية مع مراعاة جمهور المُتلقين واختلاف أحوالهم. لذلك وجبت العناية بها وإفرادها بالمصنفات التي من شأنها تشجيع هذا السعي، مثل: سبل نشر الترجمات وتوزيعها بحسب الفئات الموجهة إليهم حتى تكون هذه الترجمات فاعلة وتسهِّل في توصيل معاني القرآن إلى غير الناطقين بالعربية. كما تجدر الإشارة إلى الحاجة إلى الدراسات النقدية التي تبحث في ترجمات القرآن الكريم وجودتها.

ملخّص:

تعتبر ظاهرة التقديم والتأخير من أهمّ الظواهر اللغوية التي أكسبت اللغة مرونتها وطواعيتها ، فهو يسمح للمتكلم أن يتحرك بحُرِّيَّة متخطِّياً الرتب المحفوظة ، والعدول عن هذه الرتب يمثِّل نوعا من الخروج عن اللغة النفعية إلى اللغة الإبداعية ، واللغة النفعية إذا دخلت في عالم الأدب اكتسبت خاصية جديدة تفرضها عليها طبيعة الأدب ، إذ لم يعُد المراد إيصال المعنى ، وإنَّما الإيصال والإمتاع معاً ، بحيث تصبح اللغة وسيلة من وسائل الجمال .

وقد تعاملت مع هذه الظاهرة من جهة اشتغالها بالمعاني المقصودة من تقديم الألفاظ أو تأخيرها أثناء الترجمة إلى اللغة الفرنسية في الربع الأوّل من القرآن الكريم، عند حميد الله وجاك بيرك وأندري شوراكي.

وتعدّ ترجمة القرآن إلى لغة أخرى عملية معقّدة لا تخلو من الصعوبات والمزالق. وقد اعترض على جواز ترجمة القرآن الكريم كثير من العلماء، والحق أنّ المعنى هو ركيزة الترجمة القرآنية لذلك وجبت العناية به.

اقترح مترجمو القرآن اعتماد الترجمة التفسيرية منهجًا في ترجمة القرآن. فالترجمة التفسيرية كما يراها منظرو ترجمة القرآن تعني: شرح الكلام وبيان معناه بلغة أخرى، فالمفسر في هذه الحالة إنّما يتكلم بأسلوب المبيّن للكلام على حسب فهمه، وكأنّه يقول للنَّاس:هذا مفهوم الآية لديَّ. أو بعبارة أخرى، يمكننا أن نقول بأن الترجمة التفسيرية هي: ترجمة لفهم شخص، ولا تتضمن وجوه التأويل المحتملة لمعاني القرآن، وإنما تتضمن ما أدركه المفسر أو المترجم منها. وقد لاقى منهج الترجمة التفسيرية استحسان جمهور العلماء لأسباب عدة، أهمها: أنه يرفع التوهم أن تكون الترجمة هي القرآن نفسه. إضافة إلى أن

منهج التفسير يستطيع أن يحلّ إشكالية نقل المفاهيم الخاصة في القرآن والتي تعجز الترجمة الحرفية عن أدائها.

وقد حاولت هذه الدراسة الوقوف على طرائق تعامل المترجمين الثلاثة مع ظاهرة التقديم والتأخير في الربع الأول من القرآن الكريم من خلال تحليل الترجمات ومقارنتها بالنص الأصل من جهة، ومقارنة بعضها ببعض من جهة أخرى.

Résumé :

Le traitement de l'inversion dans la traduction du Saint Coran. le premier quart du Coran. Etude analytique et comparative.

La présente recherche, qui s'inscrit dans le cadre de l'analytique de la traduction, vise à étudier les différentes manières dans lesquelles l'inversion est traitée dans la traduction du Coran en français.

Il s'agit d'examiner les choix (les décisions pour ainsi dire) de trois traducteurs à savoir : Mohammed HAMIDALLAH, Jacques BERQUE et André CHOURAQUI en vue de rendre en français les valeurs sémantiques et rhétoriques des termes inversés arabes dans le premier quart du Coran.

La problématique est de s'interroger comment les termes inversés arabes dans le Coran sont rendus en français par les trois traducteurs mentionnés ci-dessus. Il s'agit de savoir si les traducteurs ont pris en considération les valeurs sémantiques et rhétoriques des termes inversés arabes apportées par le contexte des versets et des sourates ou non, et quelles sont les techniques et les procédures que les traducteurs doivent mettre en place pour rendre ces valeurs aux termes inversés dans les versets coraniques ?. Les traducteurs, quant à eux, ont-ils procédé de la même manière vis-à-vis de la traduction des termes inversés figurant dans le Coran ?. Ont-ils opté pour la traduction littérale, en gardant le même ordre des mots lors de la traduction des mots inversés arabes dans le Coran ?. Ou bien ont-ils été attentifs aux apports du contexte en optant à la traduction interprétative qui met l'accent sur le sens et le vouloir dire de l'auteur.

La recherche en thème de l'inversion et son interférence avec la traduction du Coran nous a retenue parce qu'elle semble être d'un apport aux études faites dans

le domaine de l'analytique de la traduction. Aussi l'étude critique d'une traduction portant sur un aspect bien déterminé semble être, croyons-nous, plus pragmatique ; car elle mène droit au but mieux que celle ayant pour objet l'appel à la prohibition ou à la permission de traduire le Coran ou son exégèse.

L'inversion est l'un des procédés linguistiques conférant à la langue une certaine flexibilité. Elle permet d'affranchir l'interlocuteur de la contrainte spatiale réservée à chaque catégorie de mots ce qui est considéré comme une transite d'une langue fonctionnelle à une langue créative. Celle-là ne doit pas se contenter de transmettre le message, mais aussi de se pencher sur la stylistique afin de la rendre plus créative.

Nous nous sommes intéressés à l'inversion dans la mesure Où elle accorde de l'importance aux significations voulues, à travers le déplacement des mots dans la traduction vers le français du 1er quart du Coran chez Mohammed HAMIDALLAH, Jacques BERQUE et André CHOURAQUI.

Par ailleurs, la traduction du Coran est à la fois difficile et controversée à tel point qu'un bon nombre de savants s'y opposent.

Toutefois, c'est le sens qui prime dans la traduction du Coran , c'est pourquoi il faut s'en occuper instantanément.

Les traducteurs du Coran optent pour la traduction interprétative en tant que méthodologie. Selon les théoriciens de la traduction du Coran, la traduction interprétative consiste à traduire le sens vers une autre langue. Dans ce cas, son exégète interprète les versets selon sa compréhension personnelle comme s'il déclare : « C'est ma propre compréhension de ce verset ». Autrement dit, la traduction interprétative est la traduction d'une personne. Par conséquent, elle exclut d'autres interprétations du sens du Coran. Elle renferme plutôt ce dont-il est parvenu à l'exégète ou au traducteur.

Le courant interprétatif est en fait largement admis parce qu'il, entre autre :

- Rassure que la traduction n'est plus celle du Coran mais de son interprétation.

- Prend en charge la traduction de certains concepts spécifiques au Coran face auxquels la traduction littérale est restée inapte.

Cette recherche est donc une tentative de réflexion sur les méthodes dont les trois traducteurs, sus-cités se servent pour rendre compte du phénomène de l'inversion dans le 1er quart du Coran. Pour ce faire, on procède comme suit :

- Analyser et comparer les traductions au texte source ; ainsi que les comparer entre elles tout en les soumettant aux théoriciens spécialisés de la traduction.

Pour répondre aux questions soulevées, nous avons divisé le présent mémoire en une partie introductive et trois chapitres, outre l'introduction et la conclusion. La partie introductive, quant à elle, vise à cerner le cadre méthodologique du mémoire ; tout en essayant de bien déterminer la problématique de la recherche et de préciser sa terminologie, nous avons indiqué que nous n'avons pas trouvé, d'après nos connaissances et capacités de recherches une étude précédente traitant le même sujet que le nôtre. Aussi avons-nous présenté notre corpus qui consiste en les trois traductions ci-dessus mentionnées dans lesquelles nous allons examiner comment les termes inversés arabes dans le Coran sont rendus.

La méthode adoptée, étant descriptif par essence, ne peut pas se passer des moyens méthodologiques primordiaux en l'occurrence l'analyse, notamment sémantique, et la comparaison basée essentiellement sur la confrontation de la traduction à l'original.

Le premier chapitre a été consacré pour l'étude de l'inversion en arabe et en français. Celle-ci peut-être définit comme un phénomène linguistique consistant en la transposition et le changement de l'ordre dans lequel les mots sont ordinairement rangés dans le discours. L'ordre des mots est ordinairement soumis à des règles fixes et pour ainsi dire naturelles, régies par la grammaire et propres au déroulement d'une pensée claire et précise. Mais il se produit souvent, dans la phrase, des inversions de toutes sortes, motivées par divers raisons.

En fin du chapitre nous avons parlé de l'inversion dans le Coran au niveau de la phrase verbale et la phrase nominale.

Le deuxième chapitre, qui a pour objectif de discuter quelques questions concernant la traduction coranique, traite de la question de l'inimitabilité du coran et son incomparabilité « î'djaz » en relevant ses caractéristiques rhétoriques et ses spécificités stylistiques et sémantiques. Ainsi nous avons abordé le contexte qui joue un rôle primordial dans la détermination du sens des mots inversés dans les versets coraniques. Puis, nous avons donné un bref historique des traductions du Coran vers le français ainsi que d'autres langues comme l'anglais, l'allemand et l'espagnol, etc.

Dans la deuxième partie de ce chapitre, nous avons abordé les deux théories de la traduction du Coran. Les tenants du courant littéraliste misent beaucoup sur la forme et accorde pratiquement toute l'importance à la lettre. Ils soulignent que la langue est loin d'être un simple transporteur de messages, car forme et contenu sont intimement liés, voir même indissociables, et que c'est la forme, la langue, qui oriente et façonne la manière de percevoir le vécu de n'importe quelle société. Quant aux tenants du courant interprétatif, ils misent l'accent sur l'action de déverbalisation, séparer la forme du contenu, trouver le vouloir dire de l'auteur et capter le sens (le message) et laisser tomber la lettre.

Dans le troisième chapitre, qui présente la partie pratique, nous avons essayé de commenté les trois traductions de chaque verset contenant des termes inversés. Il s'agit d'examiner les choix traductologiques de chaque traducteur en vue de rendre les valeurs sémantiques et rhétoriques des termes inversés arabes.

Nous nous sommes servis des propos des grands exégèses pour le commentaire des traductions. Parmi ces exégèses nous mentionnons Tabari, Ibn Kathir, Tossi, Fakhreddine Razi, et Zamakhchari.

Après avoir analysé la traduction des versets contenant les termes inversés, nous avons constaté que Hamidallah était le plus attentif, parmi les trois, aux valeurs sémantiques et rhétoriques des termes inversés dans les versets coraniques.

Les résultats obtenus de la présente étude sont les suivants :

- Les trois traducteurs ont procédé de différentes manières vis-à-vis de l'inversion des termes arabes aux versets coraniques.
- Quant à Chouraqui, lui, il colle trop à la lettre, il garde souvent l'ordre des mots inversés dans les versets coraniques.
- Quant aux autres traducteurs, Hamidallah et Berque, ils misent souvent l'accent sur les termes inversés et cherchent des techniques et des expressions adéquates qui peuvent rendre les valeurs sémantiques et rhétoriques de ces termes.
- Multiplier les traductions du Saint Coran peut être un facteur favorable à une meilleure compréhension de ce Livre.
- Les exégèses coraniques semblent être d'une grande utilité dans la compréhension et l'interprétation du Coran, et surtout sa traduction.

Pour conclure, il est de grande importance d'avancer que le thème de l'inversion ne peut que partiellement être traité dans un mémoire d'un peu plus d'une centaine de page. Nous estimons que nous avons abordé l'un des aspects éminents de sa présence dans le Saint Coran dans sa relation avec l'acte de traduire.

Summary:

Dealing with word order in the translation of the Holy Qur'an. the first quarter. Analytic and comparative Study.

It is considered as one of the most important linguistic phenomena, the issue of word order gives to the language its flexibility and elasticity. It allows, henceforth, the speaker to move freely and to step beyond the set of relationships that govern the words within the speech, and to leave it out is a sort of bringing the use of language from its communicative utility into the creative use of the language.

And once the self-interested use of language gets into the bosom of the literature world, therein it acquires a new feature imposed by the nature of the literature. The aim, then, is no longer to just convey the meaning but to convey it in enjoying and pleasing way and thus the language becomes an aesthetic tool.

I have dealt with this phenomenon as far as the meanings are concerned by the issue of word order in the translation of the 1st quarter of the Holy Qur'an carried out by Hamid Allah, Jacques Berque and André Chouraqui.

The main question to be asked here is: how the inversed Arab words are dealt with in the translation of the Holy Qu'ran? Did translators translate inversed words using the literal theory or the interpretative one?

Translating the Holy Qur'an into another language is verily a complex task full of difficulties and slipperiness.

Many Ulama (Islamic scholars) opposed the idea of translating the Holy Qur'an .And, truly speaking, the meaning is the mainstay of the Qur'an translation, it must, therefore, be given a high focus and consideration.

the Qur'an translators have suggested the method of the explanatory translation (by the explanation- interpretation-construal translation) to be adopted

.Explanatory Translation, as seen by Qur'an translators, means: to explain the speech and clarify its meaning in another language .In such case, he who explains, indeed, is clarifying the speech according to his own understanding, as if he says to people: this is the meaning of the verse as I have understood it. In other words, we can say that the explanatory translation is: translation according to one person own understanding, and an individual version that does not carry different potential interpreting aspects of the Qur'an meanings.

In fact, the community of Ulama appreciated the method of explanatory translation for many reasons, such as: it removes the illusion that the translation could be the Qur'an itself. Moreover, the explanatory method can resolve the problem of communicating the specific concepts in the Qur'an and that the literal translation can not convey in any way.

The present study is an attempt to inspect and analyse the different approaches through which the three mentioned translators have dealt with the phenomenon of word order in the 1st quarter of the Holy Qur'an translation .On the one hand ,to analyse and compare between the translations and the original text, on the other hand , to compare between the translations one another, as well as to expose the methods followed by the translators to theoreticians views and of those experts working in translation studies .

The results obtained from this research are:

- The three translators proceed in different manners towards the translation of the inversed Arab words in the Holy Qur'an.
- Chouraqui adopts the literal translation and save the same order of the words in the verses.
- Berque and Hamidallah seem to be aware about the phenomenon of inversion. He has really attempted to use adequate techniques and expressions to render almost of the semantic and rhetoric values of the inversed Arab words in the verses.

The research in the Qur'an translation criticism remains a field worthy of interest, and we shall be satisfied if our thesis can be considered as a contribution to that domain.

فهرس ترجمات

مواضيع

التقديم والتأخير

رقم الآية	الآية	الترجمة		
		حميد الله	جاك بيرك	أندري شوراكي
الفاتحة 1:	ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ	Louange à Allah	Louange à Dieu	La désirance d'Allah
5://	إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ	C'est Toi(Seul) que nous adorons, et c'est Toi(Seul) dont nous implorons secours	C'est Toi que nous adorons, Toi de qui le secours implorons	Toi, nous te Toi, servons, nous te sollicitons
البقرة: 3	وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ	et dépensent (dans l'obéissance à Allah), de ce que Nous leur avons attribué	font dépense sur Notre attribution	et prodiguent ce dont nous les pourvoyons
5://	وَبِٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ يُوقِنُونَ	et qui croit fermement à la vie future	ils ont certitude, eux, de la vie dernière	dans la certitude de l'Autre monde
10://	فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ	Il y a dans leur cœurs une maladie (de doute et d'hypocrisie)	Ils y avait une maladie dans leur cœur	À la maladie de leur cœur
30://	إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلۡأَرۡضِ خَلِيفَةً	Je vais établir sur la terre un vicaire « Khalifa »	Je vais instituer un lieutenant sur la terre	je mettrai sur terre un calife
43://	وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ	Et accomplissez la Salãt, et acquittez la Zakãt	Accomplissez la prière, acquittez la purification	Élevez la prière, donnez la dîme
48://	وَلَا هُمۡ يُنصَرُونَ	Et ils ne seront point secourus	non plus qu'ils ne trouveront, eux, de secourant	nul n'étant secouru
49://	وَفِي ذَٰلِكُم بَلَآءٌ مِّن رَّبِّكُمۡ عَظِيمٌ	C'était là une grande épreuve de la part de votre Seigneur	en quoi il y avait rude épreuve venue à vous de votre Seigneur	c'était l'épreuve grandiose de votre Rabb
61://	وَضُرِبَتۡ عَلَيۡهِمُ ٱلذِّلَّةُ وَٱلۡمَسۡكَنَةُ وَبَآءُو بِغَضَبٖ مِّنَ ٱللَّهِ...	L'avilissement et la misère s'abattirent sur eux ; ils encoururent la colère d'Allah	Dès lors leur furent infligées la vilenie et la bassesse ; ils prirent site dans le ressentiment de Dieu	Alors l'avilissement et la pauvreté les frappent avec le courroux d'Allah

traitant certains d'entre eux de menteurs, et, certains, en les tuant	votre orgueil dément les uns et mit à mort les autres	Vous traitiez les uns d'imposteurs et vous tuiez les autres	فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ	87://
Selon vous, l'Autre Demeure, chez Allah, est hors de l'atteinte des hommes	S'il est vrai que la demeure dernière auprès de Dieu vous soit réservée	Si l'Ultime demeure auprès d'Allah est pour vous	قُلْ إِن كَانَتْ لَكُمُ ٱلدَّارُ ٱلْآخِرَةُ	94://
Quand son Rabb éprouve Ibrâhim par des paroles et qu'il les accomplit, Il dit: « **Je t'institue Imâm des humains**. »	**Lors Abraham, son Seigneur l'éprouva par des paroles**, auxquelles Abraham satisfit totalement. « Moi, dit Dieu, **Je t'institue en modèle pour les hommes**	**quand ton Seigneur eut éprouvé Abraham par certains commandements**, et qu'il les eut accomplis, le Seigneur lui dit : « **Je vais faire de toi un exemple à suivre pour les gens** »	وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٍ فَأَتَمَّهُنَّ ۖ قَالَ إِنِّى جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا ۖ	124://
nous sommes pacifiés en Lui	c'est à Lui que nous nous soumettons	Et à Lui nous sommes soumis	وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ	136://
si vous le servez	pour autant que vous soyez de Ses adorateurs	si c'est Lui que vous adorez	إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ	172://
Pour vous, le talion sauvegarde la vie	Dans l'exercice du talion, vous pouvez gagner une vie	C'est dans le talion que vous aurez la préservation de la vie	وَلَكُمْ فِى ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ	179://
Allah, en ce qu'ils font, les cerne	Tout ce qu'ils peuvent faire, Dieu l'encercle	Allah connait parfaitement tout ce qu'ils font	ۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ	آل عمران 120://
Allah, l'appui de tous les adhérents	et qu'à Dieu n'ont qu'à s'en remettre les croyants	c'est en Allah que les croyants doivent placer leur confiance	ۗ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ	122://
une plaie semblable a déjà	blessure pareille affligea l'autre	pareille blessure atteint aussi	فَقَدْ مَسَّ ٱلْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُۥ...	140://

touché le peuple	peuple	l'ennemi		
La fraude de ceux qui judaïsent, en ce qui leur est permis, nous a fait leur interdire d'excellents aliments, qui leur étaient permis	Donc à raison d'une iniquité imputable aux tenants du Judaïsme, Nous leur interdîmes des choses bonnes, qui leur étaient licites	C'est à cause des iniquités des Juifs que Nous leur avons rendu illicites les bonnes nourritures qui leur étaient licites	فَبِظُلْمٍ مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَٰتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ	النساء: 160
ils accusaient les uns de mensonge et tuaient les autres	ils démentaient les uns, en tuaient d'autres	ils en traitent certains de menteurs et ils en tuent d'autres	فَرِيقًا كَذَّبُواْ وَفَرِيقًا يَقْتُلُونَ	المائدة: 70://
Changerais-je d'Allah, prendrais-je un autre protecteur	Irais-je me donner comme protecteur un autre que dieu	Devais-je prendre pour allié autre qu'Allah	قُلْ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَتَّخِذُ وَلِيًّا	الأنعام: 14
À lui, les clés du mystère	Il tient les clefs du mystère	C'est Lui qui détient les clefs de l'Inconnaissable	وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ	59://
Son Verbe : la vérité. Le Jour où il sera soufflé dans le cor, **à lui le Royaume**	Sa parole est Vérité. A Lui la royauté	Sa parole est la vérité. A Lui, (seul,) la royauté	قَوْلُهُ ٱلْحَقُّ ۚ وَلَهُ ٱلْمُلْكُ	73://
que nous avons guidés. Jadis, de sa descendance,	les guidâmes tous trois ; et Noé, Nous l'avions guidé avant lui	Nous les avons guidés tous les deux. Et Noé, Nous l'avons guidé auparavant	كُلًّا هَدَيْنَا ۚ وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ	84://
dirige-toi selon leur guidance	donc à leur guidance te conforme	suis donc leur direction	فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْ....	90://
Ils ont mis les Djinns pour associés d'Allah	Ils donnent à Dieu comme associés les djinns	Et ils ont désigné des associés à Allah: les djinns	وَجَعَلُواْ لِلَّهِ شُرَكَآءَ ٱلْجِنَّ....	100://
de nombreux associateurs exaltent le meurtre de leurs enfants sacrifiés pour leurs associés	aux yeux de beaucoup d'associants se pare, du fait de leurs associés, le meurtre de leurs enfants	leurs divinités ont enjolivé à beaucoup d'associateurs le meurtre de leurs enfants	وَكَذَٰلِكَ زَيَّنَ لِكَثِيرٍ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ قَتْلَ أَوْلَٰدِهِمْ شُرَكَآؤُهُمْ	137://

143://	﴿ قُلۡ ءَآلذَّكَرَيۡنِ حَرَّمَ أَمِ ٱلۡأُنثَيَيۡنِ	dis : « Est-ce les deux mâles qu'Il a interdits ou les deux femelles	Dis : « A-t-Il interdit les deux mâles ou les deux femelles	Dis: « A-t-il interdit les deux mâles, ou les deux femelles
151://	﴿ نَّحۡنُ نَرۡزُقُكُمۡ وَإِيَّاهُمۡ....	Nous vous nourrissons tout comme eux	c'est Nous qui les pourvoirons eux et vous	Nous veillerons à votre subsistance comme à la leur

قائمة المصادر والمراجع

المصادر والمراجع:

أولا: المراجع باللغة العربية:

القرآن الكريم بالرسم العثماني- رواية حفص عن عاصم. ط1. المملكة العربية السعودية: دار علوم القرآن،1405هـ .

1 -الكتب:

- ابن الأثير، ضياء الدين نصر الله بن محمد. **المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر**. تحقيق أحمد الحوفي والدكتور بدوي طبانة. ط 2. الرياض: دار الرفاعي، 1403 هـ.
- الأسد آبادي، القاضي عبد الجبار بن أحمد. **تنزيه القرآن عن المطاعن**. القاهرة ، 1329هـ.
- الأسد آبادي، القاضي عبد الجبار بن أحمد. **المغني في أبواب التوحيد والعدل**. دار الكتب المصرية، 1380هـ-1960م.
- الأصفهاني، أبو الفرج علي بن الحسين. **الأغاني**. تحقيق عبد الكريم الغرباوي ومحمود غنيم. بيروت: مؤسسة جمال للطباعة والنشر. د.ت.
- الألوسي، شهاب الدين محمود بن عبد الله. **روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني**. بيروت- لبنان: دار إحياء التراث العربي، 1985م.
- امرؤ القيس، ابن حجر بن الحارث. **ديوان امرئ القيس**. تحقيق مصطفى عبد الشافي. ط1. بيروت: دار الكتب العلمية، 1403هـ.
- الأنباري، كمال الدين أبو البركات عبد الرحمن بن محمد. **البيان في غريب إعراب القرآن**. تحقيق طه عبد الحميد طه، مراجعة مصطفى السقا. القاهرة، 1969م.
- الباقلاني، أبو بكر محمد بن الطيب. **إعجاز القرآن**. تحقيق عماد الدين أحمد حيدر. ط1. بيروت: مؤسسة الكتب الثقافية ، 1991م.
- البخاري، محمد بن إسماعيل. **صحيح البخاري**. تحقيق مصطفى ديب البغا. ط3. اليمامة-بيروت: دار ابن كثير، 1407 هـ - 1987م.
- بدوي، طبانة. **معجم البلاغة العربية**. ط 3. جدة: دار المنار، 1408 هـ.
- البغدادي، عبد القادر بن عمر. **خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب**. تحقيق عبد السلام هارون. ط 3. القاهرة: مكتبة الخانجي، 1409هـ .
- البقاعي، برهان الدين إبراهيم بن عمر. **نظم الدرر في تناسب الآيات والسور**. تحقيق محمد عبد المعين خان. ط1. الهند : طبعة مجلس المعارف الإسلامية، 1969م.
- البنداق، محمد صالح. **المستشرقون وترجمة القرآن الكريم** (عرض موجز بالمستندات لمواقف وآراء وفتاوى بشأن ترجمة القرآن الكريم، مع نماذج لترجمة تفسير معاني الفاتحة في ست وثلاثين لغة شرقية وغربية). ط2. بيروت: دار الآفاق الجديدة، 1403هـ-1983م.
- الترمذي، أبو عيسى محمد بن عيسى. **سنن الترمذي**. إبراهيم عطوة عوض. ط2. مصر: مطبعة مصطفى البابي الحلبي، 1395 هـ - 1975م.
- أبو تمام، حبيب بن أوس الطائي. **ديوان أبي تمام**. تحقيق شاهين عطية. ط3. بيروت: دار الكتب العلمية. د.ت.
- التهانوي، محمد علي الفاروقي. **كشّاف اصطلاحات الفنون**. تحقيق لطفي عبد البديع. ترجمة عبد المنعم محمد حسنين. الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1397 هـ - 1977م.
- الجرجاني، عبد القاهر بن عبد الرحمن. **دلائل الإعجاز**. تحقيق محمود محمد شاكر. ط2. القاهرة: مكتبة الخانجي، 1410 هـ .
- ابن الجزري، محمد بن محمد الدمشقي : **النشر في القراءات العشر**. تحقيق محمد علي الضباع. بيروت: دار الكتب العلمية، د.ت.
- ابن جزي الكلبي، محمد بن أحمد. **التسهيل في علوم التنزيل**. ط3. لبنان، بيروت: دار الفكر، 1983م.
- ابن جني، أبو الفتح عثمان. **المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها**. تحقيق علي النجدي ناصف، عبد الحليم النجار، عبد الفتاح شلبي. ط2. استامبول: دار سزكين، 1406هـ.

- الجوهري، أبو نصر إسماعيل بن حماد. **الصحاح في اللغة والعلوم**. ط5. بيروت: دار العلم للملايين ،1987م.
- حبلص، محمد يوسف. **البحث الدلالي عند الأصوليين(28)**. ط1. القاهرة: مكتبة عالم الكتب، 1411 هـ - 1991م.
- حجار، ج.ن : **دراسة في أصول الترجمة**. بيروت: دار المشرق، 2002م.
- حسان، تمّام. **قرينة السياق375**، بحث قُدّم في (الكتاب التذكاري للاحتفال بالعيد المئوي لكلية دار العلوم). مطبعة عبير للكتاب، 1993م.
- حسين، عبد القادر. **أثر النحاة في البحث البلاغي**. ط2. قطر: دار قطري بن الفجاءة. د.ت.
- حسين، محمد الخضر. **بلاغة القرآن**. القاهرة، 1979م.
- أبوحيان الأندلسي، محمد بن يوسف بن علي. **البحر المحيط**. ط1. الرياض، المملكة العربية السعودية: مطابع النصر الحديثة، 1329هـ.
- الخطابي، أبو سليمان حمد بن محمد بن إبراهيم. **بيان إعجاز القرآن الكريم** في:" ثلاث رسائل في إعجاز القرآن للرماني والخطابي وعبد القاهر الجرجاني". تحقيق محمد خلف الله ومحمد زغلول. ط2. القاهرة: دار المعارف بمصر، 1968م.
- خلوصي، صفاء. **فن الترجمة في ضوء الدراسات المقارنة**، سلسلة دراسات: 292. الرياض: دار الرشيد للنشر، منشورات وزارة الثقافة والإعلام، 1982م.
- الذهبي، محمد حسن. **التفسير والمفسرون**. ط4. مصر: مكتبة وهبة، 1989م.
- الرازي، فخر الدين أبو عبد الله محمد بن عمر. **التفسير الكبير**. ط4. طهران ، 1413هـ.
- راضي، عبد الحكيم. **نظرية اللغة في النقد العربي**. مصر: مكتبة الخانجي. د.ت.
- الراغب الأصفهاني، أبو القاسم الحسين بن محمد. **المفردات في غريب القرآن**. تحقيق محمد سيدّ كيلاني. بيروت– لبنان: دار المعرفة. د.ت.
- ابن الزبير الثقفي ، أحمد بن إبراهيم. **ملاك التأويل القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل في توجيه المتشابه اللفظي من آي التنزيل**. تحقيق سعيد الفلاح. ط1. بيروت، 1983م.
- الزجاج ، أبو إسحاق إبراهيم بن سهل النحوي. **إعراب القرآن**. تحقيق إبراهيم الأبياري، القاهرة، 1963م.
- الزجاجي، عبد الرحمن بن إسحاق. **الإيضاح في علل النحو**. تحقيق مازن المبارك. ط5. بيروت: دار النفائس، 1406هـ.
- الزجاجي، عبد الرحمن بن إسحاق. **الجمل**. تحقيق علي توفيق محمد. بيروت: مؤسسة الرسالة، 1985م.
- الزرقاني، محمد عبد العظيم. **مناهل العرفان في علوم القرآن**. دار المعرفة، د.ت.
- الزركشي، بدر الدين محمد بن عبد الله. **البرهان في علوم القرآن**. تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم. ط1. القاهرة، 1958م.
- الزركشي، بدر الدين محمد بن عبد الله. **البحر المحيط (في أصول الفقه)**. قام بتحريره الشيخ عبد القادر عبد الله العاني وراجعه الدكتور عمر سليمان الأشقر. ط2. الكويت: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، 1413هـ-1992م.
- الزمخشري، أبو القاسم جار الله محمود بن عمر. **الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل** . بيروت: دار صادر، 1968م.
- السامرائي، فاضل . معاني النحو. الموصل، 1987م.
- السرخسي، شمس الدين محمد بن سهل. **المبسوط**. رتبه الشيخ خليل الميس. بيروت: دار المعرفة ، 1989م.
- السكاكي، سراج الدين يوسف بن أبي بكر. **مفتاح العلوم**. تحقيق نعيم زرزور. ط 2. بيروت: دار الكتب العلمية ، 1407 هـ.
- ابن السكّيت، إسحاق بن يعقوب. **ديوان النابغة الذبياني**. تحقيق شكري فيصل. دمشق: دار الفكر ، 1968م.
- سلطاني، محمد علي. **الأدوات النحوية ومعانيها في القرآن الكريم**. ط1. الكويت ، 1979م.
- سيبويه، أبوبشر عمرو بن عثمان بن قنبر. **الكتاب**. تحقيق عبد السلام هارون. ط3. بيروت: دار الكتب العلمية، 1408هـ.
- السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر. **الجامع الصغير من حديث البشير النذير**. تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد. مصر : دار الشرق الجديد. د.ت.
- السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر. **الدرر المنثور في التفسير بالمأثور**. ط1. دار الفكر للطباعة والنشر، 1403هـ.
- السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر. **شرح عقود الجمان في علم المعاني والبيان**. مصر: مطبعة دار إحياء الكتب العربية. د.ت.

- السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر. **معترك الأقران في إعجاز القرآن**. ضبطه وصححه وكتب فهارسه: أحمد شمس الدين. ط1. بيروت ، 1988م.
- شيخون، محمود السيد. **أسرار التقديم والتأخير في لغة القرآن الكريم**. ط1. القاهرة: مكتبة الكليات الأزهرية،1983م.
- الصابوني، محمد علي. **صفوة التفاسير**. ط4. بيروت: دار القرآن الكريم، 1402 هـ- 1981م.
- الصعيدي، عبد المتعال . **البلاغة العالية** (علم المعاني). قدّم له وراجعه عبد القادر حسين . ط2. القاهرة : مكتبة الآداب ، 1991م.

- ضيف، شوقي. **البلاغة، تطور وتاريخ**. ط2. القاهرة، 1965م.
- الطبري، أبوجعفر محمد بن جرير. **جامع البيان في تأويل آي القرآن**. تحقيق عبد الله بن عبد المحسن التركي، بالتعاون مع مركز البحوث والدراسات العربية والإسلامية.ط1. القاهرة: دار هجر،2001م.
- الطوسي، أبو جعفر محمد بن حسن بن علي. **التبيان في تفسير القرآن**. تحقيق أحمد حبيب قصير العاملي. النجف الأشرف. د.ت.
- الطوسي، الحسن. **شرح ديوان لبيد بن ربيعة**. تحقيق حنا نصر الحتي. ط1. بيروت: دار الكتاب العربي، 1414هـ.
- الطيبي، شرف الدين الحسين بن محمد. **التبيان في البيان**. تحقيق توفيق الفيل وعبد اللطيف لطف الله. الكويت، 1986م.
- ابن عاشور، محمد الطاهر. **تفسير التحرير والتنوير**. تونس: الدار التونسية للنشر، 1984م.
- عبد الرحيم، عبد الجليل. **لغة القرآن الكريم**. ط1. مكتبة الرسالة الحديثة، 1401 هـ-1981م.
- عبد العزيز، زينب. **ترجمات القرآن إلى أين؟ وجهان لجاك بيرك**. ط2. القاهرة: دار الهداية، 1994.
- عبد اللطيف، محمد حماسة. **النحو والدلالة** (مدخل لدراسة المعنى النحوي الدلالي)98. ط1. القاهرة، 1403 هـ - 1983م.
- ابن العبد، طرفة. **ديوان طرفة بن العبد**. بيروت: دار صادر، 1961م.
- أبو عبيدة، معمر بن المثنى. **مجاز القرآن**. تحقيق محمد فؤاد سزكين. مصر: مكتبة الخانجي. د.ت.
- عجينة، محمد. **نظريات الترجمة** (في: الترجمة ونظرياتها). إعداد مجموعة من الأساتذة الجامعيين. قرطاج: بيت الحكمة، 1989م.
- ابن عرفة الدسوقي، محمد بن أحمد و ابن طولون الصالحي، محمد بن علي. **حاشية الدسوقي على مختصر السعد شرح تلخيص المفتاح** . بيروت: دار الكتب العلمية، 2002م.
- العزب، محمود. **إشكاليات ترجمة معاني القرآن الكريم**. ط1. مصر: نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، 2006م.
- العكبري، أبوالبقاء عبد الله بن الحسين. **التبيان في إعراب القرآن**. تحقيق محمد علي البجاوي. القاهرة: دار إحياء الكتب العربية، 1976م.
- العمادي، أبو السعود محمد بن محمد . **إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم**. القاهرة. د.ت.
- فندريس، جوزيف. **اللغة**. تعريب عبد الحميد الدواخلي ومحمد القصاص. القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية، مطبعة لجنة البيان العربي، 1950م.
- الفيومي، أحمد بن محمد بن علي. **المصباح المنير**. ط1. مصر: مطبعة التقدم العلمية ، 1322 هـ.
- ابن قتيبة، أبو محمد عبد الله بن مسلم. **تأويل مشكل القرآن**. شرحه ونشره أحمد صقر. ط2. القاهرة، 1973م.
- ابن قتيبة، أبو محمد عبد الله بن مسلم. **تفسير غريب القرآن**. تحقيق السيد أحمد صقر. بيروت، 1978م.
- القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري. **الجامع لأحكام القرآن**. تحقيق محمد بيومي وعبد الله المنشاوي. ط2. القاهرة: مكتبة الإيمان للنشر والتوزيع، 2006م.
- القزويني، جلال الدين محمد بن عبد الرحمن. **التلخيص في علوم البلاغة**. تحقيق عبد الرحمن البرقوقي. بيروت: دار الكتاب العربي. د.ت.
- القزويني، جلال الدين محمد بن عبد الرحمن . **مختصر سعد الدين التفتازاني على تلخيص المفتاح**. بيروت: دار الكتب العلمية. د.ت.
- القطان، منّاع خليل. **مباحث في علوم القرآن**. ط 12. القاهرة: مكتبة وهبة، 2007م.
- ابن قيّم الجوزية ، أبو عبد الله محمد بن أبي بكر. **التفسير القيّم**. جمع محمد أويس النداوي ، تحقيق محمد حامد الفقي. بيروت ، 1978م.
- كامل موسى، موسى و دحروج، علي. **كيف نفهم القرآن**. بيروت: دار بيروت، المحروسة للطباعة والنشر، 1992م.
- ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر القرشي الدمشقي. **تفسير القرآن العظيم**. ط5. الكويت: دار السلام للنشر، 2001م.

- الكردي، عز الدين محمد أمين سليمان. **وجوه الاستبدال في القرآن الكريم**. دار المعرفة، د.ت.
- اللاوندي، سعيد. **إشكالية ترجمة معاني القرآن الكريم**. ط1. القاهرة: مركز الحضارة العربية، 2001م.
- المبرد، أبو العباس محمد بن يزيد. **المقتضب**. تحقيق محمد عبد الخالق عظيمة. ط1. بيروت: عالم الكتب، 1963م.
- المتنبي، أبو الطيّب. **ديوان المتنبي**. بيروت: دار صادر. د،ت.
- المراغي، أحمد مصطفى. **علوم البلاغة**. بيروت: دار القلم. د.ت.
- مسلم، ابن الحجاج القشيري النيسابوري. **صحيح مسلم**. تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي. بيروت: دار إحياء التراث العربي، 1374 هـ - 1954م.
- المعرّي، أبو العلاء. **ديوان أبي العلاء المعرّي. "سقط الزند"**. شرح أحمد شمس الدين. ط1. بيروت: دار الكتب العلمية، 1410 هـ.
- المغربي، أبو العباس أحمد بن محمد بن يعقوب. **مواهب الفتاح في شرح تلخيص المفتاح**. بيروت- لبنان: دار الكتب العلمية. د.ت.
- أبو موسى، محمد. **البلاغة القرآنية في تفسير الزمخشري**. مصر: دار الفكر العربي. د.ت.
- أبو موسى، محمد. **خصائص التراكيب** (دراسة تحليلية لمسائل علم المعاني). ط3. القاهرة: مكتبة وهبه. د.ت.
- أبو موسى، محمد. **دلالات التراكيب** (دراسة بلاغية). ط2. مصر: مكتبة وهبة ، 1408 هـ.
- مونان، جورج. **المسائل النظرية في الترجمة**. ترجمة: لطيف زيتونة. بغداد: دار الشؤون الثقافية العامة، 1992م.
- النحّاس، أبو جعفر أحمد بن محمد بن إسماعيل. **إعراب القرآن**. تحقيق زهير غازي زاهد. بغداد ، 1977م.
- النسفي، أبو البركات عبد الله بن أحمد. **مدارك التنزيل وحقائق التأويل**. 1981م.
- نيومارك، بيتر. **الجامع في الترجمة**. ترجمة : حسن غزالة. مالطا: إيلجا، 1992م.
- ابن هشام الأنصاري، جمال الدين بن يوسف. **مغني اللبيب عن كتب الأعاريب**. تحقيق مازن المبارك و محمد علي حمد الله. راجعه سعيد الأفغاني. ط6 . بيروت، 1985م.
- ابن يعيش النحوي، موفق الدين بن علي. **شرح المفصل**. بيروت. د.ت.

2 –المجلات والدوريات:

- ثابت، عيد. «**ترجمة معاني القرآن للألمانية بين سموم المستشرقين وجهود المسلمين**». جريدة الحياة. ع11990، الحلقة الثانية.
- جاسم، حسين. «**الترجمات القرآنية بين نقل المعاني وهدم المباني، ترجمة تولن ترنر لمعاني القرآن للإنجليزية**». مجلة النور. ع 89، جمادى الآخرة، 1419 هـ - أكتوبر 1998م.
- حاج إبراهيم، مجدي. «**إشكالية الترجمة الدينامية في ترجمة القرآن الكريم من منظور لغوي: الترجمة الملايوية أنموذجا**» مجلة جامعة الشارقة للعلوم الإنسانية والاجتماعية. المجلّد 6، ع 2، جمادى الأولى 1430هـ - جوان 2009م.
- ذاكر، عبد رب النبي. **قضايا ترجمة القرآن**، كتاب نصف الشهر، سلسلة شراع المغربية التي تصدر في طنجة. ع 45، 25 ، شعبان 1419هـ- 15 ديسمبر 1998م.
- شيخ، محمد رشيد. «**د.محمد حميد الله**». فيصل الآباد، باكستان: مطابع الميزان، 2003م.
- صلاح الدين، محمد. مجلة تكبير الأسبوعية (اردو). يناير، 1992م.
- عالم قاسمي، محمد سعود. «**د.محمد حميد الله اور إسلامي علوم كي تحقيق (د.محمد حميد الله وخدماته في البحوث العلمية الإسلامية)**». مجلة تحقيقات إسلامي، علي جراه. الهند. يناير- مارس، 2003م.
- عبد الله، أحمد. «**دراسة في جامعة الأزهر: استحالة ترجمة معاني القرآن إلى اللغات الأخرى**». جريدة الشرق الأوسط ، القاهرة . ع 8188،29 ، أبريل، 2001م.
- ابن عيسى، بن طاهر. «**قضايا الإعجاز البياني في تفسير التحرير والتنوير**». مجلة التجديد. ع 11 ، س 6.
- الغزالي، محمد. جريدة أوصاف اليومية. 5 أكتوبر،2003م.
- فاروقي، لطف الرحمن : «**د.محمد حميد الله ايك بـــى مثال محقق (د.محمد حميد الله باحثاً نادراً)**». مجلة دعوة. إسلام آباد. العدد الخاص بالدكتور محمد حميد الله، ع 10، مارس، 2003م.

- كنون، عبد الله. **منطلقات إسلامية**. طنجة: مطبعة سوريا ، غير مؤرخة.
- **«التراجم الإستشراقية لمعاني القرآن الكريم. (2): حول مشروع ترجمة إسلامية لمعاني القرآن»**. مجلة الفرقان المغربية. العدد 29.
- «**ترجمات القرآن.. بين تبليغ الرسالة والتشويه**». جريدة عقيدتي. ع522، الثلاثاء 12جمادى الآخرة1418 هـ - 14أكتوبر1997م.
- «**التطور التاريخي لترجمة معاني القرآن الكريم عند الغربيين**». جريدة الحياة. ع12411.
- مجلة "فكر ونظر". إسلام آباد، باكستان : معهد الدراسات الإسلامية بالجامعة الإسلامية . العدد الخاص بالدكتور محمد حميد الله ، أبريل- سبتمبر، 2003م.

3 –المعاجم والموسوعات:

- الزبيدي، أبو الفيض محمد بن محمد بن الحسين. **تاج العروس من جواهر القاموس**. بيروت: دار العلم للملايين، 1988 م.
- ابن فارس، أبو الحسين أحمد بن زكريا. **معجم مقاييس اللغة**. تحقيق عبد السلام هارون. ط2. بيروت: دار الجيل، 1990م.
- الفيروز أبادي، محمد بن يعقوب. **القاموس المحيط**. ط1. بيروت: دار الكتب العلمية، 1415 هـ.
- مجع اللغة العربية. **المعجم الوسيط** (غير مفهرس). ط4. مكتبة الشروق الدولية، 2004م.
- ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم. **لسان العرب**. ط3. بيروت: دار صادر، 1994م.

4 –الرسائل الجامعية والمخطوطات:

- الحجوي، محمد بن الحسن. **حكم ترجمة القرآن العظيم**. مخطوط. الخزانة العامة. الرباط، رقم ح113 ضمن مجموع.
- الشتوي، فهد بن شتوي. **دلالة السياق وأثرها في توجيه المتشابه اللفظي في قصة موسى: دراسة نظرية تطبيقية**، مذكرة ماجستير (مخطوط)، قسم الكتاب والسنة، كلية الدعوة وأصول الدين، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، المملكة العربية السعودية.2005م.
- العسري، محمد عبد الواحد. **الإسلام في أبحاث الاستشراق الإسباني من ريموندس لولوس إلى أسين بلاثينوس**، أطروحة دكتوراه الدولة، إشراف الدكتور محمد الكتاني. تطوان: جامعة عبد المالك السعدي كلية الآداب والعوم الإنسانية، السنة الجامعية: 1421-1422هـ/2000-2001م.

5 –المقالات:

- سوريا كمارا، فودي. **دراسة ترجمة معاني القرآن الكريم إلى اللغة الفرنسية التي أعدّها ريجيس بلاشير**. سلسلة الترجمات غير الصحيحة. مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف.الدخول إلى الموقع: 2011/09/10
- وجيه بن حمد عبد الرحمان. **ترجمات انجليزية لمعاني القرآن الكريم في ميزان الإسلام**. سلسلة الترجمات غير الصحيحة. مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف.

ثانيا: المراجع باللغات الأجنبية:

1 –الكتب:

- BERQUE, Jacques. **LE CORAN, ESSAI DE TRADUCTION**. Paris : éd revue et corrigée, col. Spiritualités vivantes 194, Albin Michel, 2002.
- BIRNER, B.J. & WARD, G. **Information Status and Noncanonical Word Order in English**. Amsterdam/Philadelphie, John Benjamins, 1998.
- BORILLO, A. **Le complément locatif et le genre descriptif**, in Coene, M., de Mulder, W., Dendale, P. & D'Hulst, Y. Eds, Studia linguistica in honorem Lilianae Tasmowski, Unipress, 2000.
- CHOURAQUI, André. **Le Coran : L'Appel En Ligne**. Paris : éd Robert Laffont, 1990.

http://nachouraqui.tripod.com/id16.htm accédé le 01/09/2011.

- CORNISH, Francis. **L'inversion « locative » en français, italien et anglais**: Cahiers de Grammaire, 2001.
- CULICOVER, P.W. & LEVINE, R.D. **Stylistic inversion in English** : a reconsideration, in Natural Language and Linguistic Theory 19. 2001.
- DELISLE, Jean. **Formement du sens, la paille des mots.** in Etudes traductologiques, Ottawa,1980.
- DIK, S.C. **The Theory of Functional Grammar Part I : the structure of the clause**. 2ème édition. Berlin/New York, Mouton-de Gruyter, 1997.
- GENTZLER, Edwin . **Contemporary Translation Theories**. Clevedon : Multilingual Matters, 1993.
- HAJJAR, Joseph. **Manuel de Traduction**. 4e éd. Beyrouth: Dar El-Machreq, 1971.
- HAMIDALLAH, Mouhammad. **LE NOBLE CORAN et la traduction en langue française de ses sens**. Version révisée par Mouhammad Ahmad LO, Ahmad Mouhammad al-Amine al-CHINQUITI et Fodé Soriba CAMARA. Royaume d'Arabie Saoudite : Complexe Roi FAHD pour l'impression du NOBLE CORAN, 1421de l'Hégire.
- HELLAL, Yamina. **La théorie de la traduction**, approche thématique et pluridisciplinaire. Alger : OPU, 1986.
- HERBULOT, Florence :**Le Traducteur Déchiré**, in Etudes Traductologiques, Lettres Modernes. Minard, Paris, 1990.
- IRVING, Thomas B. **The Koran : Noble Quran - Translation and Commentary**. Iowa: GoodwordsBook,1988.
- KORZEN, H. **L'unité prédicative et la place du sujet dans les constructions inversées**, in Langue Française111. 1996.
- LADMIRAL, J.R. **Traduire : théorèmes pour la traduction**. Paris : Gallimard, 1994.
- LAFEVER, André . **Translation, Rewriting, and the Manipulation of Literary Fame**. London: Routledge, 1992.
- LAROUSSE. **Savoir rédiger**. Collection « Livre de Bord », 1ère édition, 1997, France.
- LEVIN, B. & RAPPAPORT Hovav, M. **The problem of locative inversion**, in Unaccusativity : at the syntax-lexical semantics interface. Ch6. Cambridge: Cambridge University Press, 1996.
- NATHALIE, Fournier. **Grammaire du français classique**. Paris : Belin, 2001.
- NEWMARK, P. **A textbook of translation**. London: Prentice Hall International English Language Teaching, 1988.
- NIDA, E. A . **Bible Translation.** in. Routledge Encyclopedia of Translation Studies. London & New York – Routledge: Baker, Mona (ed.), 1993.
- NØLKE, H. **Utterance focus : elements of a modular theory**. in Copenhagen Studies in Linguistics18, ex. (36). 1995.
- ONO, N. **On the interaction between lexical and constructional meanings**. in Bouillon, P. et Kanzaki, K. Eds, Proceedings of the First International Workshop on Generative Approaches to the Lexicon, Ecole de Traduction et d'Interprétation, Université de Genève, 26-28 Avril 2001.
- PERGNIER, Maurice. **L'équivalence en traduction**, Meta, 32 (4), 1987, pp 392-402.
- RABASSA, Gregory. **No Two Snowflakes are alike**. ins: The Craft of Translation, Bigunet, John & Schulte, Reiner (ed.). Chicagi: The University of Chicago Press,1989.
- REDOUANE, J. **La traductologie** : science et philosophie de la traduction. Alger : OPU, 1985.

- REISS, Katharina. **la critique des traductions, ses possibilités et ses limites**. traduit de l'Allemand par C.Boquet, coll. Traductologie. France : Artois Presses Université, 2002.
- RENCHON, H. **Etudes de syntaxe descriptive**.11. La Syntaxe de l'interrogation. Bruxelles, 1967.
- SELESKOVITCH, Danica. **Langage, langues et mémoire**. Lettres Modernes, Paris, 1975.
- STANCHEV, S.B. **Pragmatic Functions and special sentence position** in Bulgarian, in Connolly, J.H, Vismans, R.M, Bulter, C.S. et Gatward, R.A. Eds, Discouese and Pragmatics in Functional Grammar. Berlin/New York, Mouton-de Gruyter, 1997.
- STEINER, George. **After Babel**. Oxford: Oxford University, 1992.
- TABER, C.R. & NIDA, E.A. **La traduction : théorie et méthode**. Alliance Biblique Universelle, 1971.
- VINAY, P. & DARBELNET, J. **Stylistique comparée du français et de l'anglais**, méthode de traduction. Nouvelle édition. Paris : Didier , 1972.
- WILLIAMS, Jenny & CHESTERMAN, Andew. **The Map** : A Beginner's Guide to Doing Research in Translation Studies. Manchester: St Jerom Publishing, 2002**.**
- ZHONG, Yong . **Death of the Translator and Birth of the Interpreter**. Babel, V44, 1988.

2 –المجلات والدوريات:

- Ebbe Spang-Hanssen: **Revue Romane**, Bind 6, Copenhague, 1971.
- KAOUACH , Abdelmadjid . **Jacques Berque, Le passeur**. Algérie News, 29 avril 2008.

3 –المعاجم والموسوعات:

- IDRISS, Souheil. **AL-MANHAL**. Dictionnaire Français-Arabe. Ed 38. Beyrouth: Dar EL-Adab, 2007.
- **LE ROBERT ILLUSTRÉ D'AUJOURD'HUI.** Dictionnaire de Langue Française & Noms Propres. Montréal- Canada, édition mise à jour en 1997.
- **LAROUSSE** : Savoir rédiger. Collection « Livre de Bord », 1ère éd, 1997, France.

4 –الرسائل الجامعية والمخطوطات:

- BATTAT, Ibrahim Mohammed Salem: **Markedness Theory as it Relates to Word Order in Translation between English and Arabic**, Master of Arts in Translation and Applied Linguistics, Faculty of Graduate Studies, at An-Najah National University, Nablus, Palestine, 2004.
- MAMRI, Ferhat : **Le Concept de Littéralité dans la traduction du Coran : Le cas de trois traductions,** thèse de doctorat d'Etat soutenue au département de traduction, Université de Constantine, 2006.

5 –مواقع الأنترنت:

http://www.andrechouraqui.com/biog/cv.htm
http://www.books.google.fr/books?id=ErnO_zsI7sKC&pg
http://www.espacefrancais.com/glossaire/index.php?
http://www.françaisfacile.com/exercices1864.php
http://www.islam-fraternet.com/maj-0598/berq.htm
http://islamselect.net/mat/16007
http://www.islamtoday.net/toislam/art-105-4.htm

http://www.islamyyat.com/Iamsat.htm
http://www.mokhtarislamiso.maktoobblog.com/1383128
http:// www.montada.aya.sy/showthread.php?t=64412
http://www.qurancomplex.com
http://www.qurancomplex.org/Display.asprb&f2
http://www.tafsir.net/vb/showthread.php?t=7801
http://www.tafsir.net/vb/tafsir7801
http://www.tidsskrift.dk/visning.jsp?markup=&print=no&id=95172
http://www.webcache.googleusercontent.com
http://www.wapedia.mobi/fr/Syntaxe_du_nom
http://www.66.46.185.79/bdl/gabarit_bdl.asp?id=4086

فهرس المحتويات

فهرس المحتويات:

إهـــــــداء
شكر وعرفان
المقدّمـــــــة..... 3
الفصل الأوّل: أسلوب التقديم والتأخير..... 10
مقدمـــة الفصل الأوّل..... 11
المبحث الأول: أسلوب التقديم والتأخير في اللّغة العربية..... 12
1. تعريف أسلوب التقديم والتأخير..... 14
1.1. لغـــةً..... 14
2.1. اصطلاحًا..... 15
2. أقسام أسلوب التقديم والتأخير..... 15
1.2. تقديم وتأخير يأتي على أصله في النحو..... 15
2.2. تقديم وتأخير يأتي لمقامات تقتضيه..... 16
3. أهميته عند النحويين : "سيبويه"..... 17
4. أهميته عند البلاغيين : "عبد القاهر الجرجاني"..... 20
1.4. التقديم والتأخير في سياق الاستفهام..... 22
2.4. التقديم والتأخير في سياق النفي..... 24
3.4. التقديم والتأخير في سياق الخبر المثبت..... 25
4.4. مثل وغير..... 26
5.4. تقديم النكرة على الفعل..... 27
5. الجملة العربية..... 28
1.5. الجملة الاسمية..... 29
2.5. الجملة الفعلية..... 30
1.2.5. تعريف المسند وأغراض تقديمه..... 32
1.1.2.5. المسند..... 32
2.1.2.5. تقديم المسند..... 33
2.2.5. تعريف المسند إليه وأغراض تقديمه..... 35
1.2.2.5. المسند إليه..... 35
2.2.2.5. تقديم المسند إليه..... 35
المبحث الثاني: أسلوب التقديم والتأخير في القرآن الكريم..... 40
1. التقديم والتأخير في الجملة الاسمية..... 40
1.1. تقـــديم الخبـــر..... 40
1.1.1. تقديم الخبر المقصور..... 42
2.1.1. تقديم الخبر في الاستفهام..... 42

2.1. تقديم معمول خبر (كان) وتوسط خبرها.....43
3.1. تقديم خبر كان عليها.....46
4.1. تقديم معمول خبر (ليس) عليها.....48
2. التقديم والتأخير في الجملة الفعلية.....49
1.2. تقديم المفعول به على فعله.....49
2.2. تقديم أحد المفعولين على الآخر.....51
3.2. تقديم الحال على عامله الظرف.....54
المبحث الثالث: أسلوب التقديم والتأخير في اللّغة الفرنسية..... 58
1. مفهوم التقديم والتأخير(l'inversion) ou (l'ordre des mots)..... 60
2. تقنيات تخصيص ألفاظ الجملة الفرنسية..... 61
1.2. استعمال التعابير التقديمية..... 61
2.2. ضمائر الإعلان أو التذكير..... 62
3.2. الضمائر الشخصية المنبّرة..... 62
4.2. ترتيب الكلمات في الجملة..... 63
1.4.2. تقديم وتأخير الفاعل(le sujet)..... 63
1.1.4.2. طبيعة الفعل المستعمل في التقديم والتأخير..... 65
2.1.4.2. الشكل النحوي للفاعل المؤخر، وعلاقته بالفعل..... 69
3.1.4.2. وجود أو غياب ظرف مقدّم..... 71
4.1.4.2. ترتيب أشكال تقديم وتأخير الفاعل في اللغة الفرنسية الحديثة..... 73
2.4.2. تقديم المسند (l'attribut) على الفاعل..... 74
3.4.2. تقديم الصفة على الاسم..... 75
4.4.2. تقديم وتأخير مكمّل الاسم (le complément du nom) 76
5.4.2. تقديم وتأخير المفعول به (le complément d'objet) 76
6.4.2. تقديم وتأخير المفعول فيه (complément circonstanciel) 77
7.4.2. تقديم وتأخير مكمّل الصفة (complément de l'adjectif) 78
خاتمة الفصل الأوّل.....79
الفصل الثاني: الترجمة القرآنية.....80
مقدمة الفصل الثاني.....81
المبحث الأوّل: قضايا وإشكاليات ترجمة معاني القرآن الكريم.....82
1. إعجاز القرآن الكريم.....83
1.1. وجوه إعجاز القرآن الكريم.....84
2. الدلالة القرآنية والترجمة.....87
3. أهمية السياق في تحديد معاني الألفاظ.....89
4. خصوصية القرآن 90
5. تاريخ حركة ترجمة معاني القرآن الكريم من قِبل المستشرقين..... 92
1.5. حقيقة الترجمة..... 93

1.1.5. لغة..... 93
2.1.5.اصطلاحًا..... 93.
2.5. هل يمكن ترجمة القرآن الكريم؟..... 94
3.5. صعوبة الترجمة..... 95
4.5. تاريخ ترجمة المستشرقين لمعاني القرآن الكريم وبيان أشهر مدارسها..... 97
المبحث الثاني: نظريات ترجمة معاني القرآن الكريم..... 104
1. مفهوم الترجمة..... 104
2. نظريات الترجمة..... 106
1.2.النظرية الحرفية..... 106.
2.2. النظرية التفسيرية..... 111.
1.2.2.النظرية التفسيرية في ترجمة القرآن الكريم..... 115
3. مشكلات الترجمة التفسيرية للقرآن الكريم..... 119.
4. شروط الترجمة..... 121
خاتمة الفصل الثاني..... 123.
الفصل الثالث: دراسة نقدية مقارنة لترجمة أسلوب التقديم والتأخير في القرآن: الربع الأول..... 125
مقدمة الفصل الثالث..... 127.
المبحث الأول: تعريف بالمدونة والترجمات الثلاث ومنهج البحث..... 127
1. مدونة البحث..... 127.
1.1. القرآن الكريم..... 127
1.1.1. تعريف القرآن الكريم..... 127.
2.1.1 سور الربع الأوّل..... 128.
2. تعريف بالترجمات الثلاث..... 130
1.2. ترجمة حميد الله..... 130.
1.1.2. دراسته..... 131.
2.1.2. مؤلفاته الشهيرة..... 132.
2.2. ترجمة جاك بيرك..... 134
1.2.2. النشأة والتكوين..... 134.
2.2.2. أهمّ مؤلفاته..... 134.
3.2.2. ترجمته للقرآن الكريم..... 135.
3.2. ترجمة أندريه شوراكي..... 136.
1.3.2. النشأة والتكوين..... 136.
2.3.2. أهم مؤلفاته..... 137.
3.3.2. ترجمته للقرآن الكريم..... 137
3. المنهج المتَّبع في الدراسة..... 139.
المبحث الثاني: مقارنة وتحليل الترجمات الثلاث..... 141
خاتمة الفصل الثالث..... 188
الخاتمة..... 191
ملخّص باللغة العربية..... 197
ملخّص باللغة الفرنسية..... 199

ملخّص باللغة الانجليزية 204
فهرس ترجمات مواضع التقديم والتأخير.....206
قائمة المصادر والمراجع.....211
فهرس المحتويات.....219